الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند

منذ قيام الإسلام حتى نهاية العصر الأموي

(١٣ق.هـ-١٣٢هـ/٦١٠-٧٥٠م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب

زياد سعيد الشحاذه

إشراف الأستاذ الدكتور

سهيل زكار

١٤٤١-١٤٤٢هـ/٢٠١٩-٢٠٢٠م

دلالة الرموز المستخدمة في البحث

ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
د.ت	بدون تاريخ نشر
د.م	بدون مكان نشر
ص	صفحة
ط	طبعة
ق	قسم
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد
مر	مراجعة
﴿﴾	تم حصر الآيات القرآنية ضمنها

المقاييس (المسافات والأوزان)

الميل	٤٠٠٠ ذراع مرسلة = ٣٠٠٠ ذراع هاشمية = ١٨٤٨ متراً.
الفرسخ	١٢٠٠٠ ذراع مرسلة = ٩٠٠٠ ذراع هاشمية = ٣ ميل = ٥٥٤٤ متراً
المرحلة	من ٥ إلى ٦ فراسخ = ٢٨ إلى ٢٣ كم ومتوسطها ٣٠،٥ كم.
البريد	٤ فراسخ= ٢٢،١٧٦ كم.
اليوم	٢ بريد = ٨ فراسخ = ٤٤،٣٥٢ كم.

فهرس المحتويات:

ملخص الرسالة:	ش
مقدمة:	١-٨
تعريف نقدي بأهم مصادر ومراجع البحث:	٩- ٣٢
تمهيد:	٣٣- ٤٦
أولاً- لمحة جغرافية عن بلاد السند والهند:	٣٤
١- حدود بلاد السند والهند:	٣٦
٢- سبب تسميتها ببلاد السند والهند:	٣٧
٣- التضاريس والمناخ:	٣٨
٤- أهم الأنهار في بلاد السند والهند:	٤٠
ثانياً- نبذة تاريخية عن بلاد السند والهند:	٤٢
الفصل الأول : أوضاع بلاد السند والهند قبل الفتوحات الإسلامية:	٤٧- ٧٢
أولاً- الأوضاع السياسية:	٤٨
ثانياً- الأوضاع الاقتصادية:	٥٦
١- الزراعة:	٥٦
٢- الثروة الحيوانية:	٥٨
٣- الصناعة:	٥٩

٤- التجارة:	٦٢
ثالثاً- الأوضاع الاجتماعية والدينية:	٦٥
١- السكان:	٦٥
٢- أبرز الأديان المنتشرة في بلاد السند والهند قبل الفتوحات الإسلامية:	٦٥
أ- الهندوسية (البراهمية):	٦٦
ب- البوذية:	٦٨
٣- وضع المرأة:	٧٢
الفصل الثاني: العلاقات العربية الهندية قبل الفتح الإسلامي:	٧٣- ٩١
أولاً- العلاقات العربية الهندية قبل الإسلام:	٧٤
ثانياً- العلاقات العربية الهندية منذ بدء البعثة النبوية الشريفة حتى نهاية عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه:	٨٠
١- العلاقات العربية الهندية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:	٨٠
٢- انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية:	٨٣
٣- موقف الهنود في الجزيرة من أحداث الردة:	٨٨

الفصل الثالث: أهم محاولات فتح بلاد السند والهند قبل حملة محمد بن القاسم الثقفي:	٩٢- ١٢٩
أولاً-حملات السند والهند في العصر الراشدي:	٩٣
١- الحملات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:	٩٣
٢- الحملات في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:	١٠٢
٣- الحملات في عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:	١٠٥
ثانياً-حملات السند والهند في العصر الأموي قبل حملة محمد ابن القاسم:	١١٠
١- الحملات في عهد معاوية بن أبي سفيان:	١١٠
٢- الحملات في عهد يزيد بن معاوية:	١١٧
٣- الحملات في عهد عبد الملك بن مروان:	١١٩
٤- الحملات في عهد الوليد بن عبد الملك قبل حملة محمد بن القاسم الثقفي:	١٢٤
الفصل الرابع: فتح المناطق الواقعة غربي نهر السند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي:	١٣٠- ١٦٢

أولاً- أوضاع الدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك(٨٦-٩٦هـ/٧٠٥- ٧١٥م):	١٣١
ثانياً- أسباب الفتح الإسلامي لبلاد السند والهند في عهد الوليد ابن عبد الملك:	١٣٤
ثالثاً- اختيار محمد بن القاسم الثقفي لقيادة فتوحات السند والهند وتجهيز الحملة:	١٣٨
رابعاً- انطلاق حملة محمد بن القاسم الثقفي ٩٢هـ/٧١٠م:	١٤٤
١- خروج الحملة من العراق ووصولها إلى السند ٩٢هـ/٧١٠م:	١٤٤
٢- فتح الديبل:	١٤٦
٣- فتح نيرون:	١٥٣
٤- فتح سيوستان:	١٥٧
٥- فتح سيويس:	١٥٨
٦- فتح أشبهار:	١٦١
الفصل الخامس: عبور حملة محمد بن القاسم نهر السند وفتح المناطق الشرقية:	١٦٣- ٢٠٠

أولاً- المفاوضات والحرب الباردة بين محمد بن القاسم وداهر:	١٦٤
ثانياً- عبور الجيش الإسلامي لنهر السند:	١٦٨
ثالثاً- معركة الضفة الشرقية لنهر السند ٩٣هـ/٧١٢م:	١٧١
رابعاً- فتح حصن راور ٩٣هـ/٧١٢م:	١٧٧
خامساً- فتح برهمناباد ٩٤هـ/٧١٣م:	١٧٩
سادساً- فتح العاصمة أرور ٩٥هـ/٧١٣م:	١٨٦
سابعاً- فتح المولتان ٩٥هـ/٧١٣م:	١٩٠
ثامناً- فتح الكيرج ٩٥هـ/٧١٣م:	١٩٣
تاسعاً- توقف حملة محمد بن القاسم ٩٦هـ/٧١٤م:	١٩٤
عاشراً- وجهة نظر في موت الخليفة الوليد والحجاج:	١٩٥
الفصل السادس: فتوحات السند والهند منذ وفاة الخليفة الوليد حتى نهاية العصر الأموي:	٢٠١- ٢٣١
أولاً- فتوحات السند والهند في عهد سليمان بن عبد الملك ٩٦- ٩٩هـ/٧١٤- ٧١٧م):	٢٠٣
١- عزل محمد بن القاسم الثقفي عن قيادة جبهة السند والهند:	٢٠٣
٢- تطورات الأحداث في جبهة الهند والسند بعد عزل محمد بن القاسم:	٢٠٦

٣- تعيين حبيب بن المهلب على جبهة السند والهند (٩٧-٩٨هـ/٧١٥م):	٢٠٧
ثانياً- فتوحات السند والهند في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م):	٢١٠
١- ولاية عمرو بن مسلم الباهلي على السند والهند:	٢١١
ثالثاً- فتوحات السند والهند في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩- ٧٢٣م):	٢١٤
١- استيلاء يزيد بن المهلب على ولاية العراق:	٢١٤
٢- تغلب آل المهلب على السند:	٢١٥
٣- أوضاع السند والهند حتى نهاية عهد يزيد بن عبد الملك:	٢١٦
رابعاً- فتوحات السند والهند في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٣- ٧٤٣م):	٢١٨
١- ولاية الجنيد بن عبد الرحمن على السند والهند (١٠٥-١١١هـ/٧٢٣-٧٢٩م):	٢١٨
٢- ولاية تميم بن زيد القيني على السند والهند ١١١- ١١٢ هـ/٧٢٩ - ٧٣٠م:	٢٢١
٣- ولاية الحكم بن عوانة الكلبي على السند والهند ١١٢-١٢١هـ/٧٣٠- ٧٣٨م:	٢٤١

٤- ولاية عمرو بن محمد بن القاسم على السند والهند ١٢١-١٢٥هـ/٧٣٨- ٧٤٣م:	٢٢٥
خامساً- ولاية السند والهند منذ وفاة الخليفة هشام حتى سقوط الدولة الأموية ١٢٥-١٣٢هـ/٧٤٢- ٧٥٠م:	٢٢٧
١- ولاية السند والهند في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥- ١٢٦هـ/٧٤٣- ٧٤٣م:	٢٢٧
٢- ولاية السند والهند في عهد خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأخيه إبراهيم ١٢٦- ١٢٧هـ/٧٤٤-٧٤٥م:	٢٢٨
٣- ولاية السند والهند في عهد الخليفة مروان بن محمد ١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٥- ٧٥٠م:	٢٢٩
الفصل السابع: الآثار والنتائج العامة للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:	٢٣٢- ٢٥٤
أولاً- الآثار والنتائج السياسية والإدارية والعسكرية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:	٢٣٣
أ - الآثار والنتائج السياسية والإدارية:	٢٣٣
ب - الآثار والنتائج العسكرية:	٢٣٨
ثانياً- الآثار والنتائج الدينية والاجتماعية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:	٢٤١
ثالثاً- الآثار والنتائج الاقتصادية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:	٢٤٨

رابعاً- الآثار العمرانية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:	٢٥٢
خاتمة:	٢٥٥- ٢٦٨
الملاحق:	٢٦٩- ٢٧٨
قائمة المصادر والمراجع:	٢٧٩- ٣٢٣
ملخص باللغة الإنكليزية:	a

ملخص الرسالة

تتضمن رسالة " الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند منذ قيام الإسلام حتى نهاية العصر الأموي(١٣ق.هـ-١٣٢هـ/٦١٠-٧٥٠م)" شرحاً وافياً عن تاريخ بلاد السند والهند قبل الفتوحات الإسلامية، بالإضافة إلى البحث في العلاقات العربية الهندية الضاربة جذورها في أعماق التاريخ، ولاسيما العلاقات الاقتصادية، حيث كان العرب أسياد الملاحة في المحيط الهندي على مدى آلاف السنوات.

لقد دعا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لفتح بلاد السند والهند، وكان الملك جج بن سيلانج قد توصل إلى حكم أجزاء واسعة من تلك البلاد، واستمر في الحكم أربعين عاماً، وانتهى عهده مع نهاية العصر الراشدي في ديار العرب والإسلام، وقد تخلل هذا العصر إرسال عدة حملات من الخلفاء الراشدين، كان أبرزها الحملات البحرية التي أرسلها عثمان بن أبي العاص في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ما أن استقرت الأمور للخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، حتى بدأ بتجهيز الحملات العسكرية لفتح بلاد السند والهند، إلا أنها لم تستطع أن تتجاوز إقليم مكران، ولكن مجيء الحجاج بن يوسف الثقفي إلى ولاية العراق، أحدث نقلة نوعية في الجبهة الشرقية بشكل عام وجبهة السند والهند بشكل خاص، حيث أدرك هذا الرجل ضرورة تجهيز حملة كبيرة لفتح تلك البلاد، وهذا تطلب موافقة الخليفة الوليد بن عبد الملك، بالإضافة إلى الحصول على دعمه العسكري، والمادي لتغطية نفقات الحملة، كما اختار قائداً فذاً لهذه الحملة هو محمد بن القاسم الثقفي، الذي استطاع فتح أجزاء واسعة من بلاد السند والهند، وضمها إلى الدولة الأموية.

اضطربت أوضاع السند والهند بعد عزل محمد بن القاسم عن الولاية في عهد سليمان بن عبد الملك، إلا أنها كانت تعود إلى الاستقرار مع مجيء ولاة أقوياء، وأبرزهم الجنيد بن عبد الرحمن، الذي استطاع فتح مناطق جديدة في تلك البلاد، ولاسيما إقليم الكجرات، وقد استطاع منصور بن جمهور الكلبي الاستقلال بولاية السند والهند في آخر أيام الدولة الأموية، إلى أن قضى عليه العباسيون وضموا هذه الولاية لهم.

لقد كان للفتوحات الإسلامية في بلاد السند والهند آثارٌ كبيرةٌ، شملت المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية، كما أظهرت هذه الفتوحات الجانب الأخلاقي للمسلمين في تعاملهم الإنساني مع سكان البلاد، في دلالة واضحة على مدى رقي الحضارة العربية والإسلامية.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ الأخيار المنتجبين، أما بعد:

يعدّ العصر الأموي من أبهى العصور في تاريخ العرب والمسلمين، حيث وصلت فيه حدود دولة العرب والمسلمين أقصى اتساع لها، وذلك بفضل قادة عظام سخرهم الله لخدمة هذه الأمة، فعملوا على نشر الحضارة العربية والإسلامية في مختلف أصقاع الأرض شرقاً وغرباً، سلاحهم العقيدة السليمة، وأرواحهم التي نذروها لله تعالى.

على الرغم من ذلك فقد تعرض العصر الأموي للتشويه لا من بعض المستشرقين فحسب، بل للأسف من بعض المؤرخين العرب والمسلمين، ويعود ذلك إلى عدة أسباب، أولها أن العباسيين لم يكتفوا بنبش قبور الخلفاء الأمويين وحرق جثثهم من جهة، وقتل وملاحقة من بقي من أفراد هذه الأسرة على قيد الحياة من جهة أخرى، بل عملوا على تدمير تراثهم الفكري، وإخفاء إنجازاتهم الحضارية في مختلف الصعد، فلم يصل إلى الباحثين أية مخطوطات تاريخية من العصر الأموي، فكل ما وصل للباحثين عن العصر الأموي إنما دوّن في العصر العباسي، وهنا كان للعداء بين العباسيين والأمويين دورٌ أساسيٌ في كتابة التاريخ الأموي، بالإضافة إلى دور العناصر غير العربية ومعاداتهم للعرب في تشويه هذا التاريخ، حيث من المعلوم أن العصر الأموي كان عصراً عربياً بامتياز، وبالتالي يمكن القول أن تشويه التاريخ الأموي يعدّ من أكبر عمليات التزوير في التاريخ، وكم يشعر المرء بالمرارة حين يرى أن هذه العملية ما تزال مستمرة حتى هذا اليوم، وهذا ما حاولت هذه الأطروحة معالجته من بعض الجوانب، وذلك من خلال قضية الفتوحات الإسلامية في بلاد السند والهند.

تعدّ الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند، صفحة مشرقة من صفحات الدولة الأموية، يستطيع الباحث من خلالها معرفة مدى قوة هذه الدولة، وتفوقها في جميع المجالات، بالإضافة إلى التأكيد على كفاءة عدد من الخلفاء الأمويين، وولاتهم في أنحاء الدولة المختلفة، وعلى رأسهم الوليد بن عبد الملك، ووالية على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي.

تضرب العلاقات بين العرب والهنود جذورها في أعماق التاريخ، وكانت هذه العلاقات تقوم على قواعد راسخة، أساسها السلام والمصالح الاقتصادية المشتركة بين الطرفين، حيث كان العرب يجوبون سواحل شبه الجزيرة الهندية، فكانوا رسل حضارة وسلام، ينقلون المنتجات الهندية إلى سائر أنحاء العالم آنذاك، وفي الوقت نفسه ينقلون إلى القارة الهندية المنتجات العربية والإفريقيّة المختلفة.

بعد ظهور الإسلام استمرت العلاقات بين الجانبين، وانتشر الإسلام في عدة مناطق من شبه الجزيرة الهندية، وذلك نتيجة النشاط التجاري العربي في تلك البلاد، وقد بدأ المسلمون التفكير جدياً بفتح شبه الجزيرة الهندية منذ العصر الراشدي، نظراً لقربها من سواحل شبه الجزيرة العربية موطن الإسلام الأول، فكانت أولى المحاولات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والتي تمثلت بحملات بحرية ناجحة، قادها الصحابي عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، وهذا يؤكد على أن العرب امتلكوا أسطولاً بحرياً لا يستهان به منذ عصر ما قبل الإسلام، فضلاً عن امتلاكهم خبرة كبيرة في الأعمال البحرية، ليس على الصعيد التجاري فحسب، بل على الصعيد العسكري أيضاً، كما حصلت حملات عسكرية برية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والإمام علي كرم الله وجهه.

ازدادت وتيرة الاهتمام بفتح بلاد السند والهند في العصر الأموي، حيث قام معاوية بن أبي سفيان بإرسال المهلب بن أبي صفرة، الذي استطاع الوصول إلى ما بين المولتان وكابل، كما تم إرسال حملات أخرى دون أن تستطيع فتح تلك البلاد.

أما الفتح الأكبر للسند والهند، فقد حصل في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، حيث شغل الحجاج دوراً محورياً في تلك الفتوحات، إلى درجة يمكن القول أنه كان القائد الفعلي للحملة التي أرسلها إلى تلك البلاد، تحت إمرة محمد بن القاسم، وذلك من خلال متابعته الدقيقة لمجريات الفتح، وقد تكللت تلك الجهود بالنجاح، فأصبح جزءاً من القارة الهندية، ولاية تتبع للدولة الأموية.

بعد وفاة الخليفة الوليد، وتسلم أخيه سليمان سدة الحكم، توقفت الفتوحات في بلاد السند والهند، ولكن انتشار الحضارة العربية والإسلامية لم يتوقف، حيث دخل قسماً كبيراً من الهنود في

الإسلام، ولاسيما في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، لتعاود الفتوحات نشاطها مع استلام الخليفة هشام سدة الحكم.

ومع اضطراب أوضاع الدولة الأموية بوفاة هشام بن عبد الملك، وتسلم خلفاء ضعاف عرش الدولة الأموية، تراجعت سيطرة العرب والمسلمين في شبه الجزيرة الهندية، إلى أن استقل بها منصور بن جمهور الكلبي، حيث استمرت سيطرته في تلك البلاد إلى ما بعد سقوط الدولة الأموية في دمشق.

لم يكن الوجود العربي والإسلامي في بلاد السند والهند، وجوداً عسكرياً فحسب، بل ترك أثره في جميع المجالات، ولاسيما الاجتماعية، والعمرانية، والاقتصادية، وغير ذلك من المجالات، وبالتالي فقد كان الفتح العربي والإسلامي لتلك البلاد، فتحاً حضارياً بامتياز، وذلك بشهادة الهنود أنفسهم.

تتجلى أهمية هذا البحث في التعرف على أحوال بلاد السند والهند قبل الإسلام، ولاسيما في المجالات السياسية والاقتصادية والدينية، وعلاقاتها مع البلاد العربية في مختلف المجالات، لأن ذلك يعدّ مدخلاً هاماً وأساسياً لفهم الأسباب والدوافع للحملات الإسلامية إلى شبه الجزيرة الهندية.

بالإضافة إلى التعرف على مصير ونتائج الحملات المتتالية التي أرسلها المسلمون لفتح بلاد السند والهند، بدءاً من العصر الراشدي حتى نهاية العصر الأموي، ولاسيما الحملة الكبرى التي قادها محمد بن القاسم الثقفي، وكذلك إلقاء الضوء على أحد الجوانب المشرقة في شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي، والذي يتمثل بإدارته لهذه الجبهة، والفراغ الكبير الذي تركه بعد موته، وبالتالي معالجة التشويه الذي طال هذه الشخصية من قبل العديد من المؤرخين والباحثين، إضافة إلى إظهار الجانب الحضاري للمسلمين من خلال التعامل الإنساني مع الهنود، وما تركوه من آثار في مختلف المجالات، فضلاً عن أن هذه الأطروحة استندت إلى بعض المصادر والمخطوطات التي تنشر للمرة الأولى، ولاسيما تاريخ الوثابي، وقطعة من مخطوطة جامع التواريخ لرشيد الدولة الهمذاني، وغير ذلك من المصادر.

أما عن أسباب اختيار موضوع البحث فهي عديدة، أولها أن قضية الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند، لم تلقَ الاهتمام الذي تستحقه من قبل الباحثين في تاريخ العرب والإسلام، حيث اهتم المؤرخون بالفتوحات الإسلامية في العراق التي أدت إلى القضاء على الإمبراطورية الفارسية، بالإضافة إلى اهتمامهم بفتوحات الشام، والتي أنهت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية على تلك البلاد، ولكن لا يجد المرء الاهتمام نفسه في الجبهة الشرقية بشكل عام، وفي بلاد السند والهند بشكل خاص، على الرغم من أن الفتوحات الإسلامية في تلك البلاد أدت إلى القضاء على مملكة عظيمة هي مملكة السند، وما شكلته تلك المملكة من خطر وتهديد للإسلام والمسلمين، سواءً في البر أو البحر.

بالإضافة إلى ذلك ومن الأسباب الرَّئيسة لاختيار موضوع البحث، تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة حول قضية الفتوحات الإسلامية في السند والهند، من خلال بيان الأسباب الحقيقية التي دعت المسلمين إلى التوجه لفتح تلك البلاد، للرد على بعض الكتابات التي تدعي بأنها عمليات غزو عسكري.

ومن الأسباب الأخرى تصحيح بعض المغالطات التاريخية الأخرى، وعلى رأسها أن أول معركة بحرية للعرب والمسلمين جرت في العصر الأموي، وهو ما تم تصحيحه في هذه الأطروحة، من خلال الحملات البحرية الإسلامية إلى شبه الجزيرة الهندية، والتي حصلت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانطلاقاً من ذلك التعرف على النشاط البحري للعرب قبل الإسلام.

كما أن موضوع البحث يطرح عدة إشكاليات، وأبرزها:

١- هل استفاد المسلمون من الصراعات الموجودة بين طوائف السند والهند المختلفة، ولاسيما بين الهندوس، والبوذيين؟
٢- هل استفاد المسلمون من نظام الطبقات العنصري، المتبع لدى طائفة الهندوس في شبه الجزيرة الهندية، في كسب بقية الطبقات إلى جانبهم؟
٣- كيف استطاع محمد بن القاسم الثقفي الدخول إلى بلاد شاسعة، كبلاد السند والهند، وفتح مدن كبرى في تلك البلاد، مجهزة بأفضل التحصينات العسكرية؟

٤- هل كان الدافع الاقتصادي مقدماً على الدافع الديني في هذه الفتوحات؟

٥- ما هي السياسة التي اتبعها محمد بن القاسم الثقفي في إدارته للمناطق المفتوحة؟

٦- كيف تعامل المسلمون مع أتباع الديانتين الهندوسية والبوذية، وغيرهم من أتباع الديانات في شبه القارة الهندية، وهم ليسوا أهل كتاب؟

٧- ما هي أبرز الآثار والنتائج التي ترتبت على الفتوحات العربية والإسلامية في بلاد السند والهند؟

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهت هذا البحث، فتمثلت في قلة المصادر الإسلامية التي ذكرت الفتوحات الإسلامية في السند والهند، بل يمكن القول أنها اقتصرت على كتاب فتح السند للكوفي، بالإضافة إلى ما ذكره البلاذري من صفحات قليلة عن تلك الفتوحات، بينما اكتفى خليفة ابن خياط، واليعقوبي، وغيرهما من المؤرخين بذكر بعض الروايات عن فتوح السند والهند، لا يستطيع الباحث من خلالها تكوين صورة متكاملة عن هذه الفتوحات، والتي امتدت من عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، حتى نهاية العصر الأموي، بالإضافة إلى صعوبات أخرى تمثلت بترجمة بعض المراجع باللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية، للحصول على معلومات تخدم موضوع البحث، فضلاً عن صعوبة الحصول على المراجع الهندية، ولكن هناك حقيقة لابد من ذكرها، وهي أن الكثير من الصعوبات قد تلاشت، حيث قيض الله تعالى لهذه الأطروحة مشرفاً، هو كبير المؤرخين العرب البروفيسور سهيل زكار، الذي تزيد مؤلفاته على الأربعمائة كتاب، وهذا من نعم الله تعالى على الباحث.

لقد تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية، ومن ثم تم العمل على تحليلها، واستقراء المعلومات من المصادر والمراجع الهامة، ونقدها بشكل علمي وموضوعي بناء، ومحاولة استنباط واستنتاج نتائج جديدة تبين الدور الحضاري للعرب والمسلمين في المحيط الهندي، والأسباب الحقيقة الكامنة خلف الفتوحات الإسلامية في السند والهند، وكيفية إدارة هذه المنطقة بعد الفتح، والتي أسست للوجود الإسلامي في هذه البلاد، بشكل أقرب ما يكون لحقيقة ما جرى.

أما فيما يخص خطة العمل، فقد تم تقسيم هذه الأطروحة إلى مقدمة، وتعريف بأهم مصادر ومراجع البحث، ومن ثم تمهيد تضمن نبذة عن شبه الجزيرة الهندية من الناحيتين الجغرافية والتاريخية، بالإضافة إلى سبعة فصول، وخاتمة تضمنت ملخصاً عن البحث وأبرز نتائجه، وبعد ذلك تم تخصيص قسم للملاحق، تضمن خرائط لشبه الجزيرة الهندية، وفي النهاية وضعت قائمة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية التي تم الاعتماد عليها في هذه الأطروحة.

أما بالنسبة لفصول الأطروحة السبعة، فقد تضمنت الآتي:

الفصل الأول: عالج أوضاع شبه الجزيرة الهندية قبيل الفتوحات الإسلامية، من النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والدينية، حيث اتضح أن أكثرية السكان في تلك البلاد كانوا من أتباع الديانة البوذية، ويرزحون تحت سلطة أقلية هندوسية، ويعانون من الظلم والاضطهاد السياسي والديني، كما تبين وجود مفارقة أخرى، فبينما كان للعرب علاقات واسعة ومزدهرة مع جنوب شبه الجزيرة الهندية، ولاسيما في السواحل، كانت مملكة السند في الشمال تضمر العداء للإسلام والمسلمين.

الفصل الثاني: تناول هذا الفصل موضوعاً هاماً، هو العلاقات بين شبه الجزيرة الهندية من جهة، والبلاد العربية قبيل الفتوحات الإسلامية من جهة أخرى، حيث كانت العلاقات مزدهرة بين الطرفين منذ مئات السنين قبل الميلاد، والتي استمرت بعد ظهور الإسلام، ولاسيما في أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كما كان للهنود دورٌ ملحوظٌ في حروب الردة، التي حصلت في عهد أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

الفصل الثالث: عالج هذا الفصل الحملات الإسلامية إلى بلاد السند والهند في العصر الراشدي، بالإضافة إلى الحملات التي أرسلت في العصر الأموي، قبيل حملة محمد بن القاسم الثقفي، حيث سيتم بيان أن العرب والمسلمين كانوا يمتلكون أسطولاً بحرياً في المحيط الهندي، والذي تم استخدامه في إرسال حملات بحرية إلى سواحل شبه الجزيرة الهندية، بالإضافة إلى أهمية الحملات التي جرت في بداية العصر الأموي، والتي مهدت للحملة الكبرى التي قادها محمد بن القاسم.

الفصل الرابع: تناول حملة محمد بن القاسم الثقفي إلى بلاد السند والهند، وفتحه للمناطق الواقعة غربي نهر السند، وقبل ذلك تقديم لمحة عن أوضاع الخلافة الأموية في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، ثم الحديث بشكل مفصل عن الأسباب التي دعت العرب والمسلمين لفتح شبه الجزيرة الهندية، وبعد ذلك إشراف الحجاج بن يوسف على تجهيز الحملة بكافة المستلزمات، ومن ثم انطلاقها إلى تلك البلاد، حيث سقطت المدن السندية الواحدة تلو الأخرى، حتى وصل محمد بن القاسم إلى ضفة نهر السند، منتظراً أوامر الحجاج بن يوسف للعبور إلى الضفة الأخرى، وملاقاة جيش داهر ملك السند.

الفصل الخامس: عالج هذا الفصل فتح المناطق الواقعة شرقي نهر السند، حيث عبر المسلمون النهر، والتقوا مع قوات داهر، وانزلوا بها هزيمة كبرى، في معركة الضفة الشرقية لنهر السند، ومن ثم استطاع المسلمون فرض سيطرتهم على المدن الكبرى شرقي نهر السند، ولاسيما العاصمة أرور، والمولتان، وبرهمناباد، وغيرها من المدن والمناطق الهامة، ولكن موت الحجاج، ومن بعده الخليفة الوليد، أدى إلى توقف الفتوحات في السند والهند.

الفصل السادس: تناول هذا الفصل قضية الفتوحات الإسلامية في السند والهند، منذ عهد سليمان بن عبد الملك، حتى نهاية العصر الأموي، حيث تولى هذه الولاية عدد من الولاة والقادة، وقد استطاع أحدهم وهو الجنيد بن عبد الرحمن، أن يقود الجيوش لفتح المزيد من المناطق في تلك البلاد، كما تم بناء مدن جديدة على الطراز الإسلامي في عهد ولاة آخرين، ولكن في الوقت نفسه تعرضت هذه الولاية إلى بعض الاضطرابات، حيث تمرد بعض القادة السنديين على الحكم الإسلامي، كما تغلب عليها آل المهلب حيناً، ومنصور بن جمهور الكلبي حيناً آخر، واستمر الأخير إلى ما بعد سقوط الخلافة الأموية، وتولي العباسيون مقاليد الخلافة.

الفصل السابع: تم تخصيص هذا الفصل لبيان أبرز الآثار والنتائج للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند، على مختلف الصعد: السياسية والإدارية، والدينية والاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية.

وفي النهاية لابد من توجيه أسمى آيات الاحترام والعرفان لنجم يسطع في سماء العالمين العربي والإسلامي، هو الأستاذ الدكتور سهيل زكار، الذي أشرف على هذا العمل بكافة تفاصيله، ومد البحث بكل ما يلزم من ملاحظات وتوجيهات ساهمت في إغناء البحث، بالإضافة إلى أنه عمل على تأمين المصادر والمراجع من مكتبته التاريخية الضخمة، وبالتالي فإنه كان وسيبقى المعلم والملهم، والمثل الأعلى، والأب الحنون، وختاماً لابد من سؤال الله تعالى ودعائه، بأن يمده بالصحة والعافية، وأن يطيل في عمره، ليبقى نبعاً لا ينضب لكل طالب علم، وذخراً للأمتين العربية والإسلامية.

وأخيراً كل الشكر لأعضاء لجنة الحكم الموقرين، حيث ستكون ملاحظاتهم القيمة موضع الاهتمام والتقدير، لتدارك أي نقص أو خلل في هذه الأطروحة، لكي تبصر النور، وهنا لابد من التنويه أن الأستاذة الدكتورة فايزة كلاس، والأستاذ الدكتور عمار النهار، قد أشرفا على تدريس الباحث في المرحلة الجامعية، وفي السنة الأولى للماجستير، وبالتالي لهما فضل لا ينسى، والشكر الجزيل للدكتور جميل جمول، الذي تكبد عناء السفر من حلب الحبيبة، وتفضل بقبول الحكم على هذه الأطروحة، والشكر موصول للدكتورة ناهد حسين لقراءتها هذه الأطروحة، ومشاركتها في الحكم عليها، والله ولي التوفيق.

تعريف نقدي بأهم مصادر ومراجع البحث:

تم الاعتماد في هذه الأطروحة على عدد من المصادر التاريخية والجغرافية الهامة، وقد تم ترتيبها حسب سنة وفاة المؤلف، بالإضافة إلى ذلك تمت الاستعانة بعدد من المراجع العربية والهندية، والتي تم ترتيبها حسب أهميتها ومقدار الاعتماد عليها في البحث.

أولاً: المصادر التاريخية:

١- ابن خياط: هو أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري، نشأ في البصرة، وتوفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م(١)، ومن أبرز مؤلفاته: تاريخ خليفة بن خياط(٢)، والطبقات(٣)، ويعدان من أقدم المصادر الإسلامية التي وصلت إلى الباحثين.

تم الاعتماد على هذين الكتابين بشكل كبير في هذه الأطروحة، ولاسيما تاريخ خليفة، حيث اعتمد فيه خليفة على طريقة الحوليات، وبالتالي فقد تناثرت أخبار فتوحات المسلمين في بلاد السند والهند في صفحات الكتاب، فقد ذكر أحداث كل عام على حدة، مبيناً أسماء الولاة، وأهم المعارك في جبهة السند والهند.

من خلال ذلك يمكن للباحث القول: أن أبرز الفوائد التي تم تحصيلها من هذا المصدر القيم، تمثلت في معرفة أسماء الولاة والقادة، وتاريخ توليتهم وعزلهم عن ولاية السند والهند، بالإضافة إلى ضبط تواريخ الحملات العسكرية إلى شبه القارة الهندية، وتواريخ فتح المدن والأنحاء المختلفة في تلك البلاد.

---

(١)- انظر ترجمته عند ابن خلكان(أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص٢٤٣؛ ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): تهذيب التهذيب، دار المعارف النظامية، ط١، الهند، (د.ت)، ج٢، ص٩٦؛ السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٩٣؛ أبو بكر(زيد): طبقات النسابين، دار الرشيد، ط١، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٦٠.

(٢)- تح: سهيل زكار، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٣)- تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

ولكن ما يؤخذ على ابن خياط في تأريخه لفتوح السند والهند، أنه أهمل ذكر الحملات البحرية، التي قادها عثمان بن أبي العاص في عام ١٥هـ/٦٣٦م، أثناء خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذكرتها مصادر أخرى، ولاسيما الكوفي، والبلاذري، إلا أن ابن خياط بدأ تغطيته لفتوحات السند والهند منذ عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، بالإضافة إلى ذلك فقد اكتفى ابن خياط في معظم الأحيان، بذكر اسم المعركة التي خاضها المسلمون في تلك البلاد، أو بفتح مدينة معينة هناك، دون الخوض في أية تفاصيل أخرى، وبالتالي فإن تأريخه لفتوحات السند والهند اتسم بالاختصار.

– **البلاذري:** هو أحمد بن يحيى بن جابر، نشأ في بغداد، وزار عدة مدن في العراق والشام، وكان واسع الاطلاع، وهو مؤرخ وجغرافي ونسابة، توفي سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م(١)، وقد تم الاعتماد في هذه الأطروحة على كتابين للبلاذري، فتوح البلدان(٢)، وأنساب الأشراف(٣)، ولكن تم الاعتماد بشكل رئيس على كتاب فتوح البلدان، الذي يعد من أقدم المصادر الإسلامية التي اختصت بتاريخ الفتوحات الإسلامية، وأكثرها قيمة ودقة، وقد أولى البلاذري فتوح السند والهند أهمية كبيرة، وخصص لها فصلاً من كتابه، ومما يميز كتاب فتوح البلدان عن كتاب فتح السند للكوفي، أن البلاذري عمل على تغطية الفتوحات الإسلامية في تلك البلاد إلى ما بعد نهاية العصر الأموي.

على الرغم من الأهمية البالغة لكتاب فتوح البلدان، إلا أن البلاذري ذكر فتوح السند بعجالة، ولم يذكر أية مفاوضات جرت بين المسلمين من جهة، والسنديين من جهة أخرى، كما أنه ذكر فتح بعض المدن الهامة في السند بشكل عابر، وهذا الأمر ينسحب على تغطيته لمجريات المعارك

---

(١)- انظر ترجمته عند الحموي(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٢، ص٥٣٠؛ الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١٣، ص١٦٢؛ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٦٩٣.

(٢)- تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣)- تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

التي خاضها المسلمون في تلك البلاد، ولاسيما معركة الضفة الشرقية لنهر السند.

بالإضافة إلى ذلك فقد أهمل البلاذري ذكر تواريخ الأحداث، باستثناء البعض منها، ولكنه حرص على ذكر الأحداث التي حصلت في عهد كل خليفة على حدة، ولكن من المعلوم أن هناك خلفاء في العصر الأموي تسلموا الخلافة ما يقارب العشرين عاماً، مثل معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وبالتالي فإن هذا الأمر ترك خللاً كبيراً عند المتتبع لسير الأحداث، تم تداركه في هذه الأطروحة من مصادر أخرى، كما أن البلاذري أهمل ذكر بعض الأحداث في فتوح السند والهند، ومنها عدم ذكره لتجهيز محمد بن القاسم الجيش الإسلامي لفتح مملكة قنوج، هذا المشروع الذي توقف مع استلام سليمان بن عبد الملك للخلافة الأموية.

٣- اليعقوبي: هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، ولد في بغداد، وتنقل بين أرمينيا، وخراسان، وشبه الجزيرة الهندية، وشبه الجزيرة العربية، وبلاد الشام، ومصر، ومن أشهر مؤلفاته، "تاريخ اليعقوبي"(١)، وكتاب "البلدان"(٢)، وقد توفي اليعقوبي عام ٢٨٤هـ/٨٩٧م(٣).

تم الاعتماد في هذه الأطروحة على كتاب البلدان، للتعريف بعدد من مدن شبه الجزيرة الهندية، ولكن تم الإفادة بشكل أكبر من تاريخ اليعقوبي، وقد ذكر اليعقوبي الأحداث التي جرت في عهد كل خليفة على حدة، وبالتالي فإن تاريخ اليعقوبي يفتقد لوحدة الموضوع.

انفرد اليعقوبي بذكر أن الحملات الإسلامية إلى بلاد السند والهند، بدأت منذ عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وليس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما ورد عند

---

(١)- دار صادر، بيروت، (د.ت).

(٢)- مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م.

(٣)- انظر ترجمته عند الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٥٥٧؛ الخليفي(شيخة أحمد): اليعقوبي والعصر الأموي في كتابه تاريخ اليعقوبي، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، العدد: ١٣، جامعة قطر، الدوحة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢١٨؛ الزركلي(خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٩٥.

الكوفي، والبلاذري، وبالتالي يبدو أنه وقع في وهم في تأريخه لتلك الحملات.

بالإضافة إلى ذلك فقد أهمل اليعقوبي ذكر أخبار الفتوح الإسلامية في إقليم مكران السندي في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، متناسياً أن هذا الإقليم أصبح تحت السيطرة الإسلامية الكاملة في هذا العهد، وتم تعيين والٍ يمثل دار الخلافة الإسلامية، في دلالة على استقرار المسلمين فيه، وقد وردت تلك الحملات في أمهات المصادر الإسلامية ولاسيما الطبري، كما أن اليعقوبي أهمل ذكر الحملة العسكرية للسند والهند في عهد الإمام علي كرم الله وجهه، والتي أوردها البلاذري، وابن خياط، والكوفي.

أما بالنسبة لتأريخه لحملة محمد بن القاسم الثقفي، فقد أهمل ذكر العديد من الأحداث الهامة، ولاسيما فتح المدن الكبرى، مثل: برهمناباد، والمولتان، ولكن في الوقت نفسه قدم تفاصيل وافية عن بعض الحملات لبلاد السند والهند، التي حصلت في عهود الخلفاء الذين حكموا بعد الوليد بن عبد الملك، حتى نهاية العصر الأموي، بالإضافة إلى ذلك فإن اليعقوبي تعرض لقيام المسلمين ببناء مدينتي المحفوظة، والمنصورة في تلك البلاد، وبالتالي لم يقتصر اليعقوبي على ذكر الأعمال العسكرية، وفتح المدن فحسب، بل تعرض للإنجازات الحضارية والعمرانية للمسلمين في شبه الجزيرة الهندية.

٤- الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، يعدّ من كبار المؤرخين المسلمين، وهو بالإضافة إلى ذلك فقيه ومفسر، ولد في طبرستان عام ٢٢٤هـ/٨٣٩، ونشأ في مدينة بغداد، رحل إلى عدة بلدان وأبرزها الشام ومصر، له العديد من المصنفات في مجال التفسير والتاريخ، ويعدّ تاريخه الشهير "تاريخ الرسل والملوك"(١)، من أفضل كتب التاريخ الإسلامي وأوثقها، توفي الطبري عام ٣١٠هـ/٩٢٢م(٢).

---

(١)- دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

(٢)- انظر ترجمته عند القفطي(جمال الدين أبي الحسن علي ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م): المحمدون من الشعراء تح: حسن معمري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باريس، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص١٨٧؛ السبكي(تاج الدين بن علي ابن عبد الكافي ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد=

اعتمد الطبري على المنهج الحولي في كتابه "تاريخ الرسل والملوك"، وبالتالي لا يجد الباحث مادة تاريخية متماسكة في تاريخ الرسل والملوك عن الفتوحات الإسلامية في شبه القارة الهندية، بل تتناثر أخبارها في أجزاء الكتاب، فقد أرخ لحملات السند والهند منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولكنه أهمل الحملات البحرية إلى سواحل شبه القارة الهندية بقيادة عثمان ابن أبي العاص.

أما تأريخه للحملات الإسلامية لبلاد السند والهند في العصر الأموي، فإن المرء يشعر بالدهشة والاستغراب، فقد جاء ذكر الطبري للأحداث مقتضباً للغاية، حيث لم يذكر الطبري من حملة محمد بن القاسم الثقفي، إلا مقتل داهر ملك السند، بالإضافة إلى فتح مدينة المولتان، على عكس تأريخه للفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، التي أفرد لها صفحات عديدة، على الرغم من أنها جرت بالتاريخ نفسه لفتوحات السند والهند، ولكن الطبري عاد وتوسع في ذكر أخبار آخر والٍ أموي على السند.

بالإضافة إلى الاستفادة من الشذرات التي ذكرها الطبري عن الفتوحات الإسلامية في شبه القارة الهندية، فقد أمكن الاستفادة من تاريخ الرسل والملوك في ذكر أخبار الخلفاء الأمويين، وولاة العراق، وما لذلك من أهمية بالغة، نظراً لانعكاس الأحداث التي تحصل في العراق، على مجريات الفتوحات في السند والهند.

٥- المسعودي: هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، وهو مؤرخ وجغرافي، ولد في مدينة بغداد، وأقام في مصر، وصنف العديد من المؤلفات، أبرزها: "مروج الذهب ومعادن الجوهر"(١)،

= الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، ط٢، جمهورية مصر العربية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج١، ص٦٠؛ ابن الجزري(شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م): غاية النهاية في طبقات القراء، تح: دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج٢، ص٩٦؛ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج٧، ص٢٥؛ طاش كبري زاده(أحمد بن مصطفى بن خليل ت ٩٦٨هـ/١٥٦١م): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، مج١، ص٢٣٢؛ حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٤٣٧.

(١)- المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

"التنبيه والإشراف"(١)، "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران"(٢)، وقد توفي المسعودي سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م(٣).

تمت الإفادة من كتب المسعودي في التعرف على جغرافية شبه القارة الهندية، والجزر المحيطة بها، بالإضافة إلى ما يوجد فيها من حيوانات ونباتات، وتقديم معلومات وافية عن استخدام الهنود للفيلة في المعارك، كما أفيد من كتب المسعودي في التعرف على الطرق التجارية التي سلكها العرب والمسلمون في المحيط الهندي، واختيار التوقيت المناسب لتلك للرحلات التجارية، لكي تتوافق مع هبوب الرياح الموسمية، فضلاً عن تقديم معلومات تاريخية قيمة، تتعلق بولاية الحجاج على العراق.

ولكن المسعودي وعلى الرغم من معرفته الكبيرة بشبه القارة الهندية، إلا أنه أهمل ذكر الفتوحات الإسلامية في تلك البلاد، فلا يجد الباحث أية رواية تاريخية عن تلك الفتوحات، سواءً في العصر الراشدي، أو في العصر الأموي، حيث اقتصر على ذكر تغلب آل المهلب على بلاد السند.

٦- البيروني: هو أبو الريحان محمد بن أحمد، ولد عام ٣٦٢هـ/٩٧٣م، نشأ في خوارزم، وتنقل بين عدة بلدان، إلا أنه استقر في شبه القارة الهندية حوالي أربعين عاماً، وبالتالي كان لديه اطلاع واسع على عقائد الهنود وعاداتهم، بالإضافة إلى امتلاكه معلومات واسعة عن تاريخ البلاد وجغرافيتها، كما أتقن البيروني عدة لغات، مما انعكس على غزارة علومه وثقافته، وقد استطاع

---

(١)- مطبعة بريل، ليدن، ١٣١١هـ/١٨٩٣م.

(٢)- دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٣)- انظر ترجمته عند الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٦٩؛ الكتبي(محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص١٢؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٤٥٦؛ ابن تغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٣، ص٣٦٠؛ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج٥، ص٥٣١.

تأليف الكثير من الكتب، أبرزها " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"(١)، "الجماهر في معرفة الجواهر"(٢)، وغيرها من المؤلفات النفيسة، وقد توفي البيروني سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م(٣).

تمت الاستفادة من كتاب "تحقيق ما للهند" في هذه الأطروحة، في التعرف على جغرافية شبه الجزيرة الهندية، بالإضافة إلى أبرز العلوم التي برع فيها الهنود، ولاسيما الفلك، والكيمياء، فضلاً عن تقديم معلومات قيمة عن الأديان الموجودة في القارة الهندية، كما قدم معلومات هامة عن طبيعة المجتمع الهندي، وواقع المرأة فيه، بالإضافة إلى ذلك فقد تمت الاستفادة من كتابه "الجماهر في معرفة الجواهر"، في التعرف على بعض الأحداث التي سبقت، وترافقت مع حملة محمد بن القاسم الثقفي، إلا أنه ذكرها بإيجاز شديد، وذلك على الرغم من استقراره لسنوات طويلة في القارة الهندية.

٧- المرعشي: هو أبو منصور الحسين بن محمد، لا يعرف الكثير عن سيرة هذا المؤرخ سوى أنه كان ممن تقرب للسلطان محمود الغزنوي، وتوفي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م(٤)، له عدة مؤلفات وأهمها: " غرر السير"(٥)، ويعتقد البروفيسور سهيل زكار: أن المرعشي كان من أهل نيسابور، وأنه كان على درجة عالية من الثقافة.

---

(١)- مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

(٢)- مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).

(٣)- انظر ترجمته عند ظهير الدين البيهقي(علي بن زيد بن محمد ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م): تتمة صوان الحكمة، مجلس سنا، لاهور، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، ص٦٢؛ الحموي: معجم الأدباء، ج٥، ص٢٣٣٠؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت)، ج١، ص١٩٧؛ ابن أبي أصبيعة(موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص٤٥٩؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٥٠.

(٤)- انظر ترجمته عند الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٢٥٤؛ زيدان(جرجي): تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، جمهورية مصر العربية، (د.ت)، ج٢، ص٣١٨.

(٥)- تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

أفيد من هذا الكتاب في التعرف على أحوال الخلافة الأموية، وولاية العراق، ولاسيما قضية آل المهلب وتغلبهم على ولاية السند، بالإضافة إلى فتنة ابن الأشعث، فضلاً عن ذكر أخبار أخرى تتعلق بالحجاج بن يوسف الثقفي، ولكن ما يؤخذ على المرعشي أنه أهمل ذكر الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند، في حين أفرد عدة صفحات للحديث عن فتوحات قتيبة بن مسلم الباهلي في بلاد ما وراء النهر.

٨- الوثابي: هو أبو طاهر إسماعيل بن محمد بن أحمد، شاعر ومؤرخ، من أهل أصفهان، كان أحد فضلاء عصره، توفي سنة ٥٣٣هـ/١١٣٩م(١)، له كتاب "تاريخ الخلفاء"(٢)، وهو من المصادر الإسلامية الهامة.

تمت الإفادة من هذا المصدر الهام في عدة قضايا، وأبرزها ولاية الحجاج على العراق، وفتنة آل المهلب وسيطرتهم على بلاد السند، وبعض الأحداث التي وقعت في دار الخلافة بدمشق، بالإضافة إلى انفراد الوثابي ببعض الروايات، ولاسيما تهديد سليمان بن عبد الملك للحجاج بالقتل، في حال وصل إلى سدة الخلافة، وذلك أثناء خلافة أخيه الوليد.

٩-الكوفي: هو علي بن حامد بن أبي بكر، ولا توجد أية ترجمة لهذه الشخصية، سوى ما كتبه عن نفسه في بداية كتابه فتح السند(٣)، وتوفي الكوفي بعد سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، ومن خلال لقبه يمكن القول أنه نشأ في العراق، حيث أشار الكوفي أنه هاجر قسراً إلى السند دون ذكر السبب، وهناك عثر الكوفي على نسخة عربية لهذا الكتاب، فقام بترجمتها إلى الفارسية، دون أن يفصح عن اسم المؤلف، ولكنه أشار إلى أنه وجدها عند أسرة ثقفية في العاصمة أرور، وبالتالي من

---

(١)- السمعاني(أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، عمان، (د.ت)، ج٥، ص٥٧٤؛ ابن الأنباري(أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن محمد ت ٥٧٧هـ/١١٨١م): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامري، مكتبة المنار، ط٣، الأردن، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٨٧؛ الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٧٣٣.

(٢)- تح: سهيل زكار، (قيد النشر).

(٣)- تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الصعب على أي باحث معرفة اسم المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب، ولكن يمكن للباحث التكهن بأنه أحد أفراد قبيلة ثقيف.

تم الاعتماد على هذا الكتاب بشكل رئيس في هذه الأطروحة، ولاسيما في الفصل الخاص بتاريخ السند والهند قبيل الفتوحات الإسلامية، بالإضافة إلى الفصلين اللذين تم تخصيصهما لحملة محمد بن القاسم الثقفي، حيث انفرد الكوفي بذكر تفاصيل لا يجدها الباحث في أي مصدر إسلامي آخر، ولاسيما قضية المراسلات بين الحجاج ومحمد بن القاسم، والتي دلت على متابعة الحجاج الدقيقة لسير الفتوحات في هذه الجبهة، وأكدت على أن الحجاج رجل دولة، وشخصية سياسية وعسكرية من طراز نادر، بالإضافة إلى روايات أخرى تتعلق بالمفاوضات التي جرت بين داهر، ومحمد بن القاسم، فضلاً عن التوسع في تغطية انتصارات المسلمين في المعارك، ولاسيما معركة الضفة الشرقية لنهر السند، بالإضافة إلى دخول المسلمين إلى المدن السندية، وغيرها من الأحداث.

ينتهي كتاب الكوفي مع نهاية حياة محمد بن القاسم الثقفي، وكم كان يتمنى كل المهتمين بتاريخ الفتوحات في السند والهند، استمرار المؤلف في تغطية الفتوحات في هذه البلاد حتى نهاية العصر الأموي، على اعتبار أن الكتاب يعتبر مصدراً قريباً من تاريخ الفتوحات.

هناك أمر يزيد من أهمية هذا المصدر، وهو نقله روايات عن المؤرخ المدائني(١)، الذي لم تصل مؤلفاته التاريخية للباحثين في تاريخ العرب والإسلام، بالإضافة إلى روايات للمؤرخ الهذلي(٢)، فضلاً عن المصادر المحلية الهندية.

---

(١)- هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله، مؤرخ له الكثير من التصانيف، ولكنها مفقودة جميعاً، ولد في البصرة عام ١٣٥هـ/٧٥٢م، وتوفي عام ٢٢٥هـ/٨٤٠م. النديم(أبو الفرج محمد بن إسحاق ت ٣٨٤هـ/١٠٤٧م): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، مج١، ص١٤٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١٠، ص٤٠٠؛ أبو بكر: طبقات النسابين، ص٥٤.

(٢)- هو أبو بكر سلمى بن عبد الله بن سلمى، توفي عام ١٥٩هـ/٧٧٥م. الخطيب البغدادي(أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م): تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٩، ص٢٢٥؛ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج١٢، ص٤٠.

في الحقيقة وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة لكتاب الكوفي، إلا أن المؤلف وقع في بعض الوهم أحياناً، ولاسيما في قضية تحديد التواريخ الدقيقة لبعض الأحداث، ومثال ذلك ذكره: أن الإمام علي كرم الله وجهه، تولى خلافة المسلمين عام ٣٨هـ/٦٥٨م، في حين أن معظم المصادر الإسلامية تؤكد أن الإمام علي تولى الخلافة عام ٣٥هـ/٦٥٥م، بالإضافة إلى ذلك فقد وقع في وهم آخر عندما ذكر: أن خلافة معاوية بن أبي سفيان بدأت عام ٤٤هـ/٦٦٤م، بينما في الحقيقة أن خلافة معاوية بن أبي سفيان بدأت عام ٤١هـ/٦٦١م، وهنا يمكن للباحث القول أن الكوفي التبست عليه الأمور، بحيث عدّ تاريخ إرسال أول حملة إسلامية إلى السند في خلافة الإمام علي كرم الله وجهه، وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان، تاريخ استلام الرجلين للخلافة، ولكن في الوقت نفسه يجد الباحث أن الكوفي كان دقيقاً في معظم التواريخ الخاصة بحملة القائد محمد بن القاسم الثقفي.

وهناك أمر آخر لابد من الإشارة إليه، وهو استخدام الكوفي للزخرفة اللفظية أحياناً، وهو ما يميز الأدب الفارسي، بالإضافة إلى أنه استخدم الألقاب التي لم تكن معتمدة في العصر الأموي، بل تم استخدامها في عصور لاحقة، ويظهر ذلك جلياً عندما لقب محمد بن القاسم الثقفي، بعماد الدين، وبالتالي لا يستبعد أن يكون الكوفي قد قام ببعض الإضافات على النسخة العربية، ولكن دون أن يغير ذلك من المضمون الحقيقي للكتاب.

١٠- **ابن الأثير**: هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ولد عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وأمضى معظم حياته في الموصل، كما زار عدداً من المدن الشامية، له عدة مؤلفات أبرزها على الإطلاق كتاب "الكامل في التاريخ"(١)، وقد توفي ابن الأثير عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م(٢).

لقد اعتمد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ على المنهج الحولي، ولكنه استطرد أحياناً كثيرة في نقل الخبر، حتى وإن أدى ذلك إلى الخروج عن النطاق الزمني لتلك السنة، وهذا

---

(١)- تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢)- انظر ترجمته عند ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٤٨؛ القرشي(عبد القادر بن محمد ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م): الجواهر المضنية في طبقات الحنفية، كتب خانه، كراتشي، (د.ت)، ص٤٤٢.

ما فعله بالنسبة لنقله أخبار الفتوحات الإسلامية في السند والهند، حيث ذكر ابن الأثير حملة محمد ابن القاسم الثقفي كاملة في أحداث عام ٨٩هـ/٧٠٧م، على الرغم من أن الحملة استمرت عدة أعوام، ويبدو أنه وقع في وهم عندما حدد انطلاق الحملة في هذا العام، حيث تشير مصادر أخرى إلى أنها انطلقت عام ٩٢هـ/٧١٠م، ولاسيما خليفة بن خياط، والكوفي، وبعد ذلك قام ابن الأثير وذكر فتوحات السند منذ عزل محمد بن القاسم حتى نهاية العصر الأموي، وذلك ضمن أحداث عام ٩٥هـ/٧١٣م.

بالإضافة إلى ذلك، وعلى الرغم من أن ابن الأثير اعتمد في كتابه الكامل على المؤرخ الطبري في الكثير من الأحيان، إلا أن المادة العلمية التي قدمها عن الفتوحات الإسلامية في السند، تفوق ما قدمه الطبري.

إذا ما أراد المرء أن ينظر إلى تأريخ ابن الأثير لفتوحات المسلمين في شبه القارة الهندية، من خلال كتابه الكامل في التاريخ، بعين الباحث الناقد، يمكن القول أن ابن الأثير أهمل ذكر بعض الجوانب الهامة، ولاسيما عدم التعرض لمسألة التوزع الطائفي في شبه الجزيرة الهندية، والواقع الاجتماعي فيها، وما لذلك من تأثير كبير في سير الأحداث في جبهة السند والهند، والتي استغلها المسلمون بشكل مثالي لصالحهم.

١١- **النويري**: هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، نشأ وتلقى علومه في القاهرة، واشتهر بتنوع ثقافته، ولاسيما في مجال التاريخ والحديث والأدب، وعمل بعد ذلك في بلاط السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وتقلد عدة وظائف هامة، وألف موسوعته الشهيرة: " نهاية الإرب في فنون الأدب"(١)، وقد توفي النويري سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م(٢).

---

(١)- تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

(٢)- انظر ترجمته عند الأدفوي(جعفر بن ثعلب ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تح: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص٩٦؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص١٩٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٩٩.

تم الاعتماد على كتاب نهاية الإرب بشكل كبير في هذا الكتاب، وذلك من خلال عدة أجزاء منه، ولكن النويري لم يقدم أي مادة تاريخية جديدة فيما يخص الفتوحات الإسلامية في السند والهند، حيث نقل مادته التاريخية من كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، ويمكن القول أنه نقل الأحداث بشكل حرفي.

١٢- ابن كثير: هو عماد الدين إسماعيل بن عمر، ولد عام ٧٠١هـ/١٣٠٢م، وهو مؤرخ وفقيه، نشأ في دمشق، ورحل في طلب العلم إلى عدة مدن، أبرزها بغداد والقاهرة، واستطاع تصنيف العديد من المؤلفات، ولكن أبرزها كتابه التاريخي الضخم "البداية والنهاية"(١)، وقد توفي ابن كثير في مدينة دمشق عام ٧٧٤هـ/١٣٧٢م(٢).

اعتمد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية على المنهج الحولي، وقد أرخ لفتوحات المسلمين في السند والهند بشكل مقتضب، فقد اقتصر على ذكر بعض الأحداث الهامة، مثل فتح المسلمين لمدينة الديبل، ومقتل داهر، وفتح المولتان، والكيرج، ولكنه ذكر المحاولات الإسلامية لفتح شبه القارة الهندية في العصر الراشدي، وبالتحديد منذ أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلا أنه أهمل ذكر الحملات البحرية التي أرسلها عثمان بن أبي العاص الثقفي، والتي مثلت المحاولات الأولى لفتح تلك البلاد.

بالإضافة إلى ذلك فقد أمكن الاستفادة من كتاب البداية والنهاية، في معرفة بعض الأحداث التاريخية المتعلقة بشؤون الخلافة الأموية في العاصمة دمشق، فضلاً عن الولاة الذين تسلموا ولاية العراق، والتي كان واليها يشرف على فتوحات المسلمين في السند والهند.

---

(١)- مكتبة المعارف، ط٢، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(٢)- ترجمته عند ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج١، ص٣٧٣؛ ابن العماد الحنبلي(عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرنؤوط- محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٦، ص٢٣١؛ الشوكاني(محمد بن علي ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص١٠٢.

١٣- ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ولد في تونس عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، تنقل بين عدة بلدان، ولاسيما بلاد الأندلس، والمغرب، ومصر، كما تقلد عدة مناصب هامة في حياته، وألف عدة مصنفات في مجال الفقه والتاريخ، وأشهرها كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"(١)، وقد توفي ابن خلدون في القاهرة عام ٨٠٨هـ/١٤٠٦م(٢).

تم الاعتماد والإفادة من كتاب العبر لابن خلدون في التعرف على أخبار حملة محمد بن القاسم، بالإضافة إلى أعمال الولاة الذين حكموا بعده، وقد اتسم تأريخه لفتوحات السند والهند بوحدة الموضوع، فقد ذكر أعمال الولاة الذين حكموا بعد محمد بن القاسم الثقفي، حتى نهاية العصر الأموي كمادة تاريخية متماسكة، على الرغم من امتداد حكم هؤلاء الولاة على عهود عدة خلفاء أمويين.

ولكن ابن خلدون بدأ تأريخه لحملات السند والهند منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، وبالتالي فقد أهمل ذكر الحملات التي حصلت في العصر الراشدي، بالإضافة إلى ذلك لم يذكر ابن خلدون الحملة البحرية التي رافقت حملة محمد بن القاسم إلى تلك البلاد، بل اكتفى بذكر الحملة البرية، حيث من المعلوم أنه كان للأسطول البحري دورٌ رئيسٌ في نقل المعدات الثقيلة، بالإضافة إلى دوره الهام في حصار وفتح مدينة الديبل، فضلاً عن الاستفادة منه في معركة الضفة الشرقية لنهر السند.

وإذا ما أراد الباحث أن يكون موضوعياً، يمكن القول أن ابن خلدون قام بنقل أخبار الفتوحات الإسلامية في شبه القارة الهندية من كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير بتصرف، وبالتالي فهو لم يأتِ بأي جديد في هذا الصدد.

---

(١)- مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت).

(٢)- ترجمته عند السخاوي(محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص١٤٥؛ المكناسي(أحمد بن القاضي ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٤١٠؛ التنبكتي(أحمد بابا بن أحمد ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٦م): نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، ط٢، طرابلس الغرب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٢٥٠؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٢٣٥.

ثانيًا: المصادر الجغرافية وكتب الرحلات:

١- ابن خرداذبه: هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد، مؤرخ وجغرافي، وهو فارسي الأصل، ولد عام ٢٠٥هـ/٨٢٠م، وعاش في بغداد، وقد صنف عدة مؤلفات، ومنها كتاب "المسالك والممالك"(١)، وتوفي ابن خراذبه عام ٢٨٠هـ/٨٩٣م(٢).

أفيد من كتاب "المسالك والممالك"، في التعرف على مسار نهر السند من المنبع حتى المصب، بالإضافة إلى أن ابن خرداذبه ذكر أبرز الحيوانات التي تعيش في شبه القارة الهندية، كما تمت الاستفادة من هذا الكتاب في التعرف على الطرق التجارية العالمية، ولاسيما تلك التي تمر عبر السند والهند.

٢- سليمان التاجر: هو رحالة وتاجر مسلم، انطلق في رحلته من ميناء سيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي، واتجه إلى شبه القارة الهندية، والصين، ودون كل ما شاهده وسمعه في تلك الرحلة، في كتابه "عجائب الدنيا وقياس البلدان"(٣)، ويبدو أن سليمان التاجر عاش بين منتصف القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين، وقد أفيد من هذا الكتاب في التعرف على بعض جزر المحيط الهندي، ولاسيما جزيرة سرنديب.

٣- ابن شهريار: هو بزرك بن شهريار، رحالة وقبطان سفينة تجارية، تركز نشاطه في ساحل عمان، وقد عمل على تدوين الروايات التي كان يسمعها من البحارة، أثناء رحلاتهم التجارية إلى مختلف أصقاع الأرض، وخرج بكتابه "عجائب الهند بره وبحره"(٤)، وقد عاش ابن شهريار بين منتصف القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين.

---

(١)- مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م.

(٢)- ينظر إلى ترجمته عند النديم: الفهرست، مج٢، ص٤٥٧؛ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج٥، ص٣١٧؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٦٦٥.

(٣)- تح: سيف شاهين المريخي، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د.م)، (د.ت).

(٤)- تح: فان درليت، مكتبة بيبليون، لبنان، (د.ت).

على الرغم من الطابع الأسطوري لكتاب عجائب الهند، حيث لا يخلو من بعض المبالغات، كأن يجتمع ثلاثة آلاف رجل على قتل أفعى في إحدى المدن في شبه القارة الهندية، وغير ذلك من الروايات التي يصعب تصديقها، إلا أنه يحتوي على معلومات تاريخية قيمة، أفيد منها في هذه الأطروحة، ولاسيما مسألة وجود القراصنة في المحيط الهندي.

٤- ابن حوقل: هو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، جغرافي ورحالة عربي، غادر بغداد عام ٣٣١هـ/٩٤٣م، وزار عدة بلدان وأهمها الأندلس في الغرب، وبلاد السند والهند، والصين في الشرق، كما أنه صنف كتاباً هاماً، حمل عنوان "صورة الأرض"(١)، وقد توفي ابن حوقل بعد عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م(٢).

تمت الإفادة من كتاب "صورة الأرض"، في تحديد مواقع الصحارى المنتشرة في شبه القارة الهندية، وتحديد مواقع المدن السندية بشكل دقيق، بالإضافة إلى تقديم تفاصيل عن بعض الأقوام التي كانت تسكن السند والهند، كما أفيد منه في التعرف على بعض الزراعات في تلك البلاد.

٥- المقدسي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ولد في مدينة القدس عام ٣٣٦هـ/٩٤٧م، وعمل بالتجارة، الأمر الذي ساعده على التنقل بين عدة بلدان، وتأليف كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"(٣)، وقد توفي المقدسي عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م(٤).

من خلال كتاب "أحسن التقاسيم"، تم التعرف على جغرافية شبه القارة الهندية، وما فيها من أنهار ومدن، بالإضافة إلى الإفادة مما قدمه المقدسي في هذا الكتاب، من وصف لما تحتويه القارة الهندية من نباتات وحيوانات، كما تمت الإفادة منه في وصف مدينة المنصورة، التي بناها المسلمون بعد فتح السند والهند.

---

(١)- دار مكتبة الحياة، (د.م)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢)- ترجمته عند ابن العديم(كمال الدين عمر بن أحمد ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ج١٠، ص٤٦٧٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١١١.

(٣)- تح: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

(٤)- ترجمته عند الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٣١٢.

٦- الإدريسي: هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، من كبار الجغرافيين العرب، ولد في سبتة عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م، وتلقى علومه في قرطبة، كما أنه ارتحل إلى عدة بلدان، وصنف عدة كتب، أهمها "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"(١)، وقد توفي الإدريسي عام ٥٦٠هـ/١١٦٥م(٢).

تمت الإفادة من كتاب الإدريسي في التعرف على ما تحتويه شبه القارة الهندية من ثروات زراعية وحيوانية، ولاسيما الجمال السندية ذات السنامين، كما ذكر الإدريسي أبرز الصناعات التي كانت قائمة في الهند والسند، وعلى رأسها صناعة السفن، بالإضافة إلى التعريف بعدد من المدن والأنهار في تلك البلاد.

٧-الحموي: هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ولد سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م، وهو من أصل رومي، نشأ في بغداد، اشتغل بالتجارة وهذ ما ساعده على التنقل والارتحال إلى عدة بلدان، ثم بعد ذلك بدأ بتصنيف الكتب، ومنها "معجم البلدان"(٣)، "معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"(٤)، وقد توفي الحموي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م(٥).

من خلال كتاب "معجم البلدان"، تم تحديد مواقع مدن شبه القارة الهندية وموانئها، بالإضافة إلى عدد من موانئ شبه الجزيرة العربية القديمة، كما أفيد من هذا الكتاب في معرفة مواقع بعض جزر المحيط الهندي، أما كتاب معجم الأدباء، فقد تمت الاستفادة منه في ترجمة عدد من الشخصيات.

---

(١)- مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د.ت).

(٢)- ترجمته عند ابن أيبك الصفدي(صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، دار نشر فرانز شتاينر، ط٢، شتوتغارت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج١، ص١٦٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٤.

(٣)- بيروت، دار صادر، (د.ت).

(٤)- تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٥)- انظر ترجمته عند المنذري(عبد العظيم بن عبد القوي ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م): التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، مج٣، ص٢٤٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص١٢٧؛ ابن الدمياطي(أحمد بن عز الدين أيبك ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تح: محمد مولود خلف، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٤٢٦؛ الدلجي(أحمد بن علي ت ٨٣٨هـ/١٤٢٩م): الفلاكة والمفلوكون، مطبعة الشعب، جمهورية مصر العربية، ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، ص٩٢.

٨- القزويني: هو زكريا بن محمد بن محمود، مؤرخ وجغرافي، ولد بقزوين عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، ورحل إلى الشام والعراق، وألف عدة كتب، أهمها "آثار البلاد وأخبار العباد"(١)، وقد توفي القزويني عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م(٢).

وقد أفيد من كتاب "آثار البلاد وأخبار العباد"، في تعيين حدود بلاد السند والهند، بالإضافة إلى التعريف ببعض الأقاليم والمدن والأنهار في شبه القارة الهندية، وكذلك التعريف ببعض الموانئ التي كانت مزدهرة في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، كما قدم القزويني في هذا الكتاب الهام، معلومات قيمة عن أهم النباتات في السند والهند، ولاسيما تلك التي تستخدم في المجال الطبي.

٩- شيخ الربوة: هو أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري، ولد في مدينة دمشق عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وتولى مشيخة الربوة وهي إحدى ضواحي دمشق، وصنف عدة مؤلفات أبرزها "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر"(٣)، وقد عاش شيخ الربوة حتى عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م(٤)، وأفيد من كتابه في التعريف ببعض المدن في شبه القارة الهندية.

١٠- أبو الفداء: هو عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، وهو مؤرخ وجغرافي، ولد في دمشق عام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، ترك عدة مؤلفات أهمها: "المختصر في أخبار البشر"(٥)، "تقويم البلدان"(٦)، توفي أبو الفداء عام ٧٣٢هـ/١٣٣١م(٧)، وأفيد من كتاب تقويم البلدان في التعريف

---

(١)- دار صادر، بيروت، (د.ت).

(٢)- انظر ترجمته عند ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تح: فهيم محمد شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١، ص٣٠٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٤٦.

(٣)- مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

(٤)- ترجمته عند حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٩٣٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٧٠.

(٥)- تح: محمد زينهم محمد عرب وآخرون، دار المعارف، ط١، القاهرة، (د.ت).

(٦)- تصحيح: رينود والبارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م.

(٧)- ينظر إلى ترجمته عند ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج١، ص٣٧١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٩٢.

بعدد من المدن في السند والهند.

١١- ابن بطوطة: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، ولد في مدينة طنجة في المغرب الأقصى عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤م، واشتهر برحلاته وأسفاره، فزار السند والهند، والصين، بالإضافة إلى بلاد الشام ومصر والعراق وغيرها من البلدان، وقد خلص من هذه الرحلة الطويلة التي استمرت حوالي سبعة وعشرين عاماً، إلى تأليف كتابه الشهير "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"(١)، الذي ترجم إلى عدة لغات، وقد توفي ابن بطوطة عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م(٢).

يعدّ ابن بطوطة من كبار الرحالة في التاريخ الإسلامي، وقد أفيد من كتابه في التعرف على جغرافية السند والهند، وأبرز منتجاتها الزراعية، بالإضافة إلى التعرف على بعض عادات الهنود وتقاليدهم، كما أنه ذكر استقرار المسلمون في الساحل الغربي لشبه القارة الهندية قبيل الفتوحات الإسلامية في تلك البلاد.

كانت هذه أبرز المصادر المُعتمدة في هذا البحث، وهناك العديد من المصادر الأخرى الَّتي لا مجال لذكرها، ولكنَّها مثبتة في قائمة المصادر.

---

(١)- تح: محمد عبد المنعم العرفان، دار إحياء العلوم، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢)- انظر ترجمته عند ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٣، ص٤٨٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٢٣٥.

ثالثًا: المراجع العربية، والهندية المعربة:

على الرغم من عدم وجود مراجع حديثة عالجت موضوع الفتوحات الإسلامية في السند والهند منذ العصر الراشدي حتى نهاية العصر الأموي بشكل مفصل، إلا أن هناك بعض المراجع الحديثة التي تطرقت إلى تلك الفتوحات من زوايا مختلفة، وقد تنوعت تلك المراجع بين عربية، وهندية تم تعريبها، وسيتم ذكر أبرز المراجع التي تم الاعتماد عليها في هذه الأطروحة، مرتبة حسب أهميتها بالنسبة لموضوع البحث.

١-أبو المعالي أطهر المباكبوري: وهو مؤرخ هندي، له العديد من المؤلفات، وقد تم الاستعانة في هذه الأطروحة بثلاثة كتب للمباركبوري، وهي: " العرب والهند في عهد الرسالة"، "رجال السند والهند إلى القرن السابع"، "العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين".

وقد أفيد من الكتاب الأول في التعرف على أبرز مجالات التعاون بين العرب، وشبه القارة الهندية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولاسيما في المجال الاقتصادي، والمجالين الاجتماعي والديني، أما الكتابان الآخران فقد أفيد منهما في ترجمة عدد من الشخصيات التي شاركت بالفتوحات الإسلامية في السند والهند منذ قيام الإسلام وحتى نهاية العصر الأموي، أو ممن تولى إدارة تلك الولاية من المسلمين.

٢- محمد إسماعيل الندوي: مؤرخ هندي، له العديد من المؤلفات، وأبرزها: " الهند القديمة حضاراتها وديانتها"، "تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية"، وقد تم الإفادة من الكتاب الأول في هذه الأطروحة، في التعرف على بعض عادات وتقاليد الهنود، وطقوسهم الدينية، أما الكتاب الثاني فقد أكد على عراقة وقدم العلاقات بين العرب والهنود، بالإضافة إلى التأكيد على التأثير الثقافي المتبادل بين الطرفين.

٣- سليمان الندوي: مؤرخ هندي، له العديد من المؤلفات، أبرزها: "العلاقات التجارية بين العرب والهند"، "الملاحة عند العرب"، "العلاقات العربية الهندية"، وقد أفيد من هذه الكتب في معرفة أبرز الزراعات، والحيوانات في شبه القارة الهندية، بالإضافة إلى العلاقات التجارية بينها وبين البلاد العربية.

٤- عبد الحي بن فخر الدين الحسني: مؤرخ هندي، له العديد من المؤلفات، وقد تم الاستعانة في هذه الأطروحة بكتابين للحسني، وهما كتاب "الهند في العهد الإسلامي"، وكتاب "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، أفيد من الكتاب الأول في التعريف ببعض المدن والمناطق في شبه القارة الهندية، ولاسيما أن المؤرخ هندي، إلا أنه ذكر الفتوحات الإسلامية بعجالة، أما الكتاب الثاني فقد أفيد منه في ترجمة بعض الشخصيات، من ولاة وقادة مسلمين شاركوا بالفتوحات الإسلامية في السند والهند.

٥- محمد عبد العظيم أبو النصر الصوفي: من مؤلفاته "تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب"، وهي دراسة هامة، ولكن وردت فيها بعض المغالطات التاريخية والجغرافية، ومنها على سبيل المثال، أن محمد بن القاسم فتح مدينة الكيرج الواقعة بين المولتان وكشمير في شمال بلاد السند، وفي الحقيقة أن مدينة الكيرج تقع في إقليم الكجرات في الجنوب، وعلى الرغم من ذلك فقد أفيد من هذه الدراسة في بعض القضايا.

٦- أحمد محمود الساداتي: للباحث عدة مؤلفات وأبرزها: "تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم"، حيث ذكر الساداتي حملة محمد بن القاسم الثقفي، في حين أنه تحدث بعجالة عن الحملات الإسلامية إلى السند والهند قبيل تلك الحملة.

٧- عبد المنعم النمر: له كتاب هام بعنوان "تاريخ الإسلام في الهند"، حيث تمت الإفادة منه في التعرف على العلاقات العربية الهندية في صدر الإسلام، كما ذكر الحملات الإسلامية في العصر الراشدي، بالإضافة إلى حملة محمد بن القاسم الثقفي، ولكن النمر أهمل ذكر الحملات الأموية التي سبقت حملة محمد بن القاسم، وكذلك الأمر أهمل ذكر القادة والولاة المسلمون في بلاد السند والهند، الذين جاؤوا بعد محمد بن القاسم الثقفي، باستثناء إشارته إلى بناء مدينة المحفوظة من قبل الحكم بن عوانة، في حين أنه أفرد جزءاً كبيراً من الكتاب للحديث عن الفتوحات التي قادها الغزنويون في السند والهند، كما أنه وقع في وهم كغيره من المؤرخين الذين اعتقدوا بأن محمد بن القاسم هو ابن أخ الحجاج بن يوسف، بالإضافة إلى اعتقاده بأن محمد بن القاسم كان عمره سبعة عشر عاماً أثناء قيادته لفتوح السند والهند، وهو ما تم العمل على تقويمه في هذه الأطروحة، بالاستناد إلى بعض المصادر الإسلامية.

٨- **عيساني شفيقة:** قدمت المؤلفة دراسة هامة، وهي عبارة عن رسالة ماجستير، حملت عنوان "شبه القارة الهندية والصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين، الفترة ما بين القرن الثالث إلى الثامن الهجري"، وقد أفيد من هذه الدراسة في الناحية الجغرافية، بالإضافة إلى ذكرها لبعض الزراعات التي تنتشر في شبه الجزيرة الهندية، وبعض الحيوانات التي تعيش فيها.

٩- **عصام الدين عبد الرؤوف الفقي:** له كتاب "بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري"، وقد ذكر الفتوحات الإسلامية في السند والهند في العصرين الراشدي والأموي باقتضاب شديد بما لا يتجاوز الصفحتين، في حين أفرد العديد من الصفحات للفتوحات التي جرت في تلك البلاد في العصر العباسي.

رابعًا: المراجع الأجنبية المعربة:

تم الاعتماد في هذه الأطروحة على عدد من المراجع الإنكليزية والفرنسية التي تمت ترجمتها إلى اللغة العربية، والهدف من ذلك الوقوف على رأي المستشرقين الأوروبيين في الفتوحات الإسلامية في السند والهند، وسيتم التعريف بأبرز تلك المراجع.

١- **ول وايرل ديورانت:** هو فيلسوف ومؤرخ أمريكي، توفي سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، كتب عدة مؤلفات منها: "قصة الحضارة"(١)، حيث أفيد من هذا الكتاب في التعرف على تاريخ شبه الجزيرة الهندية، ولاسيما في عصور ما قبل الميلاد، ولكن ديورانت عاد وخلع رداء المؤرخ الموضوعي، ولبس عباءة العنصرية والتعصب ضد العرب والمسلمين، ويظهر ذلك للباحث من خلال إطلاقه أحكاماً قاسية وغير موضوعية تجاه الفتوحات الإسلامية في السند والهند، حيث قال في هذا الصدد: " لعل الفتح الإسلامي للهند أن يكون أكثر قصص التاريخ تلطخاً بالدماء"، وهو ما تم دحضه في هذه الأطروحة بالأدلة والبراهين التاريخية، المستندة إلى عدد كبير من المصادر والمراجع العربية والهندية والأجنبية على حد سواء.

---

(١)- تر: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

٢-غوستاف لوبون: هو مؤرخ فرنسي، ويعدّ من كبار المستشرقين، توفي سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، له العديد من المؤلفات، ومن أبرزها: "حضارات الهند"(١)، وكتاب "حضارة العرب"(٢)، وقد أفيد من هذين الكتابين في عدة نواحٍ من تاريخ شبه الجزيرة الهندية، بالإضافة إلى قضية الفتوحات الإسلامية، ولاسيما في السند والهند، حيث يلمس الباحث موضوعية هذا المستشرق تجاه الفتوحات العربية والإسلامية بشكل عام، حيث قال: " العرب كانوا أرحم الفاتحين".

خامساً: المراجع الأجنبية:

في الحقيقة هناك عدة دراسات باللغة الإنكليزية عن تاريخ شبه القارة الهندية، وهذا أمر طبيعي بسبب خضوع القارة الهندية للاحتلال البريطاني في العصور الحديثة، ولكن لم يتم الوقوف على دراسات تبحث في الفتوحات الإسلامية في تلك البلاد بشكل مستقل، وبعد البحث الطويل تمت الاستعانة ببعض المراجع باللغة الإنكليزية في هذه الأطروحة، والتي عالجت جوانب مختلفة من تاريخ السند والهند، وسيتم ذكر أبرز تلك الدراسات بحسب أهميتها بالنسبة لموضوع البحث.

١- **Henry Miers, Elliot**: وهو مستشرق بريطاني، ألف كتاباً من جزأين حمل عنوان: "History of India"(٣)، حيث تطرق إلى العديد من القضايا والأحداث التي حصلت في الجبهة الشرقية في العصر الأموي، ولاسيما فتنة ابن الأشعث، وفتوحات المهلب بن أبي صفرة وغيرها من الأحداث، بالإضافة إلى ذلك فقد خصص فصلاً للحديث عن الفتوحات الإسلامية في السند والهند، منذ العصر الراشدي إلى نهاية العصر العباسي.

ولكن إذا ما أراد الباحث أن يكون موضوعياً لابد له من القول: أن المؤلف كان متعصباً ضد العرب والمسلمين، بحيث استخدم مصطلحات تدل على حقده وعدم موضوعيته، تجلى ذلك في العديد من الأحكام والمصطلحات التي أطلقها المؤلف على مدار الفصل المخصص للفتوحات

---

(١)- تر: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٢)- تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٣)- Elliot, H.m: History of India, London, 1286 A.h/1869 A.m.

الإسلامية في السند والهند، ومن الأمثلة على ذلك استخدامه مصلح النهب والسلب "pillage" كهدف رئيسٍ للحملات البحرية التي قادها عثمان بن أبي العاص الثقفي إلى سواحل شبه القارة الهندية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أنه تطرف في رأيه إلى درجة أنه اعتبر أن عثمان بن أبي العاص يقود مجموعة من القراصنة في المحيط الهندي، وبالتالي من خلال ذلك يمكن للباحث أن يخلص إلى نتيجة مفادها: أن المؤلف يرى في الحملات الإسلامية إلى السند والهند، غزواً لا فتحاً، وهو بذلك يجافي الحقيقة، حيث يتجاهل كل المصادر التاريخية التي تؤكد على عمق العلاقات بين شبه القارة الهندية والبلاد العربية منذ ما قبل الميلاد، وأن مدينة الديبل كانت ملجأً للقراصنة الهنود آنذاك، ولذلك فهو يرى الأمور من زاوية ضيقة جداً، منطلقاً من سياسة بلده في تشويه التاريخ العربي والإسلامي، في حين أنهم لا يتركون وسيلة تبرر احتلالهم لأنحاء متفرقة من العالم.

Maclean, Derry N- 2: وهو أحد المستشرقين الكنديين، الذين اهتموا بتاريخ شبه القارة الهندية، ومن أبرز مؤلفاته "Religion and Society in Arab Sind "(١)، يبحث الكتاب في الوجود العربي في السند والهند من عدة جوانب، ويؤرخ للفتوحات الإسلامية في تلك البلاد، إلا أن المؤلف أهمل الحملات البحرية إلى سواحل شبه القارة الهندية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بالإضافة إلى ذلك فإن تأريخه للفتوحات في العصر الأموي جاء انتقائياً، فأهمل عدة حملات، بينما ذكر حملات أخرى باقتضاب شديد، وعلى رأسها حملة محمد بن القاسم الثقفي.

كما أن المؤلف ابتعد عن الموضوعية، ويظهر ذلك من خلال استخدامه بعض المصطلحات التي تدل على موقفه المعادي تجاه العرب والمسلمين، مثال ذلك ادعاؤه بأن المسلمين دخلوا إلى مدن شبه القارة الهندية سلمياً أحياناً، وارتكبوا المجازر في أحيان أخرى، حيث استخدم كلمة "Massacres"، وغير ذلك من الأمثلة التي تملئ صفحات الكتاب.

لقد دس المؤلف أفكاره المسمومة بين سطور هذا الكتاب، بما يتوافق مع ميوله وأهوائه، دون الاعتماد على مصادر موثوقة، وللرد على هذه الافتراءات تمت الاستعانة في هذه الأطروحة

---

(١)- Maclean, Derry N: Religion and Society in Arab Sind, Mcgill University, Montereal, 1405 Ah/1984 Am.

بعدد كبير من المراجع الهندية، التي اجمعت على أن العرب والمسلمين عاملوا الهنود معاملة حضارية وإنسانية راقية، نابعة من مبادئ دينهم السمحاء، حيث من المعلوم أن معظم المدن في شبه القارة الهندية، فتحت دون قتال.

لقد تم الاعتماد على عدد لا بأس به من المراجع الأجنبية الأخرى، والتي لا سبيل إلى التعريف بها جميعاً، ولكن تم تثبيتها في هوامش الصفحات، بالإضافة إلى تثبيتها في قائمة المراجع الأجنبية في نهاية الأطروحة.

تمهيد:

أولاً- لمحة جغرافية عن بلاد السند والهند:

١- حدود بلاد السند والهند:

٢- سبب تسميتها ببلاد السند والهند:

٣- التضاريس والمناخ:

٤- أهم الأنهار في بلاد السند والهند:

ثانياً- نبذة تاريخية عن بلاد السند والهند:

أولاً- لمحة جغرافية عن بلاد السند والهند:

تشغل شبه القارة الهندية مساحة جغرافية كبيرة، وقديماً كانت تقسم إلى منطقتين جغرافيتين، الأولى الأكبر وتسمى بلاد الهند، والثانية أصغر وتسمى بلاد السند(١)، وتتألف من عدة كور(٢) وأهمها في السند مكران(٣)، وطوران(٤)، والمولتان(٥)، أما في الهند فأهم المدن دلهي(٦)، وقنوج(٧)،

---

(١)- تقع بين الهند ومكران وسجستان. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٧.

(٢)- الكورة: المدينة والصقع، وجمعها كور. الجوهري (أبو نصر اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م): تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٢، ص٨١٠.

(٣)- ولاية واسعة تشتمل على عدد من القرى والمدن، تحدها كرمان من الغرب، وسجستان من الشمال، والهند من الشرق، والخليج العربي من الجنوب. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٨٠.

(٤)- أشهر مدنها قصدار ومحالي وسورة. الاصطخري(أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، ص١٧١؛ مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٩٦.

(٥)- هي آخر مدن الهند ممايلي الصين، وهي مدينة حصينة تقع على يمين نهر السند، وتسمى فرج بيت الذهب، وفيها صنم كبير اسمه المولتان، ومن هنا جاء اسمها، وهي مقدسة ويحج إليها الهنود كما يحج المسلمون إلى مكة. ابن رسته(أبي علي أحمد بن عمر ت ٣٠٠هـ/٩١٢م): الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٩هـ/١٨٩٠م، مج٧، ص١٣٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٢١؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٢١.

(٦)- تقع في شمال بلاد الهند، وسط السهول الخصبة. الحسني(عبد الحي بن فخر الدين): الهند في العهد الإسلامي، دار عرفات، الهند، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٩٠؛ الندوي(محمد إسماعيل): الهند القديمة حضاراتها وديانتها، دار الشعب، (د.م)، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص١٦.

(٧)- من المدن البرية، تقع في شمال الهند. مؤلف مجهول: حدود العالم، ص٥٦؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٠٩؛ أبي الفداء: تقويم البلدان، ص٣٦١.

إضافة إلى مدن إقليم البنغال(١)، وعدد كبير من المدن على الساحل الغربي لشبه الجزيرة الهندية، ولا سيما مدينة سومناة(٢) في إقليم الكجرات(٣)، ومدينة كولم(٤) في إقليم المليبار(٥)، أما الساحل الشرقي لشبه الجزيرة الهندية فيسمى بساحل كروماندل(٦)، وفيه عدد من المدن الهامة أيضاً.

وقد عرفت هذه البلاد في كتابات المؤرخين والجغرافيين ببلاد السند والهند، ووصفها عدد من الرحالة والجغرافيين المسلمين وصفاً دقيقاً، إضافة إلى اهتمام المؤرخين بها، حيث كانت محط أنظار التجار العرب قبل الإسلام، نظراً لشهرتها بالعديد من المنتجات، كما أنها قريبة من المنطقة العربية، إذ لا يفصل بين المنطقتين سوى مياه بحر العرب، وبعد الفتوحات الإسلامية ازداد اهتمام العرب والمسلمين بها أكثر.

---

(١)- تقع في الشمال الشرقي لشبه القارة الهندية. الندوي: الهند القديمة، ص١٤؛ صديق(محمد يوسف): رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠١م، ص٢٨، العبودي(محمد ابن ناصر): في شرق الهند رحلة وحديث في أحوال المسلمين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٨٩م، ص١٠٧؛ S. Sarakar: Islam in Benegal, Ratna, Calcutta, 1392AH\1972AD, p1.

(٢)- مدينة على ساحل بحر العرب. القزويني: آثار البلاد، ص٩٥.

(٣)- من أشهر أقاليم الهند التي تشتهر بموانئها، يقع في شمال غربي الهند مواجهاً لخليج عمان والساحل العربي. عثمان(شوقي عبد القوي): تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص١٣١.

(٤)- مدينة كبيرة على ساحل المليبار. القزويني: آثار البلاد، ص١٠٦؛ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، ج٢، ص٥٧٩.

(٥)- تشغل السواحل الجنوبية الغربية من شبه القارة الهندية، وتسمى بلاد الفلفل نتيجة شهرتها بإنتاج الفلفل. المعبري(أحمد زين الدين ت٩٩١هـ/١٥٨٣م): تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، تح: محمد سعيد الطريحي، مؤسسة الوفاء، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣١؛ الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص٨٨.

(٦)- يطلق عليها بلاد المعبر أيضاً. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٣٦١؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص٤٤٤-٤٤٥؛ عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص١٣٣.

١- حدود بلاد السند والهند:

أما بالنسبة لحدود شبه القارة الهندية، فكانت أشمل مما هو متعارف عليه اليوم(١)، حيث كان يحدها من الشرق المحيط الهندي، ومن الغرب المحيط الهندي وبحر العرب، ومن الجنوب المحيط الهندي، وجزيرة سرنديب(٢)، أما في الشمال فتمتد جبال الهيمالايا من الشمال إلى الشمال الشرقي من شبه القارة الهندية، حيث تفصلها جبال آسام عن الصين، بينما تحدها سجستان(٣) من الشمال، وكرمان(٤) من الشمال الغربي(٥).

ولابد من القول أن الحدود كانت تتغير تبعاً لقوة البلاد وضعفها، فعندما كانت الممالك القائمة في هذه البلاد على درجة من القوة، كانت حدود البلاد تمتد إلى المناطق المجاورة، بينما كانت تتقلص حدودها في أوقات الضعف، وقد تعرضت البلاد لعدة غزوات خارجية، وكانت الحدود الشمالية، والشمالية الغربية هي موضع مد وجزر، وذلك نظراً لصعوبة اختراقها من الجهة الشمالية الشرقية، بسبب وجود جبال الهيمالايا، وإحاطتها بالمياه من باقي الجهات، وبالتالي كانت الممرات الجبلية في الشمال والشمال الغربي كالباب لهذه القلعة المنيعة.

---

(١)- تتقاسم شبه القارة الهندية حالياً خمس دول، وهي الهند وباكستان وبنغلادش ونيبال وبوتان.

(٢)-وتسمى سيلان، وهي جزيرة عظيمة بأقصى جنوب شبه الجزيرة الهندية. التاجر: عجائب الدنيا وقياس البلدان، ص٣٢؛ الزهري(أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ت ٥٤٩هـ/١١٥٤م): الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص٢٧؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٦.

(٣)-تقع بين مكران وكرمان وخراسان. اليعقوبي: البلدان، ص٥٨-٥٩؛ أبي الفداء: تقويم البلدان، ص٣٤٠؛ لسترنج (كي): بلدان الخلافة الإسلامية، تر: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٧٢.

(٤)-تقع بين فارس ومكران وسجستان. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٤؛ ابن عبد الحق البغدادي(صفي الدين عبد المؤمن ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، مج٣، ص١١٦٠.

(٥)- الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٧٠؛ القزويني: آثار البلاد، ص٩٤؛ مؤلف مجهول: حدود العالم، ص٩٥.

٢- سبب تسميتها ببلاد السند والهند:

اختلف المؤرخون حول سبب تسمية هذه البلاد، فمنهم من ذكر أن الهند والسند كانا أخوين من أولاد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح عليه السلام، وهذا الرأي قال به الطبري، وابن خلدون(١)، ويذكر الحموي أنه كان يطلق على الفرد من أهل السند سندي، والجمع سند، وذلك كما يطلق على الفرد من الزنوج زنجي(٢).

ومن المؤرخين من ذكر أنها أخذت اسمها من إله الهند القديم "إندرا"(٣)، بينما أرجع البعض الآخر هذه التسمية إلى النهر المشهور في هذه البلاد، والذي كان يطلق عليه "سندهو"(٤)، وفي اللغة السنسكريتية(٥) كان يطلق عليه "هندهو"، لأنه في هذه اللغة تستبدل السين بالهاء.

وأمام اختلاف الروايات التاريخية، لا يستطيع المرء أن يرجح رواية على أخرى، ولكن يمكن القول أن المناطق المحيطة بنهر السند، كانت تسمى بلاد السند، وباقي مناطق شبه الجزيرة الهندية كانت تسمى بلاد الهند، مع شهرة أسماء العديد من المناطق فيها، مثل بلاد المليبار، والبنغال.

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج١، ص١٢٧؛ ابن خلدون: العبر، مج٢، ص٨.

(٢)- معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٧.

(٣)- الساداتي(أحمد محمود): تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت)، ج١، ص٣؛ لوبون: حضارات الهند، ص٢٥.

(٤)- أبو النصر الصوفي(محمد عبد العظيم): تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، شركة نوابع الفكر، ط١، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٧.

(٥)- سنسكريت: تعني المركبة أو المؤلفة، وكانت لغة أغلب شعوب الهند في القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد. أوستلر(نيقولاس): إمبراطوريات الكلمة تاريخ للُّغات في العالم، تر: محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٢٥٣.

٣- التضاريس والمناخ:

سمح اتساع مساحة شبه القارة الهندية بتنوع مظاهرها التضاريسية، فتظهر فيها الجبال والسهول والهضاب والصحارى، وأشهر جبالها الهيمالايا، أعلى السلاسل الجبلية في العالم، والتي تبدأ من عقدة بامير الشهيرة في الشمال، وتمتد شرقاً حيث تتدرج في الارتفاع حتى تصل إلى قمة إفرست الشهيرة، أعلى قمة في العالم، في الشمال الشرقي من شبه القارة الهندية، ومن عقدة بامير أيضاً تبدأ سلسلة جبال سليمان، والتي تعاكس جبال الهيمالايا في الاتجاه، حيث تتجه إلى الغرب، وتفصل شبه القارة الهندية عن الهضبة الإيرانية، ولكنها على الرغم من وعورة تضاريسها، إلا أنها تتميز بوجود ممرات جبلية عديدة، وأهمها ممر خيبر، وممر بولان(١)، ومن هنا يستطيع المرء أن يفهم سبب دخول معظم الغزوات الخارجية من الجهة الشمالية، والشمالية الغربية، وكذلك معظم الهجرات السكانية التي استوطنت في الهند، بالإضافة إلى ذلك تمتد سلسلة الجبال الساحلية الغربية، والتي تنتهي في رأس كماري الواقع في أقصى جنوب الهند(٢).

كما تشتهر شبه القارة بوجود الصحارى الواسعة، ولولا وجود نهر السند في المنطقة الشمالية الغربية من شبه القارة الهندية، لأصبحت هذه المنطقة صحراء واحدة كبرى، وأهم المفازات(٣) المنتشرة بكثرة في هذه البلاد، المفازة الممتدة من قندابيل(٤) إلى المولتان(٥)، والتي تسمى بصحراء الثار، والمفازة الممتدة بين مكران والقفص(٦)، ومن هنا تأتي أهمية نهر السند بالنسبة إلى هذه المنطقة الصحراوية، حيث يمكن أن يشبه أهمية نهر النيل بالنسبة لمصر.

---

(١)- الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص٣٨.

(٢)- موسى(علي)، الحمادي(محمد): جغرافية القارات، دار الفكر، سورية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٦٧.

(٣)- جمعها مفاوز، سميت كذلك لأنها مهلكة. الجوهري: الصحاح، ج٢، ص٨٩٠.

(٤)- تقع غربي نهر السند، بين طوران ومكران والمولتان. أبي الفداء: تقويم البلدان، ص٣٣٧.

(٥)- ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٢٧.

(٦)- من مدن كرمان. ابن الفقيه(أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ص٢٠٦.

وتعدَ هضبة الدكن أكبر الهضاب في شبه القارة الهندية، وهي على شكل مثلث قاعدته في الشمال، إلى الجنوب من منطقة السهول الشمالية، وحوافها مرتفعة وتسمى الحواف الغربية بمرتفعات الغات الغربية، حيث ينحصر سهل المليبار بينها وبين الساحل، أما المرتفعات الشرقية فتعرف بمرتفعات الغات الشرقية، وتحصر بينها وبين الساحل سهل كروماندل(١)، كما تمتد هضبة بلوخستان بين جبال سليمان في الشرق، ومرتفعات مكران في الغرب، وتتميز بوعورة تضاريسها، وتعرف بالهضبة الصحراوية، بسبب جفافها لعدم تأثرها بالرياح الموسمية الصيفية الممطرة، وتنتشر الرمال على سطحها(٢)، أما أوسع السهول فتنتشر شمال هضبة الدكن، حيث سهول نهر الغانج، وتمتد هذه السهول من بحر العرب على الساحل الغربي، حتى خليج البنغال على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة الهندية.

أما بالنسبة للمناخ فهناك نظامان لهطول الأمطار في شبه القارة الهندية، نظام الأمطار الشتوية في المرتفعات الشمالية الغربية من شبه القارة، ونظام الأمطار الصيفية في باقي المناطق، حيث تتأثر المرتفعات الشمالية الغربية بالرياح الغربية القادمة من البحر المتوسط، مما يؤدي إلى هطول الأمطار في فصل الشتاء(٣)، ولهذه الأمطار أهمية كبيرة للزراعات الشتوية، ولاسيما زراعة القمح، أما باقي أجزاء شبه القارة الهندية، فإنها تتأثر بالرياح الموسمية الصيفية، التي تحمل معها الأمطار بين شهري حزيران وكانون الأول(٤)، وبعد ذلك يسيطر المناخ البارد حتى شهر شباط، ومن ثم تبدأ درجات الحرارة بالارتفاع تدريجياً، وبالتالي يوجد ثلاثة فصول واضحة في السنة في معظم شبه القارة الهندية.

---

(١)- موسى: جغرافية القارات، ص٢٦٩.

(٢)- الزوكه(محمد خميس): جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٣٠٥.

(٣)- الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص٤١.

(٤)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص١٧٠؛ شفيقة(عيساني): شبه القارة الهندية والصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين الفترة ما بين القرن الثالث إلى الثامن الهجري، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م، ص١٣.

٤- أهم الأنهار في بلاد السند والهند:

هناك أنهار عديدة تخترق أراضي شبه القارة الهندية، وأبرز هذه الأنهار نهر السند ويطلق بعض الجغرافيين العرب عليه اسم نهر مهران(١)، وهو أطول الأنهار في شبه القارة الهندية، وينبع من جبال شقنان التي تشغل السفوح الشمالية الغربية لجبال الهيمالايا(٢)، وبعد ذلك يتلقى عدة روافد، وأشهرها خمسة وهي جهلم، وبياس، وستلج، وراوي، وجناب، ومن هنا أطلق اسم البنجاب(٣) على هذا الإقليم، ومن ثم يجري نهر السند باتجاه الجنوب الغربي، ويسير ببطء في صحراء الثار القاحلة، حيث تتميز هذه المنطقة باستواء سطحها، وحرارتها العالية، وبالتالي يضيع قسم كبير من مياه النهر في هذه الصحراء، ويعتقد المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون أن وادي السند كان في غابر الأزمان مغموراً بمياه البحر على شكل خليج واسع، ويستدل على ذلك بوجود بقايا من نبات البحر، ورواسب الملح حول جبال الهيمالايا(٤)، أما منطقة البنجاب فتتميز بتربة خصبة ومياه وفيرة نتيجة وجود عدد من الروافد للنهر، أما آخر روافد نهر السند فهو نهر كابول.

---

(١)- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٠١؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص١٦٨؛ الحازمي(محمد بن موسى ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م): الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، دار اليمامة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج١، ص٨٦٨؛ ابن الوردي(سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٢٥٤.

(٢)- ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص١٧٣؛ ابن رسته: الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٨٩؛ أبو عبيد الله البكري(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، (د.م)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج١، ص٢٣٦.

(٣)- بنجاب: كلمة فارسية مركبة، بنج وتعني خمسة، وآب وتعني مياه النهر أو البحر، وبالتالي يصبح معناها الأنهار الخمسة. كسرائي(شاكر): قاموس فارسي عربي، مكتبة مؤمن قريش، ط١، بيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٧، ١٢٣؛ Jones, Kenneth w: The new Cambridge History of India, Cambridge University, Cambridge, 1429 Ah/2008 Am, p85.

(٤)- حضارات الهند، ص٣١.

بعد ذلك يتابع نهر السند مسيره، وقبل أن يصل إلى مدينة المنصورة(١)، وبالتحديد عند مدينة قالري(٢)، ينقسم إلى فرعين لتصبح المنصورة كجزيرة، حيث يعود فرعا النهر للالتقاء مجدداً بعد المنصورة بنحو اثني عشر ميلاً، ومن ثم يتابع النهر مسيره حتى النيرون(٣)، ويصل بعد ذلك إلى مصبه في بحر العرب إلى الشرق من مدينة الديبل(٤).

وقد شبه عدد من الجغرافيين العرب نهر السند بنهر النيل، ولكن الجاحظ(٥) ظن أن نهر السند هو فرع من نهر النيل، ويبدو أن الجاحظ اعتقد أن وجود التماسيح في نهر السند، والتي تشبه التماسيح الموجودة في النيل، دليل كافٍ على هذا الاستنتاج، ولكن المسعودي(٦)، والبيروني(٧)، وشيخ الربوة(٨)، قاموا بتفنيد الخطأ الذي وقع به الجاحظ.

---

(١)- بناها عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي، وهي مدينة مشهورة بأرض السند. البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٦٩.

(٢)- ولها اسم آخر وهو "بلرى"، وتقع قبل مدينة المنصورة بمرحلة واحدة. الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٧٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٢٣.

(٣)-تقع في منتصف الطريق بين المنصورة والديبل، وتسمى حالياً حيدر أباد. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٢٣؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص١٦٨.

(٤)-مدينة تقع على ساحل المحيط الهندي، وهي قليلة الخيرات، ولكنها تشتهر بالتجارة، ويصب بالقرب منها نهر السند. ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص٦٣؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٩٥؛ مؤلف مجهول: حدود العالم، ص٩٦.

(٥)- الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر الأديب واللغوي والجغرافي المشهور، توفي عام ٢٥٥هـ/٨٦٩م، ولم يتم الوقوف على هذه الرواية في كتب الجاحظ المطبوعة أو المخطوطة، ولكن وردت في عدة مصادر إسلامية، ولا سيما عند المسعودي والبيروني. انظر ترجمة الجاحظ عند الحموي: معجم الأدباء، ج٥، ص١١٠٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٧٤.

(٦)- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٧٨.

(٧)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص١٦٣.

(٨)- شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٩٨.

أما النهر الثاني الشهير في شبه القارة الهندية هو نهر الغانج، ويطلق عليه نهر كنك أيضاً، وينبع من جبال الهيمالايا(١) بالقرب من كشمير(٢)، وبعد ذلك يمر بمنطقة البنجاب ويتابع سيره إلى الجنوب الشرقي، ويعبر أرض البنغال، ليصب بعدها في المحيط الهندي(٣)، وهو يتمتع بقدسية كبيرة عند معظم الهنود، حيث يؤمنون أن الاغتسال بمياهه، تطهرهم من الذنوب، إلى جانب ذلك يقومون بإحراق جثث موتاهم ورمي رمادها في النهر(٤).

ثانياً- نبذة تاريخية عن بلاد السند والهند:

تعدَ شبه القارة الهندية واحدة من من أقدم مواطن الحضارة في العالم، حيث ازدهرت على ضفاف نهر السند أول حضارة في شبه القارة الهندية، فقامت مملكة تضم أكثر من أربعين مدينة، وأبرزها هارابا، وموهينجودارو، وتعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، واعتمد اقتصادها على الزراعة، وأبرز منتجاتها القمح والشعير والقطن، وقد استفادوا من توفر المعادن في أرضهم، ولاسيما النحاس والرصاص، حيث صنعوا منها المناجل والمناشير، إضافة إلى صناعة عددٍ من الأدوات المنزلية مثل الصحون والسكاكين، كما صنعوا من البرونز السيوف والخناجر، إضافة إلى ذلك فقد اهتموا بتربية الحيوانات، ولاسيما الأغنام والأبقار، كما استخدموا بعضها للنقل والجر كالحمير والجمال والفيلة(٥).

---

(١)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص١٦٦.

(٢)- تسمى في المصادر الإسلامية قشمير، تقع في شمال شبه القارة الهندية، وتحيط بها الجبال. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٥٢؛ القزويني: آثار البلاد، ص١٠٤.

(٣)- البيروني، تحقيق ما للهند، ص٢١٧؛ سهراب(أبو الحسن الحسن بن بهلول ت القرن ٤هـ/١٠م): عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، اعتناء: هانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولزهوزن، فيينا، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، ص١٧٤.

(٤)- ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص٥٩؛ الحايك(منذر): فيدا نصوص هندوسية مقدسة، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دبي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص٢٦؛ شفيقة: شبه القارة الهندية، ص١٠.

(٥)- دياكوف، (ف)، كوفاليف، (س): الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، ط١، دمشق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص٢١٠؛ عبد الله، (فيصل)، مرعي(عيد): المدخل إلى تاريخ الحضارة، جامعة دمشق، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٦٠- ١٦١.

كما اشتهرت هذه المملكة بوجود ميناء لها على ساحل بحر العرب، وتم الكشف عن هذا الميناء في النصف الثاني من القرن العشرين، وقدر علماء الآثار بأن هذا الميناء كان يتسع لحوالي خمسٍ وخمسين سفينة، حيث كانت تنطلق السفن من هذا الميناء إلى بلاد الرافدين وغيرها من المناطق، حاملة التوابل والمنسوجات القطنية وغيرها من المنتجات الهندية(١).

ومن هنا يستطيع الباحث أن يصل إلى حقيقة مفادها أن العلاقات بين شبه القارة الهندية، وبلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية قديمة جداً، وكان يسودها السلم والصداقة، وتقوم على حرية الملاحة في بحر العرب والخليج العربي، والدليل على ذلك أن التاريخ لم يسجل أي حرب وقعت بين هذه الأطراف على مدى مئات السنوات، باستثناء بعض أعمال القرصنة التي تم التصدي لها بقوة(٢)، إضافة إلى ذلك تم العثور على أختام من وادي السند في جنوب العراق، كما أن النصوص السومرية والأكادية تؤكد قيام علاقات تجارية منظمة بين شبه القارة الهندية وبلاد الرافدين(٣).

لقد قامت هذه الحضارة في شمال شبه القارة الهندية، فمدينة هارابا نشأت في البنجاب على أحد روافد نهر السند وهو نهر راوى، بينما نشأت مدينة موهينجودارو على بعد ٤٠٠ ميل إلى الجنوب الغربي منها بالقرب من نهر السند(٤)، وبالتالي لم تشمل هذه المملكة سوى ثلث مساحة أراضي شبه القارة الهندية، أما بقية الأراضي والتي تقدر بثلثي مساحة شبه القارة الهندية، فقد سكنتها شعوب بدائية، حيث انتشروا في الأدغال والغابات والجبال، وكانوا يشتغلون بأعمال بسيطة مثل صناعة السلال والحصر، وقد اختلفت ألوان بشرتهم تبعاً للمنطقة التي يسكنونها، وبعدها عن

---

(١)- فيصل: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص١٦١.

(٢)- السالمي(نور الدين عبد الله بن حميد): تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مطبعة الشباب، ط٢، القاهرة، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، ج١، ص١٢٣؛ شهاب: عجائب الهند، ص١٢-١٣؛ ويلكنسون(جون): صحار تاريخ وحضارة، مجلة تراثنا، العدد: ٢٠، سلطنة عمان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢٢.

(٣)- فيصل: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص ١٦٢.

(٤)- الندوي: الهند القديمة حضاراتها وديانتها، ص٢١.

خط الاستواء، وكانوا وثنيين يعبدون قوى الطبيعة المختلفة، ويبقى الغموض يلف الكثير من تفاصيل حياة هذه الشعوب، وذلك لأن العلماء حتى الآن لم يستطيعوا فك رموز اللغة التي كانت تتحدث بها هذه الشعوب(١).

وفي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تعرضت المناطق الشمالية لشبه القارة الهندية لغزو الآريين(٢)، الذين جاؤوا من جنوب روسيا، ودخلوا إليها من خلال الممرات الجبلية، وقضى الآريون على حضارة هارابا وموهينجودارو، وسيطروا على الأراضي المحيطة بنهري السند والغانج، مستفيدين من قوة أجسادهم وشجاعتهم في الحروب، إضافة لاستخدامهم العربات الحربية، والفؤوس والحراب(٣).

وبعد أن استقر الآريون في شمال شبه القارة الهندية، بدؤوا يعملون بالزراعة، وتوزعوا على شكل قبائل، وكان لرئيس القبيلة نوع من الاستقلالية، وعملوا على وضع قوانين لتنظيم المجتمع، ومنها عدم السماح بالزواج بينهم وبين السكان الأصليين، وذلك لأنهم كانوا أقلية بالنسبة للسكان الأصليين، وبالتالي كانوا يسعون إلى المحافظة على كيانهم وعدم الذوبان بالمحيط (٤).

ويسمى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد بعصر الفيدا، وذلك لأن المصدر الذي يعتمد عليه في معرفة أحداث هذه المدة، هو مجموعة من الأغاني والأقوال الهندية القديمة المكتوبة باللغة السنسكريتية والتي تدعى الفيدا وتعني المعرفة(٥).

---

(١)- الندوي: الهند القديمة، ص٥٣- ٥٤.

(٢)- كلمة آريين تعني في اللغة السنسكريتية " الأشراف". الندوي: الهند القديمة، ص٦٣؛ ديورانت: قصة الحضارة، ج٣، ص٢٠.

(٣)- إيمار(أندريه)، أوبوأيه(جانين): تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة، تر: فريدم. داغر- فؤاد ج. أبو ريحان، منشورات عويدات، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٥٥١، ٥٥٣؛ مجيب(محمد): تاريخ حضارة الهند، تر: محمد نعمان خان، مؤسسة الفكر العربي، ط١، بيروت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٦٣.

(٤)- ديورانت: قصة الحضارة، ج٣، ص٢١- ٢٢.

(٥)- فيصل: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص١٦٣.

ويطلق على النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد عصر البطولة، حيث كانت شبه القارة الهندية مقسمة إلى عدة ممالك متصارعة، وأشهرها مملكتا كوسالا، وماغادا، وقد استطاعت مملكة ماغادا السيطرة على كل المنطقة المحيطة بوادي الغانج، بينما سيطرت الإمبراطورية الإخمينية على بعض مناطق السند، وذلك في عهد الملك داريوس(١).

وفي عام ٣٢٧ ق.م استطاع الإسكندر المقدوني، الذي قاد حملة كبيرة باتجاه الشرق، أن يسيطر على الشمال الغربي من شبه القارة الهندية، وبعد ذلك مدّ نفوذه إلى البنجاب، ومن ثم التقى ملك ماغادا بوروس، وكان بوروس يمتلك جيشاً ضخماً من المشاة والفرسان، إضافة إلى مائتي فيل، وعلى الرغم من ذلك استطاع الإسكندر من خلال عبقريته أن يلحق الهزيمة بجيش بوروس، ولكن على عادة الإسكندر باحترام الخصم، قام بإعادة بوروس إلى منصبه، وبعد ذلك أراد الإسكندر متابعة زحفه باتجاه دلتا نهر الغانج، ولكن تمرد بعض قادته حال دون ذلك، فترك الإسكندر بعض الحاميات العسكرية، وعاد أدراجه إلى الغرب حيث توفي بعد سنوات قليلة(٢).

ولكن المصادر الإسلامية ولا سيما المسعودي واليعقوبي، تذكر أن ملك الهند في تلك المدة الزمنية كان يسمى فور، وهو الذي قاد المعارك ضد الإسكندر لكنه هزم، وبعد ذلك قام الإسكندر بتتعيين كيهن ملكاً على جميع الأراضي التي خضعت للإسكندر بحسب اليعقوبي(٣)، أما المسعودي(٤) فيذكر أن الحكم انتقل بعد فور إلى دبشليم.

ولم تستمر الحاميات الإغريقية بعد موت الإسكندر كثيراً، وبالتالي لم يترك الوجود الإغريقي آثاراً كبيرة في شبه القارة الهندية، نظراً لقصر مدة هذا الوجود، فمنذ عام ٣١٧ ق. م، لم يبقَ في الهند أي حامية إغريقية، وذلك بسبب المقاومة الشرسة التي أبداها الهنود في وجه الإغريق(٥).

---

(١)- دياكوف: الحضارات القديمة، ج١، ص٢١٣؛ الندوي: الهند القديمة، ص١٦١، ١٦٢.

(٢)- سارة(خليل): تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٧٧- ٨٢؛ موسى(رؤوف سلامة): الإسكندر الأكبر، دار المستقبل، بيروت، (د.ت)، ص١٠٥- ١١١.

(٣)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٨٧.

(٤)- المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٦٤.

(٥)- دياكوف: الحضارات القديمة، ج١، ص٢١٣.

لقد ظهر أحد حكام الممالك الصغيرة في شمال الهند، وهو تشاندرا جوبتا كأحد أبرز الذين قاوموا الحكم الإغريقي، وساهم في طردهم من البلاد، وأسس أسرة حاكمة هي أسرة موريا، امتدت من سجستان إلى شرقي دلتا نهر الغانج، واستمرت حتى بداية القرن الثاني قبل الميلاد(١).

بعد ذلك استطاع أحد القادة العسكريين أن يقضي على أسرة موريا، ويؤسس أسرة حاكمة جديدة هي أسرة سونغا، ومنذ القرن الأول الميلادي سيطرت على الهند مملكة الكوشان، وفي منتصف القرن الرابع ظهرت إمبراطورية غوبتا، وبلغت أوج ازدهارها في عهد تشاندراغوبتا الثاني ٣٨٠-٤١٤م، حيث امتدت هذه الإمبراطورية من خليج البنغال في الشرق، حتى بحر العرب في الغرب، إضافة إلى منطقة البنجاب في الشمال، واستمرت هذه الإمبراطورية حتى منتصف القرن الخامس الميلادي(٢)، حيث دمرت قبائل الهون إمبراطورية غوبتا بشكل كامل(٣).

بعد ذلك انتقل مركز القيادة من وادي الغانج إلى وادي السند، حيث استطاعت أسرة ساهسي راي السيطرة على منطقة واسعة من شبه القارة الهندية، امتدت بين قنوج(٤) وكشمير في الشرق والشمال، إلى مكران في الغرب، واتخذت هذه الأسرة من مدينة أرور(٥) عاصمة لها، واستمرت حتى قضى عليها المسلمون عام ٩٣هـ/٧١١م.

---

(١)- فيصل: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص١٦٩.

(٢)- دياكوف: الحضارات القديمة، ج١، ص٢١٧- ٢١٨.

(٣)-تشاندر دات(روميش): حضارة الهند، تر: مجموعة اقرأ، وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص١٤٣؛ مجيب: تاريخ حضارة الهند، ص٢٣٦.

(٤)- مدينة برية كبيرة في أقصى شرق الهند. مؤلف مجهول: حدود العالم، ص٥٦؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٠٩؛ أبي الفداء: تقويم البلدان، ص٣٦١؛ القلقشندي(أبي العباس أحمد بن علي ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، ج٥، ص٧٦- ٧٧.

(٥)- مدينة كبيرة تقع على نهر السند بالقرب من مدينة المنصورة. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٧١؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٧٩.

الفصل الأول : أوضاع بلاد السند والهند قبل الفتوحات الإسلامية:

أولاً- الأوضاع السياسية:

ثانياً- الأوضاع الاقتصادية.

١- الزراعة.

٢- الثروة الحيوانية.

٣- الصناعة.

٤- التجارة.

ثالثاً- الأوضاع الاجتماعية والدينية.

١- السكان:

٢- أبرز الأديان المنتشرة في بلاد السند والهند قبل الفتوحات الإسلامية:

أ- الهندوسية:

ب- البوذية:

٣- وضع المرأة:

أولاً- الأوضاع السياسية:

في نهاية القرن الخامس الميلادي، وبالتحديد في عام ٤٨٥م، استطاع ملك يدعى دوائج، تأسيس مملكة في شمال شبه الجزيرة الهندية، كما أنه تمكن من أن يورث الحكم لأبنائه وأحفاده من بعده، ومن أبرزهم سيهرس بن ساهسي، الذي تميز عهده بالعدل والرخاء، فقسم بلاده إلى أربع ولايات، على رأس كل واحدة والٍ يتبع إليه مباشرةً، وكان هؤلاء الولاة أو حكام المناطق من أقرباء الملك، واستقر سيهرس في العاصمة أرور، حيث بنى فيها القصور الفخمة، والحدائق المزدانة بأجمل الأزهار، إضافة إلى البساتين التي تحتوي على العديد من أنواع الأشجار مستفيداً من موقعها بالقرب من نهر السند، وكان سيهرس قد أعطى أوامره لولاته بالاهتمام بالعمارة بشكل عام، وتجميل ممالكهم، بالإضافة إلى الاهتمام بالرعية واستمالتهم، وبالتالي يمكن عدّ هذا الملك المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، التي امتدت من كشمير في الشرق حتى مكران في الغرب، ومن بحر العرب جنوباً حتى سجستان شمالاً(١).

كما عمل الملك سيهرس على إنشاء جيش قوي وموزع على أقاليم الدولة بقصد حماية الحدود من أي خطر خارجي، وذلك من خلال إمداد الولاة الأربعة بما يحتاجون إليه من معدات عسكرية، فزودهم بالأسلحة المختلفة، والخيول، بالإضافة للفيلة التي كان الهنود يستخدمونها في معاركهم بشكل واسع ويوظفونها بشكل جيد في حروبهم(٢)، وبالتالي لم يحصر القوة العسكرية في مركز الدولة، الأمر الذي جعل الدولة في جاهزية تامة لأي عمل دفاعي في أي وقت، كما كان هذا الملك شجاعاً يخرج بنفسه على رأس جيشه في المعارك، ويظهر ذلك جلياً في أنه قتل وهو يدافع عن بلاده في إحدى المعارك ضد الفرس(٣).

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٥- ١٨؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص٢٧.

(٢)- المشهداني(ياسر عبد الجواد حامد): الفيل واستخداماته في الحياة الهندية في العصور الوسطى، مجلة التربية والعلم، العدد: ١، العراق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، مج: ١٤، ص٥.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١٥.

عندما وصل خبر مقتل الملك سيهرس إلى العاصمة أرور، تم تعيين ابنه ساهسي مكانه، ولقب ساهسي الثاني، وقد سار ساهسي على نهج أبيه، فوطد الأمن وعم الاستقرار في البلاد، وكان لديه بطانة صالحة، تمثلت بالوزير بدهمين، وبالحاجب رام(١) الذي اشتهر بثقافته واطلاعه الواسع، الأمر الذي جعل الملك ساهسي يطلق يده في الدولة، فكانت قراراته نافذة نتيجة الثقة التي كان يوليها له الملك، فوصلت الدولة في أيامه إلى مرحلة متقدمة من القوة، نتيجة تنوع معارفه وعلومه وحسن إدارته لمختلف شؤون الدولة.

لقد تمتع ساهسي الثاني بشعبية كبيرة بين شعبه، والفضل في ذلك يعود إلى قيامه بتعيين رجال أكفاء على رأس مؤسسات الدولة، فساد العدل في أرجاء الدولة، وزادت قوتها ومنعتها، وبالرغم من ذلك لم تسجل المصادر التاريخية قيام هذه المملكة بتوجيه فائض القوة لديها إلى عمل عسكري اتّجاه الممالك المجاورة.

وفي عهده وصل أحد الرجال البراهمة واسمه جج بن سيلانج إلى العاصمة أرور، وقابل الوزير بدهمين والحاجب رام، وكان أبوه رجلاً متعبداً زاهداً، انصرف إلى العبادة في أحد معابد العاصمة أرور، ويبدو أنه كان مشهوراً في البلاد، أو كان على معرفة بالحاجب رام، فأرسل جج إليه ليعمل تحت إشرافه، أو يقوم بتعيينه في إحدى وظائف الدولة، إضافة إلى ذلك يبدو أن سيلانج قد اهتم بتعليم ابنه جج، ويظهر ذلك من خلال أول مقابلة له مع الحاجب والوزير، حيث أظهر جج كفاءة عالية وفصاحة وبلاغة قل نظيرهما، وبراعة في الخط والقراءة، الأمر الذي ترك انطباعاً جيداً عند الحاجب رام، فقام بتعيينه كاتباً في ديوان الملك ساهسي، وفي أحد الأيام وأثناء قيام الملك بجولة في ديوان المملكة، وصلت رسالة من إحدى مناطق المملكة، فطلب الملك حضور الحاجب رام، ولكن رام لم يكن موجوداً حينها، فتقدم جج إلى الملك وعرض عليه أن يقوم بقراءة الرسالة، فوافق الملك وأعجب ببلاغته وفصاحته وجمال خطه، وأصدر أمراً بتعيينه نائباً للحاجب رام(٢).

---

(١)- ذكرهم الكوفي في كتابه ولم يتم الوقوف على ترجمة لهم في أي مصدر آخر. الكوفي: فتح السند، ص٢١.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص١٩- ٢١؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص٢٨.

بعد وفاة الحاجب رام قام الملك ساهسي بتعيين جج بمنصب الحاجب، وأطلق يده في شؤون الدولة، وقد عمل جج على استمالة الناس إليه، فأحسن لهم وأقام العدل، وبالتالي لم يشعر الملك ساهسي بأي تراجع في أمور الدولة بعد وفاة الحاجب رام، لأن الحاجب الجديد سار بالدولة إلى مزيد من القوة والتقدم، مستغلاً تنوع معارفه، والخبرة التي اكتسبها عن طريق احتكاكه بالحاجب رام، ومن جهة أخرى فقد كان الملك ساهسي عقيماً لا ينجب أولاداً، وكان جج على درجة كبيرة من الجمال، فوقعت زوجة الملك بحبه، وأصبحت العلاقة متينة بينهما حتى شاع هذا الخبر بين العامة، ووصل إلى مسامع الملك ساهسي، ولكن يبدو أن ثقته بجج كانت كبيرة، ولم تطل المدة حتى تدهورت صحة الملك ساهسي بشكل كبير وتوفي بعد ذلك، وكانت زوجة الملك بالتعاون مع جج قد وضعت خطة تقضي بوصول جج إلى رأس السلطة في المملكة بعد وفاة الملك ساهسي، وكان للملك أقرباء أغنياء، وآخرون فقراء تم استبعادهم وحرموا من التمتع بمزايا السلطة، وهنا ظهرت عبقرية جج من جهة، ودهاء زوجة الملك من جهة أخرى، فقبضوا على أقرباء الملك الأغنياء، وطلبوا من أقرباء الملك الفقراء بأن يدخلوا عليهم في السجن ويقتلوهم، ومن ثم يستولوا على ما يملكونه من أراضٍ وأموال، وبالتالي عندما طلبت منهم مبايعة جج ملكاً على البلاد قبلوا ولم يعارضه أحدٌ(١).

إن الباحث والمدقق في مجرى الأحداث وما آلت إليه الأمور، من حقه أن يتساءَل هل تم اغتيال الملك ساهسي بعد افتضاح العلاقة بين زوجة الملك وجج؟ إن ما يجعل المرء يصل إلى هذه النتيجة أن زوجة الملك لم تكن من الأسرة الحاكمة وهذا ما أكده الكوفي في كتابه(٢)، كما أن جج ليس من الأسرة الحاكمة، وبالتالي لو توفي الملك فإنه لا فرصة لزوجة الملك وجج بالتمتع بأية مزايا، وذلك لأن أقرباء الملك كانوا لا يتركون فرصة لتقديم شكوى للملك ضدهما، ويبدو أنهما تحفظا على إعلان خبر موته، حتى نجحا في التخلص من جميع المعارضين، عندها طلبت زوجة الملك من الوزير بدهمين إعلام الناس أن الملك أمر بتعيين الحاجب جج بمنصب الملك، وبعد ذلك تم الإعلان عن وفاته، وكما يقال فإن الملك عقيم، وبالتالي فلا غرابة أن يقوم هذا البرهمي

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٢٣- ٢٥.

(٢)- المصدر نفسه، ص٢٤.

الشاب بالتعاون مع زوجة الملك لاغتيال ملك البلاد، الذي أحسن إليه وعينه بمنصب الحاجب، حيث كان هذا المنصب يعد بمثابة الوزير الأول في البلاد.

تولى جج مقاليد الحكم في عام ١هـ/٦٢٢م، واستمر في منصبه حتى عام ٤٠هـ/٦٦٠م(١)، وبالتالي فقد امتد حكمه أربعين عاماً، استطاع خلالها أن يوطد دولته وأن يؤسس أسرة حاكمة في شمال شبه الجزيرة الهندية، وكان لابد من قيام بعض المعارضات ضد حكمه في البداية، ولاسيما من أقرباء الملك الذين لم تصل يد جج إليهم في الولايات البعيدة، وأول المطالبين بوراثة العرش كان أخو الملك ساهسي واسمه مهرت، وكان والياً على قلعة جترور(٢)، فجهز جيشاً كبيراً وتوجه نحو العاصمة أرور، ولابد أن جج قد أصابه الجزع والخوف من ضخامة جيش مهرت، بالإضافة إلى أنه يمتلك الشرعية باعتباره أخا الملك ساهسي، كما أن الملك ساهسي كان لا يعتمد على مبدأ مركزية القوة العسكرية، وإنما وزع الجيش على الولايات، وبالتالي لا يستغرب الباحث من القول أن جج كان لا يملك جيشاً يوازي جيش مهرت، ومن هنا كان لابد لجج من أن يتبع خدعة عسكرية تنهي الموقف بسرعة، فأثناء حصار مهرت للعاصمة أرور، خرج جج على رأس الجيش وطلب من مهرت المبارزة، ولكنه اشترط بأن يترجلا عن الخيول، فنزل مهرت عن حصانه، ولكن جج خدعه وامتطى ظهر الحصان مجدداً، وتوجه نحوه بسرعة كبيرة وقطع رأسه، وقد ترك هذا الأمر أثراً كبيراً في معنويات جيش مهرت، فانضم عدد من قادة جيشه إلى جج، أما الذين قاتلوا فقد انتهى بهم الأمر بين قتيل وأسير(٣).

من خلال تتبع مسيرة جج منذ قدومه إلى العاصمة أرور حتى تسلمه مقاليد الحكم في المملكة، يجد الباحث نفسه أمام شخصية تتصف بالدهاء والمكر والخداع، ومن هنا يمكن القول أن كل ما حصل معه لم يكن محض صدفة، بل كان يقف خلفها جميعاً، ابتداءً من موت الحاجب رام، إلى مقتل الملك ساهسي، وانتهاءً بخدعة مهرت في المبارزة الشهيرة، والتي تدل بشكل واضح

---

(١)- أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص٢٩.

(٢)- ورد ذكرها عند البيروني: تحقيق ما للهند، ص١٦١.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص٢٨.

على أنه لا يمتلك أخلاق الفرسان، إضافة إلى أنه سخر كل شيء في خدمة مصالحه حتى دينه، فهو عندما طلب مبارزة مهرت، قال أن دينه البرهمي يمنعه من المبارزة من فوق ظهر حصان، وبالتالي فالباحث يجد نفسه أمام شخصية تسوغ كل وسيلة في سبيل الوصول إلى غاية السلطة، فهل عمل لوحده؟ أو كان هناك من يقوم بدعمه وتنفيذ خططه بشكل سري، وهنا لابد من التذكير أنه ابن رجل برهمي متعبد، وبالتالي هل تلقى دعماً من البراهمة ليقصي البوذيين عن الحكم؟ حيث كانت أسرة ساهسي تتبع العقيدة البوذية.

إن ما يعزز هذه النظرة نحو جج، ويجعل الباحث يأخذ هذا المنحى في تفسير الأحداث، قيام جج باستدعاء أخيه جندر، حيث خاطبه قائلاً: "إن رب سيلانج قد أعطاني هذه الهبة، وجعل الدولة تحت حكمي وأمري، وإني أرتئي أن تكون نائباً لي بدار الملك في أرور"، وعند تعيينه خاطبه بالقول: "يجب علينا أن نرعى حقوق الطائفة"(١)، كل هذه الأمور تؤكد ما تم الذهاب إليه من أن جج كان يحمل مشروعاً للوصول إلى السلطة منذ قدومه إلى العاصمة.

إن مشروع جج بن سيلانج يقضي بالوصول إلى رأس السلطة، وترسيخ أقدام الديانة الهندوسية في المجتمع، وتسليم مفاصل السلطة في البلاد لأفراد من هذه الطائفة، يكون هدفهم الأول خدمة هذا الدين وأتباعه، وإقصاء البوذيين وملاحقتهم والتنكيل بهم، وبالتالي لابد من أنه تلقى دعماً لوجستياً من الهندوس المنتشرين في أرجاء واسعة من بلاد السند والهند، مستغلاً المساواة بين الجميع في الديانة البوذية، ومن هنا يدرك المرء أن جج بن سيلانج درس أوضاع هذه المملكة دراسة وافية قبل قدومه إليها، واعتمد على فرق كوماندوس خاصة تقوم بعمليات الاغتيال في المكان والزمان المناسبين، ولابد أنهم كانوا من البراهمة المتعصبين والمدربين على هذه العمليات، حيث استمرت الاتصالات بينه وبين أبيه سيلانج أثناء توليه المناصب المختلفة في المملكة، وكان باستطاعته أن يطلب منه تأمين الدعم البشري والمادي في الوقت المناسب، وإحاطته بكل ما يحدث في المملكة، ومعرفة نقاط الضعف فيها، وتحديد ساعة الصفر لتنفيذ المخطط المعد سلفاً من قبل البراهمة.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٢٩-٣٠.

رزق جج بولدين نتيجة زواجه من زوجة الملك السابق، وهما: داهر، ودهرسيه، حيث سيتوليان قيادة البلاد في قادم الأيام، وعندما استقرت الأمور لجج في العاصمة أرور، قرر توجيه جهوده لإخضاع الولايات والمدن المختلفة، والتي لا يزال قسمٌ كبيرٌ منها بيد أقرباء ساهسي، فشن الحملات المتتابعة شرقاً وغرباً، وكان يخرج على رأس الجيش في معظم الحروب، وما يلفت الانتباه أنه كان يقوم ببناء المعابد الهندوسية بعد دخول كل مدينة أو قلعة، والتي دخل معظمها بالقوة، حيث ذهب ضحية هذه الحروب آلاف الأشخاص(١)، في حروب أقرب ما تكون للحرب الطائفية بين الهندوس والبوذيين، وكانت نتيجة هذه الحروب توحيد شمال القارة الهندية تحت قيادة جج، وإقصاء البوذيين عن حكم البلاد، وبالتالي فقد أصبح البوذيون قابلين للتحالف مع أي قوة سواءً داخلية أو خارجية، قد تخلصهم من الاضطهاد الذي يمارسه البراهمة، وليكونوا عوناً لهم في استعادة حكمهم المسلوب، لأن ما حصل بوصول جج بن سيلانج إلى سدة الحكم، ليس فقط انقلاب سياسي وحسب، بل من الممكن اعتباره تطهيراً دينياً ضد البوذيين بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

بعد وفاة جج في عام ٤٠هـ/٦٦٠م، تم تعيين أخيه جندر مكانه، واستمر جندر في الحكم حتى عام ٤٨هـ/٦٦٨م، وكان جج سلمه البلاد وقد سادها الأمن والاستقرار، وبالتالي لم يواجه أي صعوبة في حكم البلاد(٢).

إن ما يميز حكم جندر بن سيلانج هو التمكين للدين الهندوسي في البلاد، حيث كان راهباً ومدرساً في المعابد الهندوسية، ولذلك عندما استلم الحكم بعث الرسل إلى الممالك المجاورة يدعوهم للدين البرهمي(٣)، وهذا ما أدى إلى انتشار الديانة الهندوسية في شمال شبه الجزيرة الهندية، على حساب الديانة البوذية، التي تراجعت بشكل كبير، وذلك بعدما تعرض له أتباعها من اضطهاد وظلم، وإقصاء عن المشاركة بأي نوع من أنواع الحكم، وشن الحروب المتتالية عليهم وتدمير معابدهم.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٢٩- ٤١.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٥٢؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص٢٩.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص٥٢.

لقد تعرضت البلاد إلى موجة من الاضطرابات بعد وفاة جندر، حيث انقسمت البلاد بين داهر بن جج الذي أقام في العاصمة أرور، وابن عمه دارج بن جندر الذي اتخذ من برهمناباد(١) عاصمة له، ولكن حكم دارج لم يستمر أكثر من عام واحد، حيث تولى بعده دهرسيه بن جج(٢).

استمر تقاسم الأخوين داهر، ودهرسيه لحكم البلاد ما يقارب الثلاثين عاماً، ولكن حدث ما عكر صفو العلاقة بين الأخوين، فقد تنبأ المنجمون بأن أختهم بائي سوف تتزوج رجلاً يحكم بلاد السند والهند بشكل مطلق، وقد اقترح عدد من رجال الدولة المحيطين بداهر ولاسيما الوزير بدهيمن بأن يتزوج داهر أخته بائي، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى إيمانهم بالتنجيم، وكان أول المعارضين لهذا الفعل الذي ترفضه الشريعة الهندوسية أخوه دهرسيه، ولكن داهر حاول إقناعه بأن بائي هي أختهم من أبيهم، لأن أمها من طائفة الزط(٣)، ولكن دهرسيه لم يقتنع بذلك لكون بائي أختهم من أبيهم، وهذا لا ينفي رابطة الأخوة بينهم، وحاول ثنيه عن القيام بهذا العمل، لكن داهر لم يتراجع، الأمر الذي جعل دهرسيه يجهز جيشاً ويتجه نحو العاصمة أرور، وأثناء حصاره للعاصمة توفي دهرسيه في عام ٧٩هـ/٦٩٨م، فصفت الأمور لداهر وضم ممتلكات أخيه إليه(٤).

لقد تابع داهر سياسة جج بن سيلانج في التمكين للبراهمة، وبالتالي لم يعمل على إيجاد صيغة للتفاهم مع بقية مكونات شعبه، ولاسيما مع البوذيين، ومن هنا فإن الأمراء البوذيين لجؤوا

---

(١)- مدينة البرهمن، تقع بجانب مدينة المنصورة، وقد تعددت أسماؤها عبر التاريخ، وذكرها البيروني باسم بهمنوا، البيروني: تحقيق ما للهند، ص١٣٠؛ ولكن المستشرق لسترنج ذكر أنه يطلق على مدينة المنصورة باللغة الهندية برهمناباد. لسترنج: بلدان الخلافة الإسلامية، ص٣٦٩.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٥٥.

(٣)- زنوج الهند، من الأقوام القديمة في شبه القارة الهندية، وقد عمل أغلبهم في الرعي، والبعض في الزراعة، وكانوا لا يطيقون الخضوع لقوانين المملكة، واشتهروا بشجاعتهم. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٨٣؛ أكبر(فايزة إسماعيل): البطائح تحت نفوذ عمران بن شاهين من حوالي ٣٣٠-٣٦٩هـ/٩٤١-٩٧٩م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جدة، (د.ت)، ج١، ص١٢؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص١١؛ كحيلة(عبادة عبد الرحمن): الزط والأصول الأولى لتاريخ الغجر، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط١، جمهورية مصر العربية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٢٢.

(٤)- الكوفي: فتح السند، ص٦١- ٦٦.

إلى بعض مناطق الأطراف منتظرين الفرصة المناسبة لكي يستعيدوا مجدهم الضائع، ويبدو أنه حتى لو أراد ذلك فإنه لن يستطيع تحقيق هذا الهدف، لأنه محكوم بالعقيدة البرهمية في تقسيمها للمجتمع إلى طبقات، بالإضافة إلى هيمنة رجال الدين البرهمي على كافة المجالات، وبالتالي فإن أجزاء واسعة من شبه الجزيرة الهندية، كانت تعيش في صراع ديني، وصراع سياسي قبل الفتح الإسلامي لهذه البلاد، على الرغم من القوة العسكرية لداهر.

لقد أصبح داهر القوة الأولى ليس فقط في شمال شبه القارة الهندية، حيث اضطر عدد كبير من الممالك أن يدفعوا له الأموال والهدايا تقرباً منه وخضوعاً إليه، بينما تجنب مواجهته البعض الآخر، ولكن لماذا لم يتجه داهر لضم باقي مناطق القارة الهندية؟ ولاسيما أن مناطق الجنوب كانت غنية بالمنتجات المتنوعة، إضافة إلى ذلك فإن المصادر التاريخية لم تذكر وجود دول وممالك قوية ومتحدة في الجنوب، وبالتالي كان من الممكن أن يجهز الجيوش ويقودها باتجاه الجنوب، بعد أن استقرت له الأمور في شمال القارة الهندية.

إن الإجابة على هذه الأسئلة المشروعة تقتضي من الباحث أن ينظر إلى الأحداث بصورة متكاملة، ولاسيما إلى الإقليم المحيط بمملكة داهر، فازدياد النفوذ العربي الإسلامي في الغرب كان يشكل خطراً كبيراً بالنسبة لداهر، ووزيره بدهمين الذي كان يعد العقل المدبر للدولة، وكان داهر يوليه أهمية خاصة نظراً لخبرته الكبيرة، وتعاقبه على كل الملوك منذ عهد ساهسي الثاني، ومن هنا كانت الأولوية تقتضي توخي الحذر في الاندفاع باتجاه الجنوب، والبقاء على أهبة الاستعداد لمواجهة أي خطر يأتي من العرب المسلمين من الغرب، إن هذا الاستنتاج يظهر من خلال قيام داهر بدعم المعارضين للحكم الإسلامي في فارس، وإيواء المتمردين وتشجيعهم على القيام بهجمات على الأقاليم القريبة، ولاسيما إقليم مكران(١)، وبالتالي فإن داهر نظر إلى المسلمين في الغرب على أنهم خطر سياسي وعسكري وعقائدي قد يقلب الأوضاع في بلاده رأساً على عقب، ومن هنا فإن داهر من الممكن أن يكون قد شن عدة هجمات على المسلمين في الغرب، وقدم كل أنواع الدعم للمتمردين على الحكم الإسلامي، ولذلك فإن الفتح الإسلامي لبلاد السند والهند أصبح ضرورة لابد منها لرد اعتداءات داهر.

---

(١)- أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص٣٠.

كما يمكن أن يكون داهر قد امتلك أسطولاً عسكرياً، ولاسيما أن بلاده كانت تشرف على ساحل بحر العرب، ويوجد فيها ميناءٌ بحريٌ هامٌ وهو ميناء الديبل، ومن خلاله كان يتم استيراد وتصدير المنتجات المختلفة، مع الاستفادة من إمكانية الملاحة في نهر السند إلى مسافات معينة، ولا يستبعد أن داهر كان يعد هجوماً برياً وبحرياً على المسلمين في الغرب.

ثانياً- الأوضاع الاقتصادية:

لقد ازدهرت الحياة الاقتصادية في شبه القارة الهندية، حيث كان لديهم زراعة متقدمة تجلت بإنتاج مئات الأصناف الزراعية، وقد ساعدهم في ذلك توفر المياه والتربة الخصبة على ضفاف الأنهار، كما ازدهرت الصناعة، وقاموا بتصدير منتجاتهم إلى مختلف أصقاع الأرض، وبالتالي فقد انعكس توفر المنتجات الزراعية والصناعية على اهتمام سكان القارة الهندية بالتجارة، لتصريف فائض الإنتاج، واستيراد ما يلزمهم من منتجات.

١- الزراعة:

إن وجود نهري الغانج والسند في شبه القارة الهندية أدى إلى غناها بالمنتجات الزراعية، كما أن تنوع أقاليمها المناخية سمح بتنوع منتجاتها، ومن أبرز منتجات حوض السند النخيل، والليمون الحامض، وقصب السكر الذي كان يزرع بكثافة في الأراضي المحيطة بمدينة المنصورة(١)، وذلك بسبب توفر الظروف المناسبة لزراعته ولاسيما توفر المياه والحرارة العالية، أما كورة طوران فتتميز بتربتها الخصبة، وأشهر المنتجات الزراعية فيها العنب والرمان(٢)، ويزرع الرز بإقليم الكجرات على ساحل بحر العرب(٣)، وفي قنوج في الشرق، كما يزرع في عدد من مناطق السند القطن والتوت والموز واللوز والتفاح والإجاص(٤)، بالإضافة إلى زراعة القمح والشعير في المناطق التي

---

(١)- ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٧٧؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص١٦٨.

(٢)- لسترنج: بلدان الخلافة الإسلامية، ص٣٧٠.

(٣)- الندوي(سليمان): العلاقات التجارية بين العرب والهند، مجلة ثقافة الهند، الهند، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، ص١٢٣.

(٤)- الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص٤٢.

يسيطر فيها المناخ المتوسطي.

بالإضافة إلى هذه المنتجات فإن شبه القارة الهندية تشتهر ببعض أنواع الطيب ومنها الكافور(١)، كما تزرع أنواع من الأشجار للاستفادة من أخشابها، ولاسيما الساج(٢) في المولتان.

ويعد إقليم البنغال من الأقاليم الغنية في شبه القارة، نظراً لاختراق نهر الغانج لأراضيه، ومن أبرز منتجاته الطيب، والسكر، بالإضافة إلى عدد كبير من الأعشاب التي تستخدم في صناعة العقاقير الطبية(٣).

أما منتجات الجنوب فهي كثيرة ومتنوعة، ففي إقليم المليبار تشتهر مدينة قاليقوط(٤) ومحيطها بالتوابل، والبخور، والعطور، والأحجار الكريمة الثمينة(٥)، الأمر الذي أعطى هذا الإقليم أهمية كبيرة، كما أسهم موقعه الجغرافي بشكل كبير في التجارة مع الساحل الشرقي لشبه القارة الهندية، وكذلك في التجارة مع الصين، بالإضافة إلى شهرته التجارية مع سواحل شبه الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين، فأصبحت أسواق مدنه تعج بالتجار من مختلف الأقوام والمناطق(٦).

---

(١)- المسعودي: أخبار الزمان، ص٥٨؛ مسلم(زياد جابر إبراهيم): صورة الهند عند المؤرخين المسلمين- دراسة في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير منشورة، إشراف: عدنان ملحم، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٣٩.

(٢)-شجر كبير، ورقه عريض، له رائحة طيبة تشبه رائحة الجوز. ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص٣٠٣؛ الحميري(محمد بن عبد المنعم ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الروض المعطار في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ج١، ١٥٧.

(٣)- بولو(ماركو ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م): رحلات ماركو بولو، تر: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٢، ص١٣٣.

(٤)- يطلق عليها حالياً مدينة كاليكوت، وتقع في وسط ساحل المليبار، شفيقة: شبه القارة الهندية والصين، ص٤٦.

(٥)- فهمي(نعيم زكي): طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص١٦٨.

(٦)- هايد(ف): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٣، ص٣٧٦-٣٧٧.

وهناك أيضاً ميناء جرفتن(١)، ويشتهر بتجارة الفلفل، والنارجيل(٢)، ونظراً لوفرة إنتاج الفلفل في هذه المنطقة أطلق على إقليم المليبار بلاد الفلفل، وتشتهر مدينة كولم بأشجار الساج(٣) التي تستخدم أخشابها في صناعة السفن، بالإضافة إلى الكافور، والراوند(٤)، وغير ذلك من المنتجات الزراعية الهامة.

ومن هنا يتبين للباحث غنى بلاد السند والهند بالثروات الزراعية، وذلك على الرغم من انتشار الصحارى في أجزاءٍ منها، ولكن اتساع مساحتها ووفرة مياهها وتنوع أقاليمها المناخية جعل منتجاتها متنوعة وغنية، ولذلك أصبحت محط أنظار التجار، لأن هذه المنتجات كانت تحتاجها كل المناطق، ولاسيما التوابل التي اشتهرت بها أقاليم الجنوب، وبالتالي فقد كانت منتجات الجنوب أهم بكثير من منتجات الشمال، لأن منتجات الشمال كانت تزرع في مختلف مناطق العالم، بينما احتكرت مناطق الجنوب الهندي ولاسيما إقليم المليبار عدة منتجات يحتاجها كل العالم، لما لها من قيمة غذائية وطبية في الوقت نفسه.

٢- الثروة الحيوانية:

تعد شبه القارة الهندية غنية بالثروة الحيوانية، والتي تنتشر على كافة أرجائها، وأبرز هذه الحيوانات الأبقار والجواميس(٥) والأغنام والماعز(٦)، وتنتشر الجمال بشكل كبير في السند والهند،

---

(١)- مدينة ساحلية من مدن المليبار. شفيقة: شبه القارة الهندية، ص٤٤.

(٢)- ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٢، ص٥٧٣.

(٣)- الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٦؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص٢٨٥.

(٤)- عبارة عن قرع تستخدم أوراقه في مداواة بعض أمراض العين. القزويني: آثار البلاد، ص١٠٧.

(٥)- ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص٦٤؛ مسلم: صورة الهند عند المؤرخين المسلمين، ص١٤٩.

(٦)- عبد الرحمن(محمد نصر): الحياة الاقتصادية في الهند في عصر بني تغلق، مجلة حوليات إسلامية، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٩.

وللجمال السندية سنامان(١)، كما تشتهر شبه القارة بالحيوانات الضخمة مثل الكركدن الذي يتم الاستفادة من قرونه، حيث يتم تصديرها إلى أماكن مختلفة ولاسيما إلى الصين(٢)، وذكر المسعودي أن أهل الهند كانوا يأكلون لحمها(٣)، ويعيش الفيل بكثرة في القارة الهندية، ولاسيما في السند، حيث كانت مدينة المنصورة وما حولها تصدر الفيلة والعاج إلى مختلف مناطق شبه القارة الهندية(٤)، ويستخدمه الهنود في حروبهم بشكل فعال، كما تنتشر التماسيح في الأنهار، إضافة إلى ذلك ونتيجة إحاطة البلاد بالمياه من ثلاث جهات، ووجود نهرين كبيرين فيها، فلابد أن يكون الهنود قد استثمروا ما فيها من ثروة سمكية، وبالتالي فإن الثروة الحيوانية في السند والهند كانت تشكل مورداً اقتصادياً أساسياً للسكان، يسهم في استقرارهم وتحسين مستوى معيشتهم.

٣- الصناعة:

بالنسبة للصناعة في شبه القارة الهندية، فقد قامت العديد من الصناعات الغذائية التي اعتمدت على الإنتاج الزراعي، ومنتجات الحيوانات، بالإضافة إلى العديد من الصناعات التعدينية التي تقوم على استثمار ما تحتويه شبه القارة من معادن وعلى رأسها الحديد، حيث اشتهرت القارة بصناعة السيوف والخناجر، وكان للسيوف الهندية شهرة واسعة وكان يضرب بها المثل بجودة صقلها وصلابتها، فلقد برع الهنود بعلم الكيمياء، حيث استثمروا هذا العلم في صهر الحديد بطرق جديدة لم تعرفها الأمم الأخرى(٥)، ومما يدل على الرقي الذي وصلت إليه صناعة السيوف في شبه

---

(١)-الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص١٧٨؛ شفيقة: شبه القارة الهندية، ص٣٢؛ الندوي: العلاقات التجارية بين العرب والهند، ص١٢٤.

(٢)-ابن فضل الله العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٢٠، ص٧٥.

(٣)- المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٣٣.

(٤)- المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٤٨١؛ الطحطوح(حسين علي): المنصورة قصبة السند، مجلة التربية والعلم، الموصل، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٢١؛ الندوي: العلاقات التجارية بين العرب والهند، ص١٢٤.

(٥)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص١٤٩-١٥٠؛ ديورانت: قصة الحضارة، ج٣، ص٢٤٠.

القارة الهندية، أن الإسكندر المقدوني كان يفضل السيوف الهندية على الذهب والفضة(١)، وبالتالي فهي صناعة قديمة وعريقة في شبه القارة الهندية، ومن المعلوم أن الإسكندر المقدوني احتل إقليم السند، ومن هنا يمكن القول أن صناعة السيوف تركزت في إقليم السند.

كما استفادوا من قرون الفيلة في الصناعات العاجية، بالإضافة إلى ذلك فقد اشتهرت القارة الهندية بصناعة النعال، فكانت على درجة كبيرة من الجودة والاتقان، وتركزت هذه الصناعة في مدينة برهمناباد ومحيطها(٢)، كما تميز الهنود بصناعة الزجاج، وصناعة الصابون، بالإضافة إلى الدباغة(٣).

كانت الصناعات النسيجية متقدمة في شبه القارة الهندية، ولاسيما صناعة الأقمشة، وقد استفادت القارة الهندية من توافر المواد الأولية من قطن وحرير وصوف، فصدرت منتجاتها إلى مختلف مناطق العالم، وكان إقليم السند من أشهر الأقاليم بهذه الصناعة(٤).

كما تميز الهنود بصناعة السفن، حيث كانت شبه القارة غنية بالأخشاب اللازمة لصناعة السفن، وكان خشب الساج من أجود الأخشاب الموجودة في السند والهند، حيث يتميز هذا الخشب بالمرونة والقوة، وبعدم حصول أي تشقق فيه نتيجة بقائه فترة طويلة بالماء(٥)، كما تميزت السفن التجارية الهندية بعدم استخدام المسامير في جمع الألواح الخشبية، بل تم استعمال الخيوط المصنوعة من قشر النارجيل، ويبدو أن بقاء استخدام الخيوط بدلاً من المسامير في بناء السفن يعود إلى مرونة الخيوط في حال اصطدامها بأي عائق في البحر من شعاب مرجانية أو غيرها،

---

(١)- الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٤٤-٤٥.

(٢)-مسلم: صورة الهند، ص١٥٤.

(٣)-الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ٤٥.

(٤)-الندوي: العلاقات التجارية بين العرب والهند، ص١٢٤.

(٥)- حوراني(جورج فضلو): العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، تر: يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥١م، ص٢٤٥-٢٤٦.

كما أنها تستطيع الرسو فوق الزبد(١) الذي يتشكل في بعض المناطق على سواحل الهند الغربية، بالإضافة إلى ذلك فهي تجعل السفن أقدر على مواجهة الأمواج العاتية في المحيط الهندي، ولسد الثغرات التي قد تظهر بين ألواح السفينة، فقد تم طلاء السفن باستخدام مزيج من القار(٢) ودهن الحوت بعد أن يتم طبخه وإذابته(٣).

أما بالنسبة لأهم أنواع السفن في المحيط الهندي، فهناك البغلة وهي سفينة كبيرة ذات شراعين، وهناك سفينة البقارة(٤) والتي تتميز بحجمها الكبير، وكانت مناسبة جداً للتجارة في المحيط الهندي، ومن أكثر السفن انتشاراً في سواحل المحيط الهندي سفينة السنبوق، وكان لها شراع مربع، وهناك سفينة القنجة(٥)، والتي تتميز بمؤخرتها المربعة، بالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك سفن أخرى استخدمها التجار في رحلاتهم.

كما كانت القارة الهندية متقدمة في صناعة الأدوية والعقاقير الطبية، وقد استفاد الهنود من وجود عدد كبير من النباتات والأعشاب التي تستخدم لأغراض طبية، بالإضافة إلى براعة الأطباء الهنود، فقد استطاعوا اكتشاف أنواع من المخدر لاستخدامها في العمليات الجراحية، بالإضافة إلى قدرتهم على تشريح الجسم بشكل كامل، وتوصلوا إلى تقنية اكتشاف المرض من

---

(١)- زبد الماء: طفاوته وقذاه، وبحر مزبد أي مائج يقذف بالزبد، أي الرغوة. الجوهري: تاج اللغة، ج٢، ص٤٨٠؛ ابن سيده المرسي(أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م): المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٩، ص٢٣.

(٢)- القار، أو القطران: هو صعد يذاب فيستخرج منه القار، ولونه أسود تطلى به السفن فيمنع الماء أن يدخل إليها. الزبيدي(محمد بن محمد بن عبد الرزاق ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.م)، ج١٣، ص٤٩٩.

(٣)- الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٩٤؛ حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥٩.

(٤)- العمري(جميل عبد حمزة): صناعة السفن في الخليج العربي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد: ٤، الكويت، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م، مج٨، ص١٨٦.

(٥)- عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص١٠٥، ١٠٨.

خلال البول، كما عرفوا مرض الجدري منذ القرن الخامس قبل الميلاد(١).

وبالتالي فإن شبه القارة الهندية كانت تتمتع بمكانة علمية متقدمة انعكست على تطور الصناعة والطب، ومن المعلوم أن تقدم الصناعة في أي بلد، ينعكس إيجاباً على الحياة الاقتصادية بشكل عام، ويرفع مستوى المعيشة للسكان.

إن تقدم الهنود في علم الكيمياء، لم ينعكس على تطور الصناعة فحسب، بل تم استغلاله في مجال العلوم الطبية، الأمر الذي أدى إلى تطور الطب، ووصوله إلى درجة متقدمة في تشخيص المرض بشكل مبكر، ومن ثم في توصيف الدواء المناسب، من خلال تركيب العقاقير من النباتات والأعشاب المتوفرة بكثرة في شبه القارة الهندية.

ومن القضايا التي استطاع الأطباء الهنود التوصل إليها في القرن الخامس قبل الميلاد، مسألة ضبط النسل، وذلك عن طريق معرفة صعوبة حصول الحمل في مدى اثني عشر يوماً من موعد الحيض، كما استطاع الأطباء بتر الأطراف، وجبر الكسور العظمية، إضافة إلى استخدام وسائل التعقيم للجروح(٢).

٤- التجارة:

لقد اشتهرت شبه القارة الهندية عبر التاريخ بالتجارة البرية والبحرية، فحملت منتجاتها إلى كافة أصقاع العالم، كما تم الاستفادة من صلاحية نهري الغانج والسند للملاحة النهرية(٣)، لنقل البضائع داخل القارة الهندية، بالإضافة إلى الاستفادة من الملاحة النهرية في نقل المنتجات الزراعية والصناعية من أماكن إنتاجها إلى الموانئ، التي تقوم بتصديرها إلى المناطق المختلفة.

---

(١)- الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٤٥.

(٢)-ديورانت: قصة الحضارة، ج٣، ص٢٤١، ٢٤٣.

(٣)- ابن شهريار: عجائب الهند، ص١٠٤؛ الطحطوح: المنصورة قصبة السند، ص١٢١؛ الندوي: العلاقات التجارية، ص١٢٧.

ومن أبرز موانئ إقليم السند ميناء الديبل، وميناء بريريكم(١) الواقع على حوض نهر السند، أما موانئ الجنوب فأبرزها في إقليم المليبار، ومنها قاليقوط، وكولم، كما برزت موانئ إقليم البنغال، وكان للتجار العرب دورٌ كبيرٌ في نقل منتجات هذا الإقليم إلى الصين شرقاً، وإلى أوروبا غرباً، واستمر النشاط التجاري العربي على طول ساحل كروماندل من العصر الهلنستي وحتى بعد ظهور الإسلام(٢)، ومن خلال هذه الموانئ المنتشرة على طول السواحل الشرقية والغربية، كان يتم تصدير واستيراد المنتجات من وإلى شبه القارة الهندية.

كانت صادرات الهند كثيرة وتكاد لا تحصى، نظراً لغناها بالكثير من المنتجات الزراعية والصناعية، أما واردات شبه القارة الهندية فأبرزها اللؤلؤ الذي كان يستخرج من سواحل عُمان(٣)، والعنبر وهو نبات عطري بحري كان يستخرج من سواحل عُمان واليمن، وله فوائد طبية كبيرة، كما كان يتم استيراد الخيول الأصيلة من شبه الجزيرة العربية(٤).

إضافة إلى ذلك فقد تم استيراد بعض المنتجات الزراعية، وأهم هذه المنتجات التمور بأنواعها المختلفة، ومنتجات زراعية أخرى مثل القمح، والشعير، بالإضافة إلى بعض الورود، وأنواع أخرى، وبالتالي يمكن القول أن شبه الجزيرة الهندية كانت أقرب إلى تحقيق ما يمكن أن يطلق عليه الاكتفاء الذاتي، وذلك نظراً لعدم أهمية المنتجات التي يتم استيرادها، بالمقارنة مع المنتجات التي كانت تصدر إلى الخارج.

---

(١)- البحر(أماني خليفة محمد علي): علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، (د.ت)، ص٥٨؛ النعيم(نورة عبد الله العلي): الوضع الاقتصادي في الجزيرة في الفترة بين القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، ط١، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٢٤٨.

(٢)- عبد الحليم(وفاء محمود): الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للبنغال منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي "٦٠١- ٩٨٢هـ/ ١٢٠٤- ١٥٧٤م"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص٢٩.

(٣)- ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص٦٢؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٢١٨.

(٤)- فهمي: طرق التجارة الدولية، ص١١٩.

كان الميزان التجاري كما يبدو راجحاً لصالح شبه القارة الهندية، ومن هنا تظهر أهميتها الاقتصادية، ولذلك يمكن القول أن معظم الدول والممالك سعت لنسج أفضل العلاقات مع بلاد السند والهند، بهدف الحفاظ على طرق التجارة البحرية، ولاسيما في المحيط الهندي، الذي شغل دوراً كبيراً في التجارة العالمية، انطلاقاً من حاجة كل أصقاع العالم سواءً الأقاليم المجاورة للقارة الهندية في شبه الجزيرة العربية والعراق والشام في الغرب، أو الصين في الشرق، أو الأقاليم البعيدة ولاسيما القارة الأوروبية، حيث كان للتجار العرب دورٌ كبيرٌ في نقل منتجات شبه القارة الهندية إليها.

لقد اهتم العرب في سواحل شبه الجزيرة العربية، ولا سيما في سواحل عُمان بالتجارة مع سواحل الهند الغربية، وقد استفاد العرب من خبرتهم وتقدمهم في علوم البحار، ويظهر ذلك من خلال معرفتهم مواعيد الرحلات البحرية، وذلك عن طريق معرفة مواعيد هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، والتي تهب بين شهري حزيران وأيلول، وبالتالي فإن السفن التي تحاول القيام برحلات تجارية في هذين الشهرين، فإنها ستواجه مصاعب كبيرة، حيث تزداد سرعة الرياح، بالإضافة إلى ارتفاع أمواج المحيط الهندي، أما في سواحل الهند الغربية فإن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية تبدأ من شهر أيار(١)، وبالتالي يتوجب على السفن التجارية الخروج من سواحل الهند قبل موعد هبوب الرياح الموسمية.

إضافة إلى ذلك فقد عرف البحارة العرب أماكن وجود الدوامات المائية، ولاسيما تلك التي توجد في مدخل الخليج العربي(٢)، وتعدّ الدوامات المائية خطيرة جداً، فهي تؤدي لتحطم السفن بالكامل.

من خلال ذلك يتبين للمرء أن العرب احتكروا التجارة مع شبه القارة الهندية لمئات السنين، وأقاموا في موانئها، ونقلوا منتجاتها إلى أصقاع العالم المختلفة، بالإضافة إلى ذلك لم تسجل المصادر التاريخية وقوع أي حرب عربية هندية قبل الإسلام، بل يستطيع الباحث القول أن الهنود

---

(١)- عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص٦٧.

(٢)- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٧؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٢٧.

والعرب استخدموا القوة العسكرية البحرية للقضاء على القراصنة في المحيط الهندي، في سبيل الحفاظ على طرق التجارة، التي كانت تدر على الجانبين أموالاً طائلة، وتؤمن ما يحتاجه الطرفان من المنتجات المختلفة.

ثالثاً- الأوضاع الاجتماعية والدينية:

١- السكان:

كانت شبه القارة الهندية مأهولة بالسكان منذ آلاف السنين، وأول من سكنها هم الدراوديون، وكانت ألوان بشرتهم تختلف بحسب أماكن استقرارهم في هذه البلاد الشاسعة، فالجنوبيون كانت بشرتهم سوداء نظراً لقرب مناطقهم من خط الاستواء، أما سكان الشمال فكانت بشرتهم سمراء مائلة للبياض، ويبدو أن ديانتهم كانت بدائية، تقوم على عبادة بعض الحيوانات، والقوى الخارقة، بالإضافة إلى بعض الآلهة الأخرى(١).

وبعد زحف الآريين من الشمال، والذين كانوا بمثابة مهاجرين أكثر منهم فاتحين، وسيطرتهم على الحياة السياسية في شمال الهند، انعكست سيطرتهم السياسية على الجانب الاجتماعي والديني، وهو ما تجلى بظهور الديانة الهندوسية، وبالتالي فقد خضع معظم الدراوديين لإرادة الغزاة، وعقيدتهم الجديدة، بينما انسحب قسم آخر إلى الجنوب، حيث لم يستطع الآريون التغلغل إلى وسط وجنوب شبه القارة، وبقي الجنوب مستقلاً عن الشمال، ويمكن التوصل إلى حقيقة مفادها أن أعداد الآريين لم تكن كبيرة بالمقارنة مع السكان الأصليين، وذلك من خلال القانون الاجتماعي الذي فرضه الآريون بعدم التزاوج بين الطرفين، بهدف الحفاظ على جنسهم(٢).

٢- أبرز الأديان المنتشرة في بلاد السند والهند قبل الفتوحات الإسلامية:

لقد انتشرت العديد من العقائد في شبه القارة الهندية، ولكن الكثير منها لم يعمر طويلاً، وأبرز العقائد والديانات التي استمرت وأثرت بتاريخ شبه القارة الهندية بالكامل، هي الديانة الهندوسية،

---

(١)- الندوي: الهند القديمة، ص٥٦.

(٢)- ديورانت: قصة الحضارة، ج٣، ص٢١.

والديانة البوذية، وكان لهاتين الديانتين وجود قوي في شبه القارة الهندية، عند ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية بداية القرن السابع الميلادي.

أ- الهندوسية (البراهمية)(١):

لا يوجد مؤسس محدد للديانة الهندوسية، وإنما هي منهج وطريقة للحياة، تحدد واجبات وحقوق أتباعها بشكل منظم، بالإضافة إلى كونها مجموعة من الفلسفات والعقائد والتأملات الروحية التي تبحث في الله والكون والطبيعة، فعند مجيء الآريين إلى شبه القارة الهندية في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد جلبوا معهم الأساطير الدينية عن الآلهة والإنسان، وبعد ذلك اختلطت هذه العقائد مع ما يؤمن به السكان الأصليون لشبه القارة، فكانت العقائد الهندوسية هي نتيجة هذا التمازج بين عقائد الدراوديين والآريين(٢).

لقد كان الطرف الأقوى في هذا التمازج هو الطرف الآري، وبالتالي كان لابد له من أن يفرض بعض القضايا لصالحه، والتي تحولت مع مرور الزمن إلى عقائد أساسية لا يمكن مناقشتها، وهذا ما يظهر جلياً من خلال نظام الطبقات، والذي يقوم على تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات أساسية، وهي على الشكل التالي:

- البراهمة: وهم رجال الكهنوت الهندوسي، وهم القائمون على أحكام هذا الدين، ومهمتهم الحفاظ على المعرفة والثقافة، وإرضاء الآلهة، وتثقيف الناس بدينهم، ولهم المكانة الأسمى في المجتمع، فحسب اعتقادهم أنهم خلقوا من رأس الإله براهما، وبالتالي فهم خلاصة الجنس البشري، كما يجب على الملك ألا يغضبهم، حتى في أصعب الأوقات، لأن ذلك سوف يلحق الأذى بكل المملكة(٣).

---

(١)- سميت بالبراهمية نسبة للإله براهما. مظهر(سليمان): قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٩٢.

(٢)- إبراهيم(محمد إبراهيم): الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، مطبعة الأمانة، ط١، القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص٨٠- ٨١؛ المقدسي(صبري): الموجز في المذاهب والأديان، المديرية العامة للثقافة والفنون، ط١، أربيل، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج١، ص١٩.

(٣)- الأعظمي(محمد ضياء الرحمن): دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، ط٢، الرياض،=

– طبقة الجند: ويأتون في المرتبة الثانية بعد البراهمة، ولهم قيمة كبيرة في المجتمع الهندوسي، نظراً لما يمثلونه من قوة وحماية للبلاد، وحسب اعتقادهم أنهم خلقوا من مناكب ويدي الإله براهما.

– طبقة الزراع والتجار: على الرغم من أن ترتيبهم الثالث بين الطبقات، إلا أنهم أقرب إلى الطبقة الرابعة منها إلى الطبقة الثانية، فحسب اعتقادهم فإن أتباع هذه الطبقة خلقوا من ركبتي الإله براهما، ومهمتهم الأساسية تحقيق الأمن الغذائي للمجتمع الهندوسي، ومن الممكن القول أن الشأن الاقتصادي كان بيد هذه الطبقة، ومن هنا تأتي أهميتها.

– طبقة الشودر: وهم طبقة الخدم والعبيد والأسرى، وقد خلقوا من قدمي الإله براهما، وعليهم طاعة الطبقات الأعلى، وإلا تعرضوا للعقاب، وبالتالي فإنهم كانوا يعيشون حياة بائسة، لا ترقى إلى المعاملة الإنسانية(١).

وهناك العديد من السكان الأصليين لم يتم تصنيفهم حتى ضمن الطبقة الرابعة(٢)، وقد عانى هؤلاء من الظلم والاضطهاد بشكل كبير، ومن هنا كان هؤلاء تواقين إلى تغيير وضعهم بكل الأشكال، وبالتالي فقد شكل نظام الطبقات نقطة ضعف، وأدى إلى عدم تماسك المجتمع في شبه القارة الهندية، ومن هنا يفهم الباحث مدى ارتباط الناحية الدينية في هذه البلاد بالناحية الاجتماعية.

ترك نظام الطبقات في الهندوسية أثراً سلبياً على المستوى المعيشي للمجتمع الهندوسي، وذلك لأن هذا النظام فرض العمل على طبقة واحدة، بينما كان العمل للطبقتين الأولى والثانية لا يليق بمكانتها في المجتمع، في حين اقتصر عمل الطبقة الرابعة على الخدمة.

أما آلهة الهندوسية فهي ثلاثة، أكبرها وأعظمها شأناً هو براهما، وهو الإله الخالق، والإله

= ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٥٦٨؛ حقي(إحسان): منوسمرتي كتاب الهندوس المقدس، دار اليقظة العربية، ط١، (د.م)، (د.ت)، ص٥٧٣-٥٧٥؛ الموحي(عبد الرزاق رحيم صلال): حقوق الإنسان في الأديان السماوية، دار المناهج، (د.م)، (د.ت)، ص٣٩.

(١)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص٤٥٥-٤٥٨؛ المقدسي: الموجز في المذاهب والأديان، ص٣٣.

(٢)- سعيد(حبيب): أديان العالم، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، (د.ت)، ص٧٣.

الثاني هو الإله سيفا، وهو المهلك، أما الإله الثالث فهو فشنو، وهو الإله الحافظ(١)، وبالتالي يصح القول أنها أقرب إلى التثليث منها إلى التوحيد.

وللهندوس كتاب مقدس هو الفيدا، والذي يعني في اللغة السنسكريتية المعرفة(٢)، ولا يعرف له كاتب محدد، وقد كتب على مراحل تاريخية متعددة، ويتألف من أربع أقسام هي:

- الريج فيدا: وهي عبارة عن أناشيد دينية للتضرع للآلهة.
- ياجور فيدا: وهي مجموعة من العبادات القولية، يقوم البراهمة بتلاوتها عند تقديم القرابين.
- آثار فيدا: وهي عبارة عن بعض المقالات في السحر.
- ساما فيدا: تشتمل على مجموعة من الأغاني يقوم المنشدون بترديدها أثناء الصلاة(٣).

ب- **البوذية:**

على عكس الهندوسية التي ليس لها مؤسس، فإن للبوذية مؤسس هو سيدهاتا غوتاما، وقد لقب ببوذا أي المستنير أو المستيقظ(٤)، ويوحي هذا اللقب إلى أن الناس كانوا نائمين روحياً، وقد نشأ بوذا في مجتمع أغلبية أفراده يدينون بالهندوسية.

وكان والده ملكاً لإحدى الممالك الصغيرة في الشمال الشرقي من شبه القارة الهندية بمحاذاة التبت، وهناك خلاف حول تحديد تاريخ ولادته، فمن المؤرخين من ذكر أنه ولد عام ٥٦٣ق.م(٥)،

---

(١)- شلبي(أحمد): أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، ط١١، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٥٤؛ المغلوث(سلمى بن عبد الله بن أحمد): أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٦١١.

(٢)- شعيب(محمد): نظرة على الفكر الديني في شبه القارة الهندية قبل تأسيس الإمبراطورية المغولية، مجلة صوت الأمة، (د.م)، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٣٩؛ مراد(سعيد): المدخل إلى تاريخ الأديان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، (د.ت)، ص٩٧.

(٣)- شلبي: أديان الهند الكبرى، ص٤٠- ٤١.

(٤)- زينر(ر. س): موسوعة الأديان الحية، تر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٢، ص١٤٨.

(٥)- السواح(فراس): دين الإنسان، دار علاء الدين، دمشق، (د.ت)، ص٢٨٥؛ أبو الليل(محمد مرسي): الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص٦٧؛ نومسوك(عبد الله): البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، مكتبة أضواء السلف، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٨٦.

وهناك من قال أنه ولد عام ٥٦٧ ق.م(١)، ومنهم من ذكر أنه ولد عام ٥٦٠ ق.م(٢)، وقد أتيحت لبوذا كل نعم الحياة ومتاعها، بالإضافة إلى ذلك فقد كان حسن المظهر، متناسق الجسم، ذو جمال أخاذ(٣)، لقد ترك بوذا نعيم العيش في القصور، واتجه لحياة الزهد والتقشف، وقد بدأ رحلته هذه بالتعلم على يد مجموعة من النساك الهندوس، ومن هنا فإن الهندوس يدعون أن بوذا هندوسي، وأن حركته هي حركة هندوسية إصلاحية.

على الرغم من نشأة الملوك التي نشأها بوذا، إلا أنه بعد أن سلك طريقه الجديد لم يميز بين الناس على أساس طبقي، ولأجل ذلك فقد شعر الكثير من السكان من طبقة المنبوذين لأول مرة بوجود من يسمع لهم، ويتفهم معاناتهم، وأصبح لديهم أمل كبير في العودة للانخراط في المجتمع بشكل طبيعي.

إن بوذا لم يدعِ أنه إله، ولم يدعُ لعبادة إله محدد، بل كان عمله يقتصر على تهذيب الأخلاق، ولم يكن ينتظر قوة خارقة لكي تساعده في عمله، أو يضع عقائد من أجل عبادتها، ومن هنا قال البعض عن هذه الديانة أنها تقوم على الإلحاد، وبالتالي فهي عبارة عن منظومة فلسفية أكثر من ما يمكن اعتباره دين جديد(٤)، ولكن البعض الآخر ادّعى أن بوذا هو نبي مرسل من الله تعالى(٥)، ولكن هذا الأمر بعيد عن الواقع، لأن بوذا لم يصرح بأنه نبيٌ مرسلٌ، بل إنه في إحدى خطاباته ينكر وجود الله، فيقول "إن المشايخ الذين يتكلمون عن الله، وهم لم يروه وجهاً لوجه، كالعاشق الذي

---

(١)- لوا(لقمان وافي): البوذية نشأتها وإسهامات ملوك الهند في تطورها، مجلة ثقافة الهند، العدد: ٣، نيودلهي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، مج: ٦٥، ص١١٣.

(٢)- عجيبة(أحمد علي): دراسات في الأديان الوثنية القديمة، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٣٦.

(٣)- سميث(هوستن): أديان العالم، تر: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، ط٣، حلب، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٣٧.

(٤)- نومسوك: البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، ص١٥٢.

(٥)- الهمذاني(رشيد الدين فضل الله ت٧١٨هـ/١٣١٨م): مخطوط جامع التواريخ، المتحف البريطاني، ج١، أوراقه مدشوتة.

يذوب كمداً، وهو لا يعرف من هي حبيبته، أو كالذي يريد أن يعبر نهراً فينادي الشاطئ الآخر ليقدم له"(١).

إن المرء يستطيع التوصل إلى غاية هذه الفلسفة من خلال الحديث الذي جرى بين بوذا وأحد أتباعه واسمه بورنا، وكان يريد أن يرسله إلى إحدى القبائل المعروفة بقسوة طباع أفرادها، فقال بوذا لرسوله: " إن رجال هذه القبائل قساة سريعو الغضب، فإذا وجهوا إليك ألفاظاً بذيئة خشنة، ثم غضبوا عليك وشتموك، فماذا أنت فاعل؟ فأجاب بورنا أقول: لا شك أن هؤلاء قوم طيبون، لينو العريكة، لأنهم لم يضربوني بأيديهم، ولم يرجموني بالحجارة، فقال بوذا: فإن ضربوك بأيديهم ورجموك بالحجارة، فماذا كنت قائلاً؟ أجاب بورنا أقول: إنهم طيبون لينون إذ لم يضربوني بالعصا ولا بالسيوف، فقال بوذا: فإن ضربوك بالعصا والسيوف؟ فأجاب بورنا أقول: إنهم طيبون لينون إذ لم يحرموني الحياة نهائياً، فقال بوذا: فإن حرموك الحياة؟ أجاب بورنا أقول: إنهم طيبون لينون إذ خلصوا روحي من سجن هذا الجسد السيء بلا كبير ألم، فقال له بوذا: أحسنت يا بورنا، وكما وصلت إلى مقام النيرفانا الكاملة، فأوصلهم إليه مثلك"(٢)، وبالتالي فإن الهدف الأساسي للبوذية هو الوصول إلى مرحلة النيرفانا، والتي تعني أعلى درجات الصفاء الروحاني، ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال الأعمال الصالحة، وهي مرتبطة بعقيدة أخرى لدى البوذيين وهي التناسخ، والتي تعني انتقال الروح بعد مفارقتها للجسد إلى كائن حي آخر(٣)، ولا يمكن الخلاص من هذه الدورة الحياتية إلا بالوصول إلى مرحلة النيرفانا، وطريقها الوحيد تخليص الروح من أي شرور، والابتعاد عن كل ملذات الدنيا(٤)، وبالتالي فقد ركز بوذا على رفع مستوى المنظومة الأخلاقية لأفراد المجتمع.

---

(١)- الحمد(عبد القادر شيبة): الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مكتبة فهد الوطنية، ط٤، الرياض، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٧٥؛ شلبي: أديان الهند، ص١٦١- ١٦٢.

(٢)- شلبي: أديان الهند الكبرى، ص١٤١- ١٤٢.

(٣)- سعفان(كامل): معتقدات آسيوية، دار الندى، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢١١؛ شلبي: أديان الهند، ص١٤٤- ١٥٥.

(٤)- الجعيري(فهيد صلاح عاهد): تناسخ الأرواح في الأديان والحركات الباطنية في الإسلام، رسالة ماجستير منشورة، إشراف: حافظ محمد حيدر الجعبري، جامعة الخليل، فلسطين، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٤١؛ الزكي(عبد العزيز محمد): الفكر الهندي من الهندوكية إلى الإسلام، مجلة عالم الفكر، العدد: ٢، الكويت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، مج: ٦، ص٨٦.

يجد الباحث في تاريخ الديانتين الهندوسية والبوذية، أن نظام الطبقات قد شكل موضع خلاف رئيس بينهما، لذلك كانت طبقة البراهمة وطبقة المحاربين من أشد المعارضين للبوذية، أما الطبقتين الثالثة والرابعة، بالإضافة إلى المنبوذين فقد انضم قسمٌ كبيرٌ منهم إلى البوذية، التي ساوت بين جميع أفراد المجتمع، وبالتالي فقد شعرت الطبقات العليا بأن ما تمتعت به من امتيازات على حساب باقي الطبقات أصبح مهدداً، ومن هنا يفهم المرء الصراع المستمر بين الديانتين، والذي تحول في بعض مراحله إلى صراع مسلح، انتهى بارتكاب العديد من المجازر بين الطرفين، ولاسيما من جانب الهندوس، الذين لم يوفروا أية وسيلة في الحفاظ على ديانتهم ومكانتها في شبه القارة الهندية.

لقد كانت الغالبية العظمى من سكان السند والهند قبل عهد جج بن سيلانج ١-٤٠هـ/٦٢٢-٦٦٠م تعتنق البوذية، وكان جج ابن راهب هندوسي، وعند تسلمه الحكم في شمال القارة الهندية، ارتكب العديد من الممارسات القمعية ضد البوذيين، وقام الهندوس بمجازر جماعية، بالإضافة إلى استخدام وسائل التعذيب المختلفة(١)، وبالتالي فقد عمل جج على إحداث انقلاب ديني في البلاد، ويبدو أن نظام الطبقات عاد إلى التطبيق بقوة في البلاد بعد عودة الهيمنة الهندوسية على الحكم، الأمر الذي جعل البلاد في حالة اضطراب من النواحي الاجتماعية والدينية والاقتصادية، نظراً لتأثير نظام الطبقات على هذه الجوانب كافة، وهذا ما لم يتم تصحيحه في عهد خلفاء جج بن سيلانج من جهة، وتم الاستفادة منه أكبر إفادة من قبل المسلمين أثناء الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند، حيث انضمت الطبقات الدنيا إلى المسلمين، لأنهم كانوا يأملون بأن يقوم المسلمون بتخليصهم مما يتعرضون له من قبل الهندوس، ولاسيما بعدما سمعوا عن المعاملة الإنسانية للمسلمين في المناطق التي قاموا بفتحها، وأقرب مثال ما حصل في فتح فارس المتاخمة لحدودهم الغربية، حيث تم تطبيق مبادئ الإسلام في المساواة بين الجميع بغض النظر عن الانتماء العرقي للسكان، مما جعل الغالبية العظمى من سكان السند والهند يتطلعون بشغف كبير لدخول المسلمين إلى بلادهم.

---

(١)- الحسين(بكري عمر رحمة حاج): انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٣١؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص٢٧.

٣- وضع المرأة:

أما بالنسبة لواقع المرأة في السند والهند، فقد كانت المرأة تعيش في واقع اجتماعي مزري للغاية، ولم يكن لها أية حقوق سياسية أو اقتصادية أو حتى إنسانية أحياناً، حيث كان على المرأة التي يتوفى زوجها أن تختار بين خيارين لا يمتان للإنسانية بصلة، الأول أن تحرق نفسها، وبذلك يتحقق شرف العائلة حسب تقاليدهم، والخيار الثاني أن تمتنع عن الزواج بقية عمرها، ولكن في هذه الحالة سوف تعيش حياتها في ذلٍّ ومهانة من الجميع، ومتهمة بعدم الوفاء لزوجها المتوفى ولعائلتها، وتستثنى من هذه القاعدة المرأة التي لها أولاد، حيث يقع على عاتق أولادها حمايتها وصونها من أي أذى قد يلحق بها من المجتمع(١).

كما حرمت المرأة من الميراث، باستثناء الابنة، فلها ربع ما للولد، ولكنها إذا تزوجت سقط حقها في الميراث، بالإضافة إلى ذلك فقد جرت العادة على تقديم بعض الآباء لبناتهم للخدمة في المعبد، وكان يطلق عليهن "جاريات المعبد"(٢)، وبالتالي فقد عاشت المرأة الهندية حياة بؤس وشقاء، ولم تكن تملك من أمرها شيئاً، حيث لم تسجل المصادر التاريخية وصول المرأة في السند والهند إلى مناصب سياسية، أو قيامها بالأعمال التجارية المستقلة، كما حدث في مصر والشام وشبه الجزيرة العربية.

بالإضافة إلى ذلك فقد كان سكان السند والهند لا يفضلون زواج الأقارب، ويعملون على تزويج بناتهم بعيداً عن أية صلة قرابة(٣)، فهل كان ذلك نوع من الثقافة الطبية؟ نظراً لتقدمهم في العلوم الطبية، أو أن العادات والتقاليد والنصوص الدينية كانت السبب في ذلك؟ وقد يكون السبب الثاني هو الأرجح، لأن رجال الدين لم يتركوا شيئاً إلا وتدخلوا في تنظيمه، وألبسوه صفة القدسية لكي لا يتجرأ أحد على تغييره في المستقبل.

---

(١)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص٤٧٠.

(٢)- الدجيلي(خولة شاكر محمد): مظاهر الحياة الاجتماعية في الهند في العصور الإسلامية، مجلة كلية التربية للبنات، العدد: ١، جامعة بغداد، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، مج: ١٧، ص٨٠- ٨١.

(٣)- المقدسي(مطهر بن طاهر ت بعد ٣٥٥هـ/٩٦٦م): البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ج٤، ص١٢.

الفصل الثاني: العلاقات العربية الهندية قبل الفتح الإسلامي.

أولاً- العلاقات العربية الهندية قبل الإسلام:

ثانياً- العلاقات العربية الهندية منذ بدء البعثة النبوية الشريفة حتى نهاية عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

١- العلاقات العربية الهندية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

٢- انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية:

٣- موقف الهنود في الجزيرة من أحداث الردة:

أولاً- العلاقات العربية الهندية قبل الإسلام:

تضرب العلاقات الهندية العربية جذورها في أعماق التاريخ، وهي تعود للألف الثالث قبل الميلاد(١)، وكان هذا التواصل يتم إما برياً بالاتجاه إلى بلاد فارس ومنها إلى إقليم السند، أو بحرياً عبر سواحل شبه الجزيرة العربية والعراق إلى سواحل الهند الغربية والشرقية، كما ساهم غنى شبه القارة الهندية بتعزيز العلاقات بين الجانبين، ومن المعلوم أن الطريق البري كان طويلاً نسبياً، وبالتالي فقد اعتمدوا على الطريق البحري بشكل رئيس، وأبرز الصور التي تجلت فيها هذه العلاقة كانت العلاقات التجارية، وقد استطاع العرب في الجزيرة العربية سواءً في الساحل الشرقي أو الجنوبي احتكار التجارة الهندية، وشغل دور مركزي في تصدير بضائعها إلى العالم أجمع، ولاسيما إلى سواحل إفريقيا الشرقية، وأوروبا عبر البحر الأحمر، بالإضافة إلى تأمين ما يحتاجه العرب في الجزيرة العربية من المنتجات الهندية الكثيرة والمتنوعة(٢).

ونتيجة تطور العلاقات العربية الهندية فقد استقرت الكثير من الأسر العربية في سواحل الهندية الغربية، وبعد ذلك أصبح للعرب جالية كبيرة في هذه البلاد، وأقاموا العديد من المنشآت العمرانية الخاصة بهم سواءً كدور للسكن، أو مستودعات لتخزين المنتجات قبل تصديرها(٣).

---

(١)- تشاند(تارا): أثر الإسلام في الثقافة الهندية، تر: محمد أيوب الندوي، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٥٩؛ زيادة(نقولا): تطور الطرق البحرية والتجارة بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد: ٤، الكويت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص٦٩؛ الندوي(محمد إسماعيل): تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح، ط١، بيروت، (د.ت)، ص٣٢.

(٢)- علي(أحمد إبراهيم): الهجرات العربية الهندية وآثارها الاجتماعية، مجلة المؤرخ العربي، العدد: ١٦، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص١٢٦؛ نيلسن(ديتلف) وآخرون: التاريخ العربي القديم، تر: فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، ص١١٢.

(٣)-الطرازي(عبد الله مبشر): انتشار الإسلام في العالم في ٤٦ دولة آسيوية وإفريقية، عالم المعرفة، ط١، جدة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص٤١؛ عبد الرحمن(محمد نصر): الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص١٣.

وبالتالي كان العرب قديماً على معرفة كبيرة ببلاد السند والهند وأحوالها، حيث نقل التجار العرب الذين أقاموا فيها أخبارها وأحوالها إلى البلاد العربية(١)، ونتيجة هذه العلاقات الاقتصادية والاجتماعية فقد حدث تأثر في عدة مجالات ولاسيما في مجال اللغة، فدخلت الكثير من الألفاظ الهندية إلى اللغة العربية(٢)، ومنها على سبيل المثال، "المسكة" وتعني في اللغة السنسكريتية "مشكا"، "والكافور" وأصله في السنسكريتية "كاربورا"، وغير ذلك من المفردات(٣).

لقد كانت قيادة تجارة المحيط الهندي بأيدي العرب في السواحل الشرقية والجنوبية لشبه الجزيرة العربية، وقد ساعدهم على ذلك عدة قضايا منها، قرب المسافة بين السواحل الشرقية للجزيرة العربية والسواحل الغربية للهند(٤)، والموقع المتوسط للساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية بين الهند والساحل الشرقي لإفريقيا، وكذلك سيطرتهم على تجارة البحر الأحمر الذي تتم عبره نقل التجارة الهندية إلى بلاد الشام، ومصر، وأوروبا.

ومن الموانئ الشهيرة في الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية ميناء الشعيبة(٥)، وكان يعدّ

---

(١)- خطاب(محمود شيت): الهند قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، دار قتيبة، ط٤، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٧٦؛ سيد(أيمن فؤاد): العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس، مجلة المؤرخ المصري، العدد: ٨، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٦٦.

(٢)- فهمي(خالد): الألفاظ الهندية في المعجم العربي ودورها في دراسة العلاقات الحضارية بين العرب والهنود، مجلة الأمة، العدد: ٤، الهند، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص١٧٦.

(٣)- الندوي: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ص٣٢.

(٤)- صالح(عبد العزيز): تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٢٥؛ كليب(مهيوب غالب أحمد): الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، العدد: ١+٢، دمشق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، مج: ٢٧، ص٣٤٣-٣٤٤؛ مفتاح(علي محمد فريد): موانئ الساحل العماني ودورها في تنشيط حركة السلع التجارية المتبادلة بين عمان وبلاد الهند في العصر الإسلامي، مجلة الدارة، العدد: ٢، الرياض، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م، ص١٨٣.

(٥)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج١، ص٥٤٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٥٩٦؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٢، ص٤١٢.

الميناء الرئيس لمكة، ومنه هاجر المسلمون إلى الحبشة هرباً من ظلم قريش، وكان ذلك في السنة الخامسة من البعثة النبوية، كما يبرز ميناء عدن(١) في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية على المحيط الهندي، وقد أكد المؤرخ والجغرافي اليعقوبي: أن عدن كانت محطة هامة للتجارة مع الشرق(٢)، وهناك ميناء الشحر(٣) الذي يتوسط الساحل الجنوبي للجزيرة العربية.

أما الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية المطل على الخليج العربي وبحر عُمان، فقد كان يتمتع بمكانة تجارية هامة(٤)، حيث كان فيه عدد من الموانئ الشهيرة، وأبرزها ميناء جرها في الإحساء على ساحل الخليج العربي، وميناء صحار(٥)، وقلهات(٦)، ومسقط(٧)، ومرباط(٨) على الساحل العماني، وتتميز السواحل العمانية بأنها عميقة، كما أن الجبال الساحلية وفرت لها الحماية من الرياح والعواصف التي تؤدي أحياناً إلى إعاقة الملاحة البحرية.

---

(١)- الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٨٩.

(٢)- اليعقوبي: البلدان، ص١٠٥؛ الندوي(سليمان): الملاحة عند العرب، تر: جلال السعيد الحفناوي، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م، ص٦٣.

(٣)- ناحية بين عدن وعمان على ساحل البحر. القزويني: آثار البلاد، ص٤٧.

(٤)- مايلز(س.ب): الخليج بلدانه وقبائله، تر: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة، ط٢، سلطنة عمان، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٢٩.

(٥)- ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص٤٤-٤٥؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٢؛ البكري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٧٠؛ السيابي(سالم بن حمود بن شامس): عمان عبر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة، ط٥، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج١، ص٦٣-٦٤.

(٦)- مدينة حصينة ومنيعة تقع على ساحل بحر عمان. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٣.

(٧)-الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص١٥٦.

(٨)- مدينة بين حضرموت وعمان. القزويني: آثار البلاد، ص٦١؛ ابن المجاور(جمال الدين يوسف بن يعقوب ت٦٩٠هـ/١٢٩١م): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تصحيح: أوسكر لوففرين، دار التنوير، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٢٧٠.

أما داخل شبه الجزيرة العربية فقد كانت مكة تشغل دوراً محورياً في التجارة بشكل عام بين اليمن في الجنوب، والشام في الشمال(١)، ويستطيع الباحث من خلال ذلك القول أنها شغلت دوراً مهماً في نقل التجارة الهندية من اليمن إلى الشام، وكان لهذا الطريق البري أثرٌ كبيرٌ في تحسن الحالة الاقتصادية لسكان الداخل، حيث فتح لهم مجالاً واسعاً للعمل في التجارة، ولاسيما أن المناطق الداخلية كانت في معظمها لا تصلح للزراعة، وبالتالي فقد ازدهرت تجارة العبور بين الشمال والجنوب عبر الحجاز، فيقوم تجار الحجاز بشراء البضائع المتنوعة وبيعها في أسواق اليمن في الشتاء، وأسواق الشام في الصيف في رحلاتهم المشهورة(٢)، بالإضافة إلى تأمين ما يحتاجه سكان الحجاز من هذه المنتجات، ومن هنا يمكن اعتبار منطقة الحجاز إحدى المحطات الهامة لتجارة الهند.

كما استقرت العديد من الجاليات التجارية في شبه الجزيرة العربية، ولاسيما الجالية الهندية، التي كانت تلقى ترحيباً كبيراً في مكة، ويبدو أنه كان لهم أصنامهم التي يعبدونها في مكة، حيث كانت عبادة الأصنام منتشرة بمكة في العصر الجاهلي، فكان يوجد في الكعبة عند فتح مكة ٣٦٠ صنماً(٣)، وبالتالي فإن العرب في شبه الجزيرة العربية كانوا على علاقة جيدة مع الهنود، وكان بينهم مصالح تجارية متبادلة، وعلاوة على ذلك كانوا على دراية تامة بعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم.

لقد تأثرت الجالية الهندية في الجزيرة العربية بالعادات العربية الأصيلة في الترحيب بالضيف وإكرامه، بالإضافة إلى حمايته وصونه من أي أذى، كما كان عرب الجزيرة العربية ينظرون إلى التجار الهنود نظرة تقدير واحترام، لأن هؤلاء يقومون من خلال تجارتهم بتأمين ما

---

(١)- أمين(أحمد): فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط١٠، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص١٢.

(٢)- البغدادي(محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي ت٢٤٥هـ/٨٥٩م): المنمق في أخبار قريش، تح: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٢١٩؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢٤٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج١، ص٥٠٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج١٦، ص١٦٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص٣٠٩.

(٣)- ضيف(شوقي): تاريخ الأدب العربي"العصر الجاهلي"، دار المعارف، ط١١، القاهرة، (د.ت)، ص٩١.

يحتاجه السكان في الحجاز من منتجات هندية(١)، وبالتالي فقد كان للجاليات الهندية وجود كبير في شبه الجزيرة العربية سواءً في الساحل أو في المناطق الداخلية، ولاسيما في منطقة مكة التي اشتهر أهلها بالتجارة قبل الإسلام.

كما كان للأسواق المنتشرة في شبه الجزيرة العربية دورٌ كبيرٌ في تعزيز العلاقات الهندية العربية قبل الإسلام، فقد كان الهنود يشاركون بفعالية في هذه الأسواق، ولاسيما في سوق عكاظ الشهير(٢)، والذي كان يأتي إليه الناس من كل المناطق، فيعرضون بضائعهم ومن ثم يتم بيعها لتجار المناطق الأخرى، وكان سوق عكاظ وغيره من الأسواق التي تقام في مكة أو بالقرب منها، ليست أسواقاً اقتصادية فحسب، بل كانت ملتقى ثقافي واجتماعي وسياسي أيضاً، حيث يجتمع الشعراء لإلقاء أفضل قصائدهم في هذه الأسواق، ويعد سوق عكاظ أكبر هذه الأسواق، وكان التجار إذا فاتهم موعد أحد الأسواق، انتظروا ليحين موعد السوق الثاني ليعرضوا ما في حوزتهم من منتجات(٣).

إن كل هذه العوامل جعلت العرب والهنود يعرفون بعضهم البعض بشكل جيد، من خلال الاحتكاك فيما بينهم على أكثر من صعيد وفي أكثر من موقع قبل الإسلام(٤)، حتى تغنى بعض الشعراء العرب في شبه الجزيرة العربية بالمنتجات الهندية، ولاسيما السيوف الهندية التي اشتهرت في كل أنحاء الجزيرة العربية، حيث ذكر كعب بن زهير(٥) أحد شعراء الجاهلية المشهورين، وقد

---

(١)- الألوائي(محيي الدين): الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية عبر القرون، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة الأزهر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٦٢.

(٢)- الأفغاني(سعيد): أسواق العرب في الجاهلية، دار الفكر، ط٣، دمشق، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٢٧٧.

(٣)- علي(جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١٠، ص٣٢٤.

(٤)- الصابري(الحافظ سيد بديع الدين): العلاقات الهندية العربية من خلال الأدب العربي الحديث، مجلة ثقافة الهند، العدد: ٣، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، مج: ٥٠، ص٣.

(٥)- هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، توفي عام ٢٦هـ/٦٤٥م، وقد دخل في الإسلام في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٢٢٦.

أسلم فيما بعد بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام، وألقى قصيدته الشهيرة "بانت سعاد"، والتي تضمنت البيت التالي:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند(١) من سيوف الله مسلول(٢)

بالإضافة إلى ذلك فقد أنشد الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد(٣)، من ضمن ديوانه الشهير بيتاً تضمن ذكر السيف المهند، حيث قال:

وظلم ذوي القربى أشدُ مضاضةً على المرءِ من وقعِ الحسام المهند(٤)

كما اشتهر الرمح السمهري(٥) الذي كان يصنع في الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وبعد ذلك يتم تصديره إلى بقية المناطق، وكان الخشب الذي يصنع منه هذا الرمح الصلب يستورد من الهند(٦).

---

(١)- المهند: هو السيف المطبوع من حديد الهند. ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٢٩هـ/١٠٠٤م): مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٦، ص٦٩؛ الرازي(محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م): مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١، ص٧٠٥؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٩، ص٣٥٠؛ مصطفى(إبراهيم)، وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، الإسكندرية، (د.ت)، ج٢، ص٩٩٧.

(٢)- ابن زهير(كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ت ٢٦هـ/٦٤٥م): الديوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٦٧.

(٣)- ولد في البحرين في عام ٨٦ ق.هـ/ ٥٣٨م، وتوفي في عام ٦٠ ق.هـ/٥٦٤م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٩٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٢٥؛ كحالة(عمر رضا): معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، (د.ت)، ج٥، ص٤٠.

(٤)- البكري(طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد ت ٦٠ ق.هـ/٥٦٤م): الديوان، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٧.

(٥)- تنسب إلى رجل اسمه سمهر، كان يبيع الرماح في الساحل الشرقي للجزيرة العربية، ومن هنا جاء اسم الرمح بالسمهري، وهو الرمح الصلب العود. ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٣٨١.

(٦)- مباركبوري(أظهر): العرب والهند في عهد الرسالة، تر: عبد العزيز عزت عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٢٦.

ثانياً- العلاقات العربية الهندية منذ بدء البعثة النبوية الشريفة حتى نهاية عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

١- العلاقات العربية الهندية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

عندما بُعث الرسول عليه الصلاة والسلام، كان في شبه الجزيرة العربية عدد كبير من الهنود، كما استقر عدد كبير من العرب في شبه القارة الهندية، وبعد انتشار الإسلام في معظم أنحاء الجزيرة العربية، قبل قسم من الهنود في الجزيرة بالدعوة الإسلامية كسائر الناس، بينما دفع القسم الآخر الجزية وبقي على دينه(١).

وقد ذكر النبي محمد عليه الصلاة والسلام عدة أحاديث حول الهند والهنود، ومنها الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي الأكرم أنه قال: "عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام"(٢)، كما قال أبو هريرة أيضاً: "وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو الهند، فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي، فإن أقتل كنت أفضل الشهداء، وإن أرجع فأنا أبو هريرة المحرر"(٣)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة فيها زنجبيل، فأطعم

---

(١)- مباركبوري: العرب والهند في عهد الرسالة، ص١٢.

(٢)- ابن أبي عاصم(أحمد بن عمرو بن الضحاك ت ٢٨٧هـ/٩٠٠م): الجهاد، تح: مساعد بن سليمان الراشد الجميد، مكتبة العلوم والحكم، ط١، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص٦٦٥؛ الطبراني(أبو القاسم سليمان ابن أحمد ت ٣٦٠هـ/٩١٨م): المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٧، ص٢٣؛ البيهقي(أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م): السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط١، حيدر أباد، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، ج٩، ص١٧٦.

(٣)- ابن حنبل(أبو عبد الله أحمد ت ٢٤١هـ/٨٥٥م): المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ت)، ج٢، ص٢٢٨؛ النسائي(أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ/٩١٥م): المجتبى من السنن، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٢، حلب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٦، ص٤٢.

أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة"(١).

كما ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام أهل الهند عدة مرات، فعندما أراد تشبيه النبي موسى عليه السلام، شبهه بالزط، فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "رأيت عيسى، وموسى، وإبراهيم، أما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط"(٢).

إضافة إلى ذلك فقد أورد البخاري حديثاً في الأدب المفرد، أن السيدة عائشة رضي الله عنها دبرت أمةً لها، فاشتكت عائشة، فسأل بنو أخيها طبيباً من الزط(٣)، وهذا الحديث يؤكد وجود طائفة من الزط في المدينة المنورة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، واشتغال عددٍ من هؤلاء بمهنة الطب.

لقد سجلت المصادر التاريخية أسماء عدد من الصحابة رضي الله عنهم من العناصر غير العربية، ومنهم بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، رضي الله عنهما، بينما اشتهر من العنصر الهندي الصحابي بيرزطن الهندي(٤)، أو بيرطن الهندي(٥) رضي الله عنه، وهو من الذين أدركوا

---

(١)- الخراساني(سعيد بن منصور ت٢٢٧هـ/٨٤١م): سنن سعيد بن منصور، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص١٤٥؛ ابن راهويه(إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ت ٢٣٨هـ/٨٥٣م): المسند، تح: عبد الغفور بن عبد الحق، مكتبة الإيمان، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج١، ص٤٦٢؛ البزاز(أبو بكر أحمد بن عمرو ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م): المعجم، تح: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، ط١، الدمام، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مج١، ص٧٠؛ الحاكم النيسابوري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج٤، ص١٥٠.

(٢)- البخاري(محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م): الجامع الصحيح، دار الشعب، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٤، ص٢٠٢.

(٣)- تح: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ص٥١.

(٤)- ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١، ص٤٧٤.

(٥)- المباركبوري: رجال السند والهند إلى القرن السابع، المطبعة الحجازية، الهند، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، ص٨٦.

الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن لم يتأكد أنه قابله، كما أن المصادر التاريخية لم تذكر مشاركة هذا الصحابي في أي أحداث هامة، ولم يتم إثبات صحبة لأحد من الهند لغير بيرطن.

بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديثاً قال فيه: "إنه رأى رجلاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشبه قوم من الزط في شكله وملامحه"(١)، فهل من الممكن أن يكون هذا الرجل هو بيرطن الهندي الذي ذكره ابن حجر العسقلاني كأحد صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن حتى وإن لم يكن هو فإن هذا يؤكد مرةً جديدة على أن الهنود كانوا موجودين في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن الكثير منهم قبلوا الدعوة الإسلامية، وكانوا قريبين من النبي الأكرم، ويبدو أنهم تعلموا اللغة العربية نتيجة إقامتهم الطويلة في الجزيرة العربية، أو ربما كان هناك عدد من المترجمين يقومون بمهمة تسهيل التواصل بين العرب والأقوام الأخرى التي سكنت في الجزيرة العربية، ولاسيما أن هذه المنطقة كانت مقصداً هاماً للتجار من جميع الأقاليم المجاورة.

ومن الروايات الثابتة التي ذكرها عدد كبير من المؤرخين، وتؤكد على أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان على دراية تامة بالهنود وبعاداتهم وتقاليدهم وملبسهم والكثير من تفاصيل حياتهم، أن النبي قام في عام ١٠هـ/٦٣٢م بإرسال خالد بن الوليد إلى نجران، ليقوم بدعوة قبيلة بني الحارث للإسلام، فدخلت هذه القبيلة بالإسلام، فأرسل النبي إلى خالد يدعوه للمجيء إلى المدينة المنورة، وأن يصطحب معه وفداً من بني الحارث، فشكل خالد بن الوليد وفداً من ستة عشر رجلاً من قبيلة بني الحارث، وعند وصوله إلى المدينة ومقابلتهم للرسول الأكرم، قال الرسول: "من هؤلاء القوم، كأنهم رجال الهند"، قيل يا رسول الله هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب(٢)، من خلال

---

(١)- الترمذي(محمد بن عيسى ت ٢٧٩هـ/٩٠٩م): الجامع الصحيح، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ج٥، ص١٤٥.

(٢)- ابن هشام(عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ت ٢٣١هـ/٨٢٨م): السيرة النبوية، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٨١م، ج٥، ص٢٩٣؛ الكلاعي(أبو الربيع سليمان بن موسى ت٦٣٤هـ/١٢٣٧م): الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تح: محمد كمال الدين عز الدين=

هذه الرواية هل يمكن القول أنه حصل زيجات متبادلة بين العرب والجاليات الهندية؟ حتى أصبح هناك تشابه كبير بين الطرفين، فمن ناحية العقيدة لا شيء يمنع حصول مثل هذا الزواج، ولاسيما مع البوذيين، الذين لا يعترفون بتقسيم المجتمع إلى طبقات، وبالتالي بإمكانهم الزواج من أي عرق من الأعراق، كما أن العرب قبل الإسلام لم يحرموا التزاوج مع الأقوام الأخرى(١)، ولاسيما زواج الرجال العرب من غير العربيات، ولكن يبدو أن هذا الأمر كان لا ينطبق على الهنود من طائفة الهندوس، حيث أن نظام الطبقات يحرم مثل هذا الزواج.

من خلال ذلك يتبين للباحث أن الجالية الهندية في شبه الجزيرة العربية تلقت الدعوة الإسلامية في عهد النبي الأكرم شأنها شأن القبائل العربية، الأمر الذي سهل فيما بعد انتقال الدعوة الإسلامية إلى بلادهم، وذلك لأن قسم كبير من الجالية الهندية في الجزيرة العربية كان من التجار الذين كانوا في سفر دائم بين شبه القارة الهندية من جهة، والجزيرة العربية من جهة أخرى، فلابد أن يكونوا قد نقلوا أخبار الدين الجديد إلى بلادهم.

٢- انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية:

لقد دخل الإسلام إلى شبه القارة الهندية منذ وقت مبكر من بدء البعثة النبوية، وهناك العديد من الروايات التي تذكر أن الإسلام دخل إليها في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أنه من المتفق عليه بين المؤرخين والجغرافيين أن الساحل الغربي من شبه القارة الهندية كان يسكن فيه الآلاف من الجالية العربية(٢)، وتقدر بعض المراجع التاريخية نسبة العرب في هذا الساحل بنحو ٢٠% من عدد السكان(٣)، وبغض النظر عن صحة هذه النسبة من عدمه، فإن حضور

= علي، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص٢٩٧؛ ابن كثير: السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص١٨٩.

(١)- الترمانيني(عبد السلام): الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٢٨هـ/١٩٩٨م، ص٧١ وما بعد.

(٢)- عبد الرحمن(محمد باوا): العلاقات العربية في كيرالا ومساهماتهم في اللغة العربية وآدابها، رسالة ماجستير، جامعة كيرالا، كيرالا، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٤٨.

(٣)- الطرازي: انتشار الإسلام في العالم، ج١، ص٤٣.

التجار العرب في هذه المنطقة كان قوياً، وكانوا يتمتعون باحترام كبير من قبل سكان البلاد الأصليين، وذلك نظراً لدورهم التجاري الهام، وقيامهم بتسويق منتجاتهم وتصديرها إلى كافة مناطق العالم، ولاسيما أن نشاطهم اتسم بالسلمية، وبالتالي فإن العلاقات كانت قائمة بين الجانبين العربي والهندي على أفضل وجه عند بدء البعثة النبوية، ومن هنا يمكن القول أنه من البديهي أن تنتقل الدعوة الإسلامية إلى هذه البلاد من خلال التجار الذين يتنقلون بين الجانبين بشكل مستمر، وقد استفاد التجار العرب من سمعتهم العطرة في هذه البلاد، ومن الممكن أن تكون الدعوة الإسلامية قد بدأت بشكل منظم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أن الجالية العربية بدأت بالدعوة إلى الدين الجديد بطريقة غير مباشرة، وبالتالي فقد أصبح من الثابت أن الإسلام بدأ في الانتشار في شبه القارة بعد سنوات قليلة من البعثة النبوية(١).

وهناك رواية مفادها أن أحد أمراء إقليم المليبار الهندي سمع ببعثة النبي الأكرم، فقرر السفر إلى شبه الجزيرة العربية للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم(٢)، وهذا أحد الأدلة على أن الدعوة الإسلامية وصلت إلى الهنود في إقليم المليبار في عهد النبي الأكرم.

إن الإسلام منهج متكامل للحياة الإنسانية، حيث تدخل المعاملات الإنسانية في صلب هذا الدين، ومن هذه المعاملات البيع والشراء، ولابد أن التعاليم الإسلامية قد انعكست على سلوك التجار المسلمين في المليبار، الأمر الذي أدى إلى دخول قسم من الهنود في الإسلام نتيجة احترامهم وحبهم للتجار العرب وعقيدتهم الجديدة، والتي تتقاطع في الكثير من تفاصيلها مع بعض العقائد للهنود، ولاسيما البوذية منها، حيث يعتبر الصدق قاعدة أساسية في التعامل، بالإضافة إلى عدم التمييز بين الناس على أساس أعراقهم وألوانهم، فالرسول الأعظم قال في هذا الصدد: " لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود، إلا بتقوى الله"(٣)، واضعاً بذلك أفضل وثيقة لحقوق الإنسان على مر التاريخ.

---

(١)- الطرازي: انتشار الإسلام في العالم، ص٤١.

(٢)- الندوي: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ص٣٨؛ النمر(عبد المنعم): تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٩١.

(٣)- ابن المبارك(عبد الله ت ١٨١هـ/٧٩٧م): المسند، تح: صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، ط١، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٧٧م، ص١٤٧.

كما أن أهل جزيرة سرنديب التي تعدّ جزءاً لا يتجزأ من شبه القارة الهندية، عندما علموا ببعثة النبي الأكرم، قاموا بتجهيز وفد ليقابل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن هذا الوفد تعرض لعدة عوائق في طريقه إلى المدينة المنورة، فوصل بعد أن كان الرسول عليه الصلاة والسلام، وأبو بكر الصديق، قد التحقا بالرفيق الأعلى، وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب، فحدثهم عن النبي الأكرم، كما أن هذا الوفد شاهد زهد الخليفة عمر، وأنه لا يسكن في قصر، ويلبس كما يلبس عامة الناس، فأعجبوا بذلك وعاد الوفد إلى سرنديب، وأخبروا سكان الجزيرة بما شاهدوه(١)، وقد يكون هؤلاء قد اصطحبوا معهم بعض الدعاة المسلمين إلى الجزيرة، أو أنهم أنفسهم أصبحوا يدعون إلى الإسلام في بلادهم.

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل كتاباً يدعو فيه أهل إقليم السند للدخول في الإسلام، وقد حمل هذا الكتاب خمسة من الصحابة، وقد وصل هؤلاء إلى قلعة نيرون، وقد عاد اثنان من هؤلاء الصحابة إلى المدينة، بينما بقي الثلاثة الباقون في القلعة وتوفوا بها(٢)، وعلى الرغم من أن المصادر الإسلامية لم تذكر هذه الرواية، إلا أنه يمكن قبولها في ضوء إرسال النبي الأكرم رسائل عدة إلى كل ملوك الدول المجاورة لشبه الجزيرة العربية، ولاسيما إلى مصر والشام وفارس، ونتيجة العلاقة القوية بين العرب والهنود منذ مئات السنين، فلا يمكن استبعاد أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام قد أرسل رسائل عدة إلى ملوك السند والهند أسوةً بباقي المناطق، وإذا ما صحت هذه الرواية فإن الرسالة قد تكون موجهة إلى حاكم السند في ذلك الوقت وهو جج ابن سيلانج ١-٤٠هـ/٦٢٢- ٦٦٠م، ولكن هذا الحاكم كان من الهندوس المتعصبين، فهل قام بقتل ثلاثة من الصحابة المسلمين الذين أوفدوهم النبي الأكرم، وقام الصحابيان الآخران بالهرب والعودة إلى المدينة المنورة؟ إنها أسئلة من الصعب على الباحث الإجابة عليها، وذلك بسبب عدم توفر المصادر الكافية حول هذا الموضوع، ولكن مسألة إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام للوفد، قد تكون قريبة جداً من الواقع.

---

(١)- ابن شهريار: عجائب الهند، ص١٥٦- ١٥٧؛ المباركبوري: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، دار الأنصار، القاهرة، (د.ت)، ص٢٣- ٢٤.

(٢)- المباركبوري: العقد الثمين، ص٣١.

كما يمكن للباحث أن يستدل على وصول الإسلام وانتشاره في شبه القارة الهندية، بأن العديد من المراجع الهندية والعربية ذكرت بالنقل عن روايات صينية، أن الإسلام وصل إلى الصين في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام(١)، وهي روايات لا يستطيع المرء استبعادها، أو القول بعدم إمكانية الأخذ بها، لأن البحرية العربية كانت تقود التجارة في المحيط الهندي، وكان التجار العرب يقطنون السواحل الصينية كما سكنوا السواحل الهندية، وقاموا بتصدير البضائع الصينية إلى شبه القارة الهندية، والجزيرة العربية، والشام، ومصر، وسواحل إفريقيا، وأوروبا، كما شغلوا دوراً هاماً في نقل البضائع الهندية إلى الصين، مستفيدين من المكانة الهامة التي كانوا يتمتعون بها في سواحل شبه القارة الهندية، وبالتالي ينبغي إعادة النظر في قضية انتشار الإسلام في الشرق، وإمكانية إرسال النبي الرسل إلى ملوك الشرق في الهند والصين، ولاسيما أن اتصال العرب مع هذه البلاد كان كبيراً ومتطوراً.

من خلال ذلك يمكن القول أن قضية انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية كان حقيقة واقعة، وأصبحت السواحل الهندية قاعدة يمكن الانطلاق منها لنشر الإسلام في كل أنحاء الشرق، ولاسيما في الصين، وفي الجزر المنتشرة في المحيط الهندي.

إن وجود الإمبراطورية البيزنطية في الشام، والفارسية في العراق وفارس، والحروب الشهيرة بين الطرفين من جهة، وطبيعة العلاقات السلمية بين العرب، والصين والهند، ولاسيما على الصعيد التجاري من جهة أخرى، تجعل الباحث الموضوعي لا يستبعد فرضية قيام الرسول عليه الصلاة والسلام بإرسال الدعاة إلى الشرق، بل على العكس من ذلك فإن العوامل الجغرافية، والدينية والاجتماعية تساعد على بناء مثل هذه الفرضية، على الرغم من قلة المصادر التي تؤكد ذلك، ولكن المستقبل قد يكون كفيلاً بكشف الغطاء عن مخطوطات عربية أو غير عربية، قد تغير نظرة المؤرخين اتجاه هذه القضية.

---

(١)- الحجاج(توفيق داوي موسى)، النصر الله(جواد كاظم): طرق انتشار الإسلام في الهند، مجلة آداب البصرة، العدد: ٥٨، العراق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص١٢٠؛ الصيني(بدر الدين حي): العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، ص١٦٠؛ كاشف(سيدة إسماعيل): علاقة الصين بديار الإسلام، مجلة كلية الآثار، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص٢٨.

إن الإسلام كرسالة يستهدف الإنسان ككيان، ويخاطب عقله للتأثير في عقيدته ونظرته إلى الدنيا، وهو دين عالمي يهدف إلى ايصال رسالة الله إلى جميع البشر في كافة أصقاع الأرض، وبالتالي فإن الإسلام لا يستهدف ضم أكبر مساحة من الأراضي، ومن خلال ما تم عرضه يمكن القول أن الإسلام دخل إلى شبه القارة الهندية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هنا فإن ما حصل من فتوحات عسكرية في هذه البلاد فيما بعد، سواءً في العصر الراشدي أو الأموي لم تكن إلا استكمالاً لنشر الإسلام، وقد يكون لحماية من اعتنق الإسلام من الهنود في العهد النبوي أو الراشدي على حد سواء، ولاسيما أن جج بن سيلانج ارتكب المجازر ضد البوذيين الهنود، فكيف بالهنود الذين اعتنقوا الإسلام، وما يشكله الدين الجديد من خطر وجودي على الهندوسية في شبه القارة الهندية، التي قسمت الهنود إلى طبقات، وبالتالي إذا ما انضمت الطبقات الدنيا إلى الإسلام مستفيدة من المساواة المطلقة بين البشر، فإن ذلك سيجعل الهندوس يخسرون قوتهم الاقتصادية، لأن الطبقات الثلاث الدنيا هي من تقوم بالأعمال المختلفة، ولاسيما الطبقة الثالثة التي تضم المزارعين والصناعيين والتجار.

انطلاقاً من هذا الرأي المتواضع، يمكن للباحث القول أن الإسلام لم يدخل إلى شبه القارة الهندية بالسيف، كما يروج أعداء الإسلام، بل تم إثبات انتشار الإسلام بين الهنود سواءً في السند شمالاً، أو في المليبار وسرنديب جنوباً من خلال التجار المسلمين الذين كانوا أفضل من مثل مبادئ الإسلام السمحة في تعاملهم مع الهنود، بالإضافة إلى الدعاة الذين أرسلهم الرسول عليه والصلاة والسلام إلى مناطق مختلفة من شبه القارة الهندية، عدا عن قيام بعض أمراء وملوك الهند بإرسال الوفود إلى المدينة المنورة سواءً في العهد النبوي أو العهد الراشدي، للتعرف على مبادئ الإسلام، حيث كان سكان شبه القارة قد سمعوا عن أخلاق خاتم الأنبياء والمرسلين، التي لم يسمعوا مثلها قط.

ولكن لماذا اتجهت الفتوحات الإسلامية إلى إقليم السند في الشمال، ولم تتجه إلى الجنوب على الرغم من غناه؟ إن السبب في ذلك من وجهة نظر باحث بسيط، هو قيام جج بن سيلانج وخلفائه في شمال القارة الهندية، بالوقوف سداً منيعاً أمام انتشار الإسلام في البلاد، واضطهادهم لكل من يدخل في الدين الجديد، بينما كان الوضع مغايراً تماماً في الجنوب.

وهناك قضية هامة لابد من إثارتها، فمن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمح للمسلمين في مكة بالهجرة إلى الحبشة هرباً من ظلم قريش، فهل تخفى بعض المسلمين بهيئة تجار وهاجروا إلى شبه القارة الهندية؟ مستفيدين من العلاقات الجيدة مع أهالي هذه البلاد، وعلى الرغم من عدم وجود أية رواية تاريخية في المصادر الإسلامية تؤيد هذا المنحى، فإن هذا السؤال يبقى مشروعاً.

٣- موقف الهنود في الجزيرة من أحداث الردة:

بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، تسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه خلافة المسلمين، ولكن ما أن تسلم منصبه الجديد حتى قامت حروب الردة، حيث رفضت مجموعة من القبائل في مناطق عدة من شبه الجزيرة العربية دفع الزكاة لأبي بكر رضي الله عنه، بحجة أنهم كانوا يدفعونها للرسول صلى الله عليه وسلم فقط(١)، ومن القبائل من ظن أن الإسلام انتهى كعقيدة بوفاة الرسول الأكرم، فأرادت الارتداد عن الإسلام(٢)، ومنها من رفض الخضوع بداعي العصبية القبلية لحكم قريش، على اعتبار أن خليفة المسلمين منهم(٣)، بالإضافة إلى أسباب أخرى، مع العلم أن هناك

---

(١)- ابن حبيش(أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م): الغزوات، تح: أحمد غنيم، برلين، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٧؛ ابن العبري(غريغوريوس أبي الفرج بن هارون الطبيب الملطي ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م): تاريخ مختصر الدول، دار الرائد، ط١، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٦٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢٧؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط١، مصر، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ص٥٨؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص٢٣.

(٢)- ابن الطقطقا(محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٧٤؛ المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، ط٢، مصر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج١، ص٣٨؛ جلوب(جون باجوت): الفتوحات العربية الكبرى، تر: خيري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، (د.ت)، ص١٦٣.

(٣)- البياتي(عبد الجبار ستار): منهجية الصديق رضي الله عنه في مواجهة الردة دروس وعبر، مجلة الأستاذ، العدد: ٢٠١، العراق، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٤٠٨.

العديد من الأشخاص ارتدوا عن الإسلام في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، والبعض الآخر ادعى النبوة(١).

إن هذه الأسباب التي دعت القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية إلى الردة، قد تكون مفهومة بالنسبة لأي باحث في تاريخ العرب والإسلام، ولكن ما الذي يدفع بعض الهنود القاطنين في شبه الجزيرة العربية أن يشاركوا في هذه الحرب إلى جانب المرتدين العرب؟ ولماذا لم يأخذوا موقفاً حيادياً بالحد الأدنى؟ إن الإجابة على هذا السؤال لا يجدها الباحث في المصادر الإسلامية بشكل واضح، وبالتالي ينبغي عليه التدقيق والتمحيص والتحليل في هذه المصادر، وأول ما يلفت الانتباه هو أن حركة الردة امتدت إلى مناطق الساحل، أي مناطق الانتشار الأوسع للجالية الهندية في شبه الجزيرة العربية، ولا سيما في سواحل اليمن، وعمان، والبحرين(٢)، والمعلوم أن المصلحة التجارية كانت تأتي في رأس أولويات الجالية الهندية في شبه الجزيرة العربية، ومن هنا يمكن القول أن الهنود شعروا بأن السلطة المركزية للمسلمين في المدينة المنورة بدأت تنهار، وبالتالي قد تتأثر تجارتهم، ولاسيما أن حركة الردة انتشرت في معظم مناطق الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب، فاتخذ بعض الهنود نتيجة ذلك موقفاً مؤيداً للمرتدين، وهذا يظهر من خلال عدة أمور وأبرزها مشاركة عناصر هندية في المعارك، واستخدام المرتدين للأسلحة الهندية(٣).

ولكن لا توجد مصادر أو روايات تاريخية تقدم إجابات واضحة للأسئلة التي تدور في خلد كل باحث في التاريخ، ومن هذه الأسئلة هل شارك البوذيون الهنود في حروب الردة؟ أو اقتصر ذلك على الهندوس؟ من خلال وجهة نظر طالب علم بسيط، يمكن القول أن الحروب الدينية في إقليم السند بين البوذيين والهندوس قد انعكست على الهنود المقيمين في شبه الجزيرة

---

(١)- المغلوث(سامي بن عبد الله بن أحمد): أطلس حروب الردة، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٣٠.

(٢)- رضا(محمد): أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص٨٧- ٩٨.

(٣)- المباركبوري: العرب والهند في عهد الرسالة، ص٨٧.

العربية، وإذا ما صحت هذه النظرية فإن البوذيين في شبه الجزيرة العربية وقفوا إلى جانب المسلمين في حربهم ضد المرتدين العرب، ومن وقف إلى جانبهم من الهندوس، نظراً للعداء الذي كان قائماً بين الطرفين في شبه القارة الهندية، ومشاركة الهندوس في هذه الحرب إلى جانب المرتدين بقوة في الجزيرة العربية.

بالإضافة إلى ذلك فإن المجازر التي ارتكبها جج بن سيلانج ضد البوذيين في إقليم السند، قد تكون دفعت مجموعة كبيرة من البوذيين إلى الهرب لشبه الجزيرة العربية، ولاسيما بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة، ووضع اللبنة الأولى لبناء الدولة الإسلامية، وبالتالي فقد أصبحت هذه الدولة قادرة على حماية رعاياها المسلمين من جهة، ورعاياها من غير المسلمين بعد دفعهم للجزية من جهة أخرى، وهذا التسامح الديني لم يكن متوافراً في القارة الهندية، ولذلك فإن المسلمين أثناء حروب الردة من الممكن أن يكونوا قد تلقوا مساعدات عسكرية من البوذيين، سواءً على الصعيد البشري، أو بتسهيل استيراد الأسلحة الهندية.

إن مشاركة الهنود في حروب الردة، قد تكون أحد الأسباب التي جعلت المسلمين يرسلون الحملات المتتالية إلى شبه القارة الهندية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبالتالي من الممكن أن يكون تصدير السلاح من القارة الهندية إلى الجزيرة العربية قد حصل بشكل منظم، أي أن بعض أمراء القارة الهندية قدموا دعماً لوجستياً للمرتدين في الجزيرة العربية للقضاء على الدين الجديد، ولاسيما من قبل جج بن سيلانج، هذا الحاكم الهندوسي المتعصب، الذي يكن العداء لكل الذين لا ينتمون إلى دينه، ولاسيما المسلمين، حيث بدأ الدين الإسلامي ينتشر في سواحل القارة الهندية، وبعض مناطق الداخل، كما أن الدين الجديد لاقى ترحيباً كبيراً من قبل الطبقات الاجتماعية الدنيا في المجتمع الهندي، وبالتالي فإن الباحث عندما يوسع دائرة البحث لتشمل الإقليم المحيط بالجزيرة العربية، يجد أن حركة الردة في الجزيرة العربية تلقت دعماً كبيراً من الدول الإقليمية، ولاسيما من مملكة السند عبر بحر العرب، ومن خلال الجالية الهندية الكبيرة فيها، حيث وجدوا في انتقال النبي الأكرم إلى جوار ربه، فرصة لا تعوض للقضاء على هذا الدين الذي يشكل تهديداً عقائدياً ووجودياً لبنية المجتمعات المحيطة، ومن هنا يمكن أن يفهم المرء أن يكون جج بن سيلانج هو أبرز الداعمين لحركة الردة، وذلك نظراً لتعصبه الديني.

لقد كانت السيوف الهندية توجد بكثرة بأيدي المرتدين، واستخدمت من قبلهم في معظم أنحاء الجزيرة العربية، حتى أن خالد بن الوليد أثناء توجهه إلى معركة اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب، ظن أن أتباع مسيلمة يتقاتلون فيما بينهم نتيجة لمع السيوف الهندية، حيث كانوا يعرضونها للشمس بعد تنظيفها، أو ربما لكي تلين خوفاً من انكسارها، كما أن الهنود شاركوا بكثرة في هذه الحروب، وبعد هزيمتهم عادوا إلى بلادهم(١)، وهذا يؤكد ما تم الذهاب إليه من أن مشاركة الهنود في حروب الردة كانت منظمة، وليست فردية، أو لمصالح تجارية، وبالتالي فبعد أن استتبت الأمور في شبه الجزيرة العربية للمسلمين، كان لابد من تأديب الحكومات الهندية التي كانت وراء دعم حركة الردة في الجزيرة العربية، ومن هنا فإن المرء قد يفهم أن أحد أسباب الفتوحات الإسلامية في السند والهند كانت دفاعية، ولرد الاعتداء الذي قام به بعض الهنود في حروب الردة.

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص٢٨٦؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص٣٤.

الفصل الثالث: أهم محاولات فتح بلاد السند والهند قبل حملة محمد بن القاسم الثقفي:

أولاً-حملات السند والهند في العصر الراشدي:

١- الحملات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

٢- الحملات في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

٣- الحملات في عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

ثانياً-حملات السند والهند في العصر الأموي قبل حملة محمد بن القاسم الثقفي:

١- الحملات في عهد معاوية بن أبي سفيان:

٢- الحملات في عهد يزيد بن معاوية:

٣- الحملات في عهد عبد الملك بن مروان.

٤- الحملات في عهد الوليد بن عبد الملك قبل حملة محمد بن القاسم الثقفي:

أولاً-حملات السند والهند في العصر الراشدي:

١- الحملات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قبل وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٣هـ/٦٣٤م، اختار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليتولى شؤون المسلمين(١)، وقد استطاع أبو بكر الصديق في عهده أن ينهي فتنة الردة، كما بدأ بإرسال الجيوش إلى العراق والشام، وبعد ذلك تابع الخليفة عمر رضي الله عنه مسيرة الفتوحات الإسلامية، واستطاع أن يوسع حدود الدولة الإسلامية بشكل غير مسبوق، وبالتالي يمكن القول أن توسيع حدود الدولة لم يكن أمراً طارئاً على فكر الخليفة عمر رضي الله عنه، وإنما كان أمراً ممنهجاً ومخططاً له، وكان يمثل أولوية في فكر أمير المؤمنين، بهدف التعريف بالإسلام، وإيصاله إلى شعوب الأرض، ولاسيما إلى الشعوب التي تقع تحت حكومات تعادي الإسلام والمسلمين، وهذا الأمر ينطبق على الفتوحات الإسلامية في بلاد السند والهند.

لقد انفرد اليعقوبي(٢) بذكر أن الفتوحات الإسلامية في السند والهند بدأت في عهد أبي بكر رضي الله عنه، حيث أمر بإرسال أول حملة بقيادة عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه (٣)،

---

(١)- ابن العمراني(محمد بن علي بن محمد ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٤٨؛ ابن الجوزي(جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص١٢٦؛ ابن أيبك الدواداري(أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٦هـ/١٤٣٢م): كنز الدرر وجامع الغرر، تح: دوروتياكرافولسكي، نيو تايب إلكترونيك، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٢، ص١٧٠.

(٢)- تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٢، ص٢١.

(٣)- هو عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان، وفد على النبي عليه الصلاة والسلام في وفد ثقيف فأسلم. ابن شبه(أبو زيد عمر النميري ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م): تاريخ المدينة النبوية، تح: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ج٢، ص٥٠٤؛ ابن عبد البر(أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):=

واستطاع خلالها فتح توج(١)، وإقليم مكران، ولكن يبدو أن المؤرخ اليعقوبي قد وقع في وهم، فهناك إجماع بين كل المصادر التاريخية على أن عثمان بن أبي العاص تم تعيينه من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم على الطائف(٢)، وبقي طيلة عهد أبو بكر رضي الله عنه في هذا الموقع، حتى قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعيينه والياً على البحرين وعمان(٣).

يبدو أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قام بنقل عثمان بن أبي العاص من الطائف إلى الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، حيث عينه على ولايتي البحرين وعُمان، كان يخطط لجعل هذه المنطقة منطلقاً لفتح الشرق ولاسيما السند والهند، وذلك بالاستناد إلى ما عرف عن الصحابي الجليل عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه من تقوى وورع، ودفاعه عن الإسلام، وقد تجلى ذلك من خلال اختياره من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام على الطائف، بالإضافة إلى موقفه أثناء فتنة الردة، حيث كان لموقفه دورٌ كبيرٌ في منع ارتداد قومه عن الإسلام، عندما قال لهم: " يا معشر ثقيف، كنتم آخر الناس إسلاماً، فلا تكونوا أول الناس ردة"، فأطاعوه(٤)،

= الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٢، ص١٠٣٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٨٢٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج٢، ص٣٧٤.

(١)- توج: ويطلق عليها طوس، وهي مدينة في فارس، تبعد عن شيراز اثنان وثلاثون فرسخاً، ومناخها حار جداً، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٨٧؛ الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٦.

(٢)- الواقدي(محمد بن عمر ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م): المغازي، تح: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج٣، ص٩٨٦؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٥، ص١٨٣.

(٣)- ابن الكلبي(أبي المنذر هشام بن محمد السائب ت ٢٠٤هـ/٨١٩م): جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٣٩٢؛ ابن خياط: تاريخ خليفة، ص١٥٤؛ ابن قتيبة(أبي محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط٤، القاهرة، (د.ت)، ص٢٦٨؛ ابن دريد(أبي بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ/٩٣٣م): الاشتقاق، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٢، ص٣٠٢؛ الفسوي(أبو يوسف يعقوب بن سفيان ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م): المعرفة والتاريخ، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٣، ص٢٥٠.

(٤)- ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص١٠٣٦؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ص٨٢٣.

وهذا يدل على عظيم مكانته بين قومه، ومن المعلوم أن رجال قبيلة ثقيف اشتهروا عبر التاريخ بقوتهم وخبرتهم العسكرية، كما أن الخليفة عمر رضي الله عنه كان يريد أن يوجه ضربة قاصمة للتحالف القائم بين الفرس وجج بن سيلانج، الذي ظهر جلياً من خلال قيام جج بن سيلانج بإمداد الجيش الفارسي بالسلاح والمال في معركة القادسية ١٦هـ/٦٣٧م (١)، كما أصبح إقليم السند ملجأً لفلول الجيش الفارسي الذي هزم أمام المسلمين في عدة معارك، بالإضافة إلى ذلك فإن الفتوحات الإسلامية في العراق والشام لابد أنها كلفت خزينة الدولة الكثير من المصاريف، ومن المعلوم أن تجارة الهند كانت تدر الكثير من الأموال على عرب الجزيرة، ولا يستبعد أن يكون جج بن سيلانج في هذه الأثناء قد بدأ بدعم القراصنة في بحر العرب للتأثير على حجم التجارة، وبالتالي كان لابد لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن يوجه اهتمامه لفتح السند والهند، أو بالحد الأدنى تأمين المناطق الساحلية لإبعاد خطر القراصنة، والانتظار حتى تتهيأ الفرصة المناسبة بعد إكمال فتح فارس، ليتم التفرغ لفتح السند والهند بالكامل.

انطلاقاً من هذه الوقائع لم يكد يصل عثمان بن أبي العاص إلى مركزه الجديد حتى باشر في إعداد الجيوش لفتح السند والهند، فعمل على تجهيز حملة بحرية وقصد مدينة تانه(٢) في عام ١٥هـ/٦٣٦م وعاد بعد أن حقق نصراً كبيراً(٣)، وبالتالي هل كان للعرب في الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية أسطول بحري حربي في تلك الحقبة؟ أو أن عثمان بن أبي العاص استخدم السفن التجارية لأغراض عسكرية، بعد أن قام بتجهيزها بما تحتاج إليه من وسائل دفاعية، إن المطلع على حجم التجارة بين الهند والعرب قبل الإسلام، وقيادة العرب للتجارة في المحيط الهندي، يدرك أن العرب كانت لديهم سفن حربية لحماية الأساطيل التجارية، ولا سيما أن القراصنة كانوا دائماً

---

(١)- أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين وحضارتهم، ص٥٧.

(٢)- تقع على ضفة خور كبير تدخله السفن وتحط به الأرحال، وتبعد ٣٢ ميل من مدينة بومباي حالياً. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص١٩١؛ أبي الفداء: تقويم البلدان، ص٣٥٩.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٠٧؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١٠١؛ يوسف(النوم الطالب محمد): فتح إقليم السند وانتشار الثقتفة العربية الإسلامية، مجلة المؤرخ العربي، العدد: ٤، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٧٦؛ Elliot, H.m: History of India, London, 1286 A.h/1869 A.m,v1, p415.

متربصين بالسفن التجارية لنهب محتوياتها.

بعد الحملة البحرية الناجحة على تانة، قام عثمان بن أبي العاص بتجهيز حملتين بحريتين لفتح السند والهند، ومن هنا يمكن للباحث أن يصل إلى نتيجة مفادها أن الحملة الأولى إلى تانة كانت حملة استطلاعية، وقد عين عثمان بن أبي العاص على رأس هاتين الحملتين أخويه الحكم(١)، والمغيرة(٢)، وكانت التعليمات تقضي بأن يتوجه الحكم إلى بروج(٣)، أما المغيرة فكانت وجهته إلى ميناء الديبل، وقد استطاعت هذه الحملات تحقيق انتصار عسكري كبير(٤)، وهذا يدل على أن العرب كانوا متمرسين في الحرب البحرية، وبالتالي ربما كانت هذه الحملات متتابعة ومستمرة، كما حاول عثمان بن أبي العاص نقل مجموعة من القبائل العربية لتستقر على ساحل السند والهند، ولاسيما في المدن البحرية الثلاث المفتوحة، ويبدو أن توجيه هذه الحملات البحرية إلى الديبل وبروج كان بهدف حرمان مملكة السند بقيادة جج من تصدير موارد مملكته إلى الخارج، وبالتالي توجيه ضربة اقتصادية كبيرة لبلاده.

إن فتح بلاد السند والهند كان من ضمن أولويات المسلمين منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نظراً لقربها من سواحل الجزيرة العربية، وحروب المسلمين ضد الفرس، وما ظهر

---

(١)- يكنى بأبي عثمان، وقيل أبو عبد الملك. ابن سعد(محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م): الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٧، ص٢٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٣٨٥؛ الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢، حيدر أباد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٤.

(٢)- ابن حزم(أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٥، القاهرة، (د.ت)، ص٢٦٦.

(٣)- ويقال لها بروص، من أشهر مدن الساحل الغربي للهند، وتتبع لها عدة قرى. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٠٤؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص١٧٢؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج١، ص١٨٩.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٠٧؛ الكوفي: فتح السند، ص٧٢؛ باعثمان(عثمان بن سعيد): قدوم العرب إلى الهند، تر: حامد بن عبيد بن خليفة، الجمعية اليمنية، ط١، حيدر أباد، (د.ت)، ص١٥؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص٤٠؛ Elliot: History of india,v1, p416.

من عداء كبير من قبل جج بن سيلانج، وبالتالي كان لابد للمسلمين من إرسال حملات بحرية إلى سواحل السند والهند، تكون رديفة للحملات البرية ضد فارس، كما من الممكن أن يكون أحد أهدافها ضرب المصالح التجارية لفارس في بحر العرب والخليج العربي، من خلال إحكام سيطرة المسلمين على الموانئ المطلة عليهما.

وهناك قضية هامة لابد من مناقشتها قبل ذكر بقية الحملات الإسلامية لفتح السند والهند، وهي أن عمر رضي الله عنه كان يرفض قيام المسلمين بأي حملة بحرية، حيث ذكر البلاذري وغيره(١) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى عثمان بن أبي العاص مهدداً، وذلك بعد قيامه بالحملات البحرية إلى سواحل السند والهند، قائلاً: "يا أخا ثقيف قد حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم"، وعلى هذا الأساس فإن الحملات البحرية توقفت، ولكن المؤرخ الطبري وغيره(٢) ذكروا أن هذا الخطاب لم يوجه من قبل عمر رضي الله عنه إلى عثمان بن أبي العاص، ولكن هذا الكلام ورد من خلال المراسلة التي جرت بين عمرو بن العاص مع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، على خلفية إلحاح معاوية بن أبي سفيان على الخليفة لكي يسمح له بغزو البيزنطيين في البحر المتوسط، وعندما طلب الخليفة من عمرو بن العاص وصف الحرب البحرية، قال له عمرو: "وإنما هم كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق"، وبالتالي فإن هذا القول قد يقبل بالنسبة للدخول في حرب بحرية مع الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تسيطر على البحر المتوسط، ولكن ومن جهة نظر طالب علم فإنه يمكن القول أن البلاذري قد وقع في وهم من خلال نقله لهذه الرواية، حيث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولد في مدينة يعمل معظم سكانها بالتجارة وهي مكة المكرمة، وتقع في مكان لا يبعد كثيراً عن البحر، بالإضافة إلى أن العرب كانوا أسياد التجارة في المحيط الهندي، ومن هنا فإن عمر رضي

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٠٧؛ الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ص٥؛ الحسين: انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند، ص١٨؛ يوسف: فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية، ص٧٦.

(٢)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص٦٠٠، الحموي(محمد ياسين): تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ص١٢.

الله عنه كان يملك ما يكفي من المعلومات عن البحر، ولم يكن يرفض فكرة الحرب البحرية بالمطلق، لأن هذا القول لا يصمد أمام الوقائع التاريخية ومنطق الأمور، فالعرب كانوا يجوبون المحيط الهندي طولاً وعرضاً، ووصلوا إلى أقاصي الشرق، ويعرفون سواحل الهند كما يعرفون بلادهم، وبالتالي يمكن للباحث أن يستنتج أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو من أمر عثمان بن أبي العاص تجهيز الحملات البحرية وإرسالها إلى سواحل السند والهند، لأن عثمان ابن أبي العاص لو خالف أوامر الخليفة، لتم عزله مباشرة من قبل عمر رضي الله عنه، فكيف يتم توجيه حملات بحرية عسكرية إلى بلاد مجاورة دون علمه؟ وهو المعروف بشدته بتطبيق القوانين على الجميع دون استثناء.

بالعودة إلى بقية الحملات التي تم إرسالها إلى سواحل السند والهند في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد تم توجيه حملة برية إلى مكران في عام ٢٣هـ/٦٤٣م، ويبدو أن هذه الحملة كانت استكمالاً للأعمال العسكرية في فارس، حيث كانت مكران تابعة لجج بن سيلانج منذ عام ٢هـ/٦٢٤م، عندما خرج على رأس حملة لتأمين وتحديد حدود بلاده الغربية(١)، ونتيجة التحالف بين فارس والسند، فقد أصبح من الضروري توجيه حملة عسكرية برية تؤمن الحدود الشرقية للمسلمين في فارس، وكان الهدف الوصول إلى الضفة الغربية لنهر السند، وقد عين عمر بن الخطاب على رأس هذه الحملة الحكم بن عمرو الثعلبي(٢)، ثم أمده بجيش آخر بقيادة شهاب بن المخارق بن شهاب(٣)، وكانت أول مواجهة برية بين المسلمين وجيش جج بن سيلانج، بعد أن اختبروا بعضهما في المعارك البحرية، وعندما علم جج بقدوم جيش المسلمين إلى مكران، عين على رأس هذا الجيش أحد قادته العسكريين ويدعى راسل، وعند التقاء الجيشين كان النصر حليف

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٤٩.

(٢)- ورد اسمه من ضمن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم. البغدادي: المحبر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، ص٢٩٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٩٤.

(٣)- لم يتم الوقوف على أي ترجمه له في المصادر الإسلامية، لكن وردت هذه الرواية في معظم المصادر الإسلامية التي تحدثت عن فتح مكران. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص٥٥٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٤٣- ٤٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج١٩، ص١٧٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص١٣٢.

جيش المسلمين، واستطاع الدخول إلى مكران، ومطاردة جيش جج حتى حدود نهر السند(١)، ولابد أن المسلمين في حينه قد استفادوا من الصراعات الدينية في السند والهند بين الهندوس والبوذيين، وبالتالي من الممكن أن يكون البوذيون قد انضموا إلى جيش المسلمين، للتخلص من الاضطهاد الهندوسي.

بعد ذلك قام الحكم بن عمرو الثعلبي بإرسال أحد قادته وهو صحار العبدي(٢) إلى الخليفة عمر رضي الله عنه، ليطلعه على ما جرى معه في هذه البلاد، وليقدم له تقريراً عن البلاد المفتوحة، فكان جواب الخليفة عمر رضي الله عنه بأن يقف جيش المسلمين عند ضفة نهر السند، ولابد أنه أراد من ذلك تجهيز الجيش، وإمداده بما يحتاج إليه من رجال وسلاح، لكي يتابع فتوحاته في السند والهند، ولكن هناك بعض المصادر(٣) أوردت رواية مفادها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأل صحار العبدي عن مكران، قال صحار: "يا أمير المؤمنين، هي أرض سهلها جبل، وماؤها وشل(٤)، وتمرها دقل(٥)، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير منها قليل،

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص٥٥٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٤٣- ٤٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج١٩، ص١٧٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص١٣٢.

(٢)- هو صحار بن عباس العبدي، من بني مرة. البغدادي: المحبر، ص٢٩٤.

(٣)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص٥٥٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج١٩، ص١٧٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص١٣٢؛ طقوش(محمد سهيل): تاريخ الخلفاء الراشدون الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط٢، بيروت، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٢٣٠؛ المغلوث(سامي ابن عبد الله بن أحمد): أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مكتبة العبيكات، ط١، الرياض، ١٤٣٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٦٤.

(٤)- الوشل: الماء القليل. الأزهري(أبو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ/٩٨١م): تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١١، ص٢٨٣؛ الصاحب بن عباد(أبي القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م): المحيط في اللغة، تح: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٧، ص٣٨٠.

(٥)- تمر دقل: أغبر صغير مع طول فيه، أي رديء. الفراهيدي(أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ت ١٧٠هـ/٧٨٦م): العين، تح: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، القاهرة، (د.ت)، ج٥، ص١١٥؛ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٢٨٩؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٢٤٦؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٢٥، ص١٣٧.

والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها"، ونتيجة ذلك أصدر عمر رضي الله عنه قراراً منع بموجبه تقدم الجيوش الإسلامية إلى ما وراء نهر السند، ولكن بعض المصادر التاريخية(١) ذكرت أن هذه الحادثة جرت بين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحكيم بن جبلة العبدي(٢)، بينما ذكرت مصادر أخرى(٣) أنها جرت بين الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق، والغضبان بن القبعثري(٤)، وبالتالي فإن هذه الرواية لا يمكن تحديد زمان حصولها بالضبط، وذلك نظراً لتعدد الروايات التاريخية، وهذا ما يجعل الباحث لا يرجح فكرة أن الفتوحات الإسلامية في السند والهند تم وقفها نتيجة هذه الرواية.

وعلى عكس هذه الرواية فهناك رواية تاريخية أخرى، مفادها أن أحد الرحالة العرب إلى الهند، قابل الخليفة عمر رضي الله عنه في عام ١٤هـ/٦٣٥م، فسأله عن أوضاع شبه القارة الهندية، فقال الرحالة: " بحرها در، وجبلها ياقوت، وشجرها عطر"(٥)، وهو وصف أقرب إلى الواقع، ويتوافق ما ذكرته المصادر الإسلامية في وصفها لثروات شبه القارة الهندية، وبالتالي إذا ما صحت هذه الرواية فإنه يمكن القول أن الخليفة عمر رضي الله عنه، التقى بعدد من الرحالة الذين كانوا يزورون شبه القارة الهندية باستمرار، للتعرف على كل التفاصيل فيها سواءً كانت جغرافية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو عسكرية، وعلى ضوء ما توفر له من معلومات، تم التحضير لفتح السند والهند، ولاسيما الجزء الشمالي من هذه البلاد، على اعتبار أن الساحل الجنوبي لشبه القارة الهندية لم تصدر من حكوماته المحلية أية إشارات عدائية تجاه المسلمين.

---

(١)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص١٩٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٤٩٥.

(٢)- هو حكيم بن جبلة بن حصين بن أسود، وكان قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي عام ٣٦هـ/٦٥٦م. ابن الأثير: أسد الغابة، ص٢٩٣- ٢٩٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص٥٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٣١؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٢٦٨.

(٣)- المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٢٣.

(٤)- لم يتم العثور على أي ترجمة له، ولكن تم ذكره عند المسعودي: المصدر نفسه، ج٣، ص١٢٢.

(٥)- الندوي(سليمان): العلاقات العربية الهندية، تر: أحمد محمد عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٧٤.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يملك ما يكفي من معلومات عن مكران قبل إرسال الحملة البرية إليها، حيث من المعلوم أنه كان حريصاً جداً على أرواح المقاتلين المسلمين، كما أن مكران كانت منطقة معروفة بالنسبة للعرب منذ ما قبل الإسلام، وبالتالي فإن إيقاف مسيرة الفتوحات في هذه الجبهة كانت أقرب إلى وقفة تعبوية، يتم بعدها متابعة فتح هذه البلاد، وليست متعلقة بتقديم تقرير من أحد القادة، ولكن وفاة عمر رضي الله عنه قد أخرت الفتوحات الإسلامية في هذه البلاد، والتي يبدو أن فتحها كان من أولويات عمر رضي الله عنه.

من خلال هذا العرض للفتوحات الإسلامية في السند والهند في عهد عمر رضي الله عنه، يجد الباحث أن أمير المؤمنين حاول فرض حصار بحري على السند والهند من خلال الحملات البحرية عام ١٥هـ/٦٣٦م، ولاسيما أن الجيوش الإسلامية بدأت تحاصر إقليم السند برياً من الغرب من خلال فتح فارس، وبالتالي فإن تجارة هذا الإقليم مع العالم الخارجي بدأت تتقلص، وبعد ذلك تم إرسال الجيوش البرية لاستكمال الفتح في عام ٢٣هـ/٦٤٣م، ولذلك فإنه يمكن القول أن عمر رضي الله عنه وضع خطة استراتيجية لفتح السند والهند على مراحل، ترتبط بمدى قدرة المسلمين على ضبط المناطق المفتوحة في فارس، التي أصبحت تشكل قاعدة للفتوحات الإسلامية في الشرق، كما ترتبط بمدى إمكانية استغلال التفكك الاجتماعي والصراعات الدينية في بلاد السند والهند.

إن عهد عمر رضي الله عنه كان مرشحاً لتحقيق مزيد من الفتوحات في الشرق، ولاسيما في شبه القارة الهندية، بعد أن أصبح جيش المسلمين أكثر جاهزية، سواءً من ناحية العدة والعتاد، أو من ناحية وجود العنصر البشري، حيث سمح عمر رضي الله عنه بمشاركة المرتدين في الفتوحات الإسلامية، وربما تم استخدام الزط بكثافة في فتوحات السند والهند، الأمر الذي انعكس إيجاباً على جبهات القتال المتعددة.

٢- الحملات في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

بعد استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تسلم الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه في عام ٢٣هـ/٦٣٤م، واستمر في الحكم حتى عام ٣٥هـ/٦٥٥م(١)، وقد توسعت البلاد في عهده بكافة الاتجاهات، وكان للجبهة الشرقية نصيب كبير من اهتمام الخليفة عثمان رضي الله عنه، حيث استطاع المسلمون في عهده فتح إقليم سجستان عام ٣٠هـ/٦٥٠م(٢)، وبالتالي فقد أصبحت الفرصة مهيئة أكثر لإرسال حملات عسكرية إلى السند والهند، وذلك من خلال الممرات الجبلية التي كان الفاتحون عبر التاريخ يدخلون من خلالها لفتح تلك البلاد، ولكن هذا لم يحصل، ولم يتم العمل على تكثيف الحملات لتجاوز إقليم مكران، الذي تم فتحه في عهد عمر رضي الله عنه.

قام والي العراق عبد الله بن عامر بن كريز(٣)، بتعيين والٍ جديد على إقليم مكران، هو عبد الله بن معمر التيمي(٤)، حيث قام الوالي الجديد بقيادة حملة عسكرية برية استطاعت الوصول

---

(١)- الدينوري(أحمد بن داود ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م): الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، (د.ت)، ص١٣٩؛ مغلطاي(علاء الدين بن قلنج بن عبد الله البكجري الحنفي ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م): مختصر تاريخ الخلفاء، تح: آسيا كليبان علي البارح، دار الفجر، ط١، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٨٥؛ القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٩٣.

(٢)- مؤلف مجهول: تاريخ سجستان، تر: محمود عبد الكريم علي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٧٢.

(٣)- هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، توفي عام ٥٩هـ/٦٧٩م. الواقدي: فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، مطبعة المحروسة، مصر، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص١٣٢؛ البغدادي: المحبر، ص١٥٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٩٤.

(٤)- هو عبيد الله بن معمر بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، وهو من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم. البغدادي: المحبر، ص٣٠٧؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص١٠١٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٨٠٢؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٣٣٥.

إلى نهر السند، وأعادت ضبط أوضاع البلاد(١)، التي يبدو أنها تعرضت للاهتزاز بعد وفاة الخليفة عمر رضي الله عنه، وكانت هذه الحملة هي العمل العسكري الوحيد اتجاه السند والهند في عهد عثمان رضي الله عنه، ويمكن للمرء أن يستنتج من قيام والي العراق بتعيين والي على مكران، بأن هذا الإقليم كان يتبع إدارياً لوالي العراق، وبالتالي أصبحت ولاية العراق تشكل قاعدة للفتوحات في السند والهند.

لقد أصبح إقليم مكران في عهد عثمان رضي الله عنه جزءاً لا يتجزأ من الخلافة الراشدة(٢)، حيث تم شق القنوات، وإحياء الأراضي الزراعية في الإقليم، وإرسال العشر(٣) إلى مركز الخلافة الراشدة في المدينة المنورة(٤)، ويبدو أن الهدف من هذه الأعمال كان المساهمة في تعزيز الاستقرار في الإقليم، وذلك بسبب صعوبة إمداده بالمواد الغذائية باستمرار من العراق، نظراً لانتشار الصحارى الواسعة في الطريق إلى إقليم مكران.

بالإضافة إلى ذلك ونتيجة تطبيق نظام العشور على الأراضي الزراعية في إقليم مكران، فإنه يمكن القول أن سكان هذا الإقليم دخلوا في الإسلام، لأن هذه الضريبة تفرض على المسلمين، وبالتالي فقد كان الخليفة عثمان رضي الله عنه يخطط لجعل هذا الإقليم منطلقاً لفتح بقية بلاد السند والهند، ونشر الإسلام فيها.

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص٦٠٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٩٢؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين وحضارتهم، ص٦٠.

(٢)- المباركبوري: العقد الثمين، ص٣٢.

(٣)- الأراضي العشرية: هي الأراضي التي بقيت بيد أصحابها بعد أن أسلمو، يتصرفون بها كيفما يشاؤون، ويدفعون مقابل ذلك ضريبة لبيت مال المسلمين. أبي يوسف(يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٣هـ/٧٩٩م): الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٦٩؛ ابن آدم(يحيى ت ٢٠٣هـ/٨١٨م): الخراج، تح: حسين مؤنس، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ١٨٦؛ ابن جعفر(قدامة ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م): الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص٢١١؛ زكار(سهيل)، خربوطلي(شكران): الحضارة العربية الإسلامية، كلية الآداب، دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٢١.

(٤)- يوسف: فتح إقليم السند، ص٧٨.

لقد ذكرت بعض المراجع الإسلامية(١) أن الخليفة عثمان رضي الله عنه أرسل في عام ٣١هـ/٦٥١م أميران على مكران، وهما عمير بن سعد(٢)، وسعيد بن كندار القشيري(٣)، ولكن تبقى هذه الرواية ضعيفة، حيث لا يجدها الباحث في أي مصدر إسلامي، ولكن ربما تم تعيين أحدهم على الخراج، والآخر على بقية شؤون الولاية بما فيها الشؤون العسكرية والدينية.

وهنا لابد للباحث أن يتساءَل عن سبب عدم تفعيل الخليفة عثمان رضي الله عنه للحرب البحرية ضد جج بن سيلانج، ولاسيما أن أوضاع المسلمين في فارس بدأت تستقر، بالإضافة إلى أن المسلمين أصبحوا يشرفون على إقليم السند من الشمال بعد فتح سجستان، ومن المعلوم أن عثمان رضي الله عنه سمح لواليه على الشام معاوية بن أبي سفيان أن يغزو البيزنطيين في البحر المتوسط(٤)، حيث قام الأخير ببناء دور لصناعة السفن، وأصبح للمسلمين أسطولٌ بحريٌ في البحر المتوسط استطاع تحقيق العديد من الانتصارات، وبالتالي فإن تجهيز أسطول حربي في بحر العرب كان يشكل ضرورة لابد منها للدولة الإسلامية في تلك الحقبة، حيث سيصبح إقليم السند محاصراً

---

(١)- المباركبوري: العقد الثمين، ص٣٢؛ يوسف: فتح إقليم السند، ص٧٨.

(٢)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم الإسلامية، ولكن تم ذكره في عدة مصادر على أنه كان والياً على فارس. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص٦٠٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٩٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٢، ص١٣١.

(٣)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له، ولكن تم ذكره في عدة مصادر ومراجع إسلامية، انظر: ابن عمر(سيف ت ١٨٠هـ/٧٩٦م): الردة والفتوح، تح: قاسم السامرائي، دار أمية، ط٢، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٩٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص٦٠٥؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص٣٢؛ يوسف: فتح إقليم السند، ص٧٨.

(٤)- أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٢٠٨؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١، ص١٤٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٢، ص٦٠٠؛ الناصري(أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٩٤.

من ثلاث جهات، مما سيشكل ضغطاً كبيراً على جج بن سيلانج، ولا يوجد أي عائق كبير أمام بناء مثل هذا الأسطول.

كما يبدو أن جج بن سيلانج شعر بالخطر الذي بدأ يشكله المسلمون على بلاده، لأنه كان يدرك أن الخطر أصبح أكبر بعد وصولهم إلى سجستان، حيث أن الصحراء التي تفصل مكران عن بقية مدن إقليم السند كانت تشكل عائقاً أمام تقدم جيوش المسلمين إلى داخل إقليم السند، لأنها كانت تحتاج إلى تجهيزات خاصة جداً، وتأمين طرق إمداد للجيش، لذلك لابد أنه بدأ بتحصين بلاده لصد أي تقدم للمسلمين.

إن تعدد جبهات القتال لدى المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه، وتباعد جبهات القتال بين الغرب والشرق، يبدو أنه ساهم في تشتت جيوش المسلمين، بالإضافة إلى أنه كان لدى الخليفة أولويات معينة يعطيها لجبهة على حساب الأخرى.

٣- الحملات في عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه، تولى شؤون المسلمين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في عام ٣٥هـ/٦٥٥م(١)، ولكن الأحداث ما لبثت أن انحرفت عن مسارها الطبيعي، وانقسم المسلمون بين من يطالب بالاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه من جهة، وبين من يريد أن يتم التقاضي بين القتلة وأولياء الدم بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى دخول الأمة الإسلامية في صراع وانقسام طويل، أدى لإضعاف وتشتيت قوة المسلمين، تمثل ذلك بما وقع من حروب بين المسلمين في معركتي الجمل وصفين(٢).

---

(١)- اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اعتناء: خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٩٠؛ القرماني(أحمد بن يوسف ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، مج١، ص٣٠٧.

(٢)- ابن عمر: الفتنة ووقعة الجمل، تح: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، =

إن انقسام المسلمين في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ترك أثراً كبيراً على الفتوحات الإسلامية بشكل عام، ولاسيما على الجبهة الشرقية حيث كانت ولاية العراق تشكل القاعدة التي تنطلق منها الجيوش لفتح الأمصار المختلفة في الشرق، ومنها الحملات إلى السند والهند.

في عام ٣٩هـ/٦٥٩م طلب الحارث بن مرة العبدي(١) من الإمام علي كرم الله وجهه أن يسمح له بالسير إلى إقليم مكران(٢)، وانطلق الجيش بعد الحصول على موافقة الخليفة، ومن خلال ذلك يبدو أن أهل مكران قد نقضوا العهد وارتدوا عن الإسلام، أو ربما قام جج بن سيلانج بالسيطرة على بعض المناطق في إقليم مكران، لأنه كان يتربص دائماً بالمسلمين في هذا الإقليم، منتظراً الفرصة المناسبة للانقضاض عليهم، وبالتالي فإن الفرصة قد سنحت له أثناء النزاع بين الشام والعراق، وقد سار الحارث على رأس ألف مقاتل، واستطاع تحقيق عدة انتصارات في مكران، ولكن هذه الحملة تعرضت إلى عدة صعوبات، حيث اجتمع جيش كبير ضدهم، ولابد أن من أرسل هذا الجيش هو جج بن سيلانج، فاستشهد عدد كبير من المقاتلين المسلمين، وكان على رأسهم الحارث ابن مرة في عام ٤٢هـ/٦٦٢م(٣).

= ص١٠٥ وما بعدها؛ ابن مزاحم(نصر المنقري ت٢١٢هـ/٨٢٧م): وقعة صفين، تح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، ط٢، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٢٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٣، ص٧٩؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٥، ص٢٠٨؛ ابن حزم: أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص١٦٢؛ الذهبي: العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص٢٧.

(١)- هو الحارث بن مرة العبدي، من بني قيس، أحد أجواد العرب، وقائد بارز في جيش الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. المباركبوري: العقد الثمين، ص٨٤.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٠٨؛ Maclean, Derry N: Religion and Society in Arab Sind, Mcgill University, Montereal, 1405 Ah/1984 Am, p309.

(٣)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٤٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٥٨٣؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص٦١.

هناك عدة أسباب تقف خلف النهاية المفجعة لحملة المسلمين باتجاه السند والهند، أولها هو عدم إرسال الإمدادات لهذه الحملة، سواءً كانت هذه الإمدادات بشرية من خلال إرسال المقاتلين، أو من خلال إرسال الخيول والأسلحة المختلفة، ولاسيما أن هذه الحملة استمرت ما يقارب الثلاث سنوات، كما أن الانقسامات المذهبية بين المسلمين استنزفت قوتهم وعزيمتهم، ويبدو أن مسألة الولاء لقادة الحملة كان لها دور كبير في عدم إرسال التعزيزات العسكرية لها، بالإضافة إلى ذلك فقد استتبت الأمور لجج بن سيلانج في مملكته، واستطاع تعزيز قوته العسكرية، والقضاء على كافة أشكال المعارضة ضده، سواءً كانت هذه المعارضة سياسية أو دينية، ولذلك فقد أصبح أكثر قدرة على مواجهة المسلمين، وهذا الأمر استمر في عهد أخيه جندر بن سيلانج، الذي حاول توسيع حدود مملكته من خلال قيامه بكتابة الرسائل إلى ملوك الهند، يدعوهم فيها لقبول الدين الهندوسي(١)، وبالتالي لابد أنه وضع نصب عينه استعادة إقليم مكران من المسلمين، الذي يعدّه جزءاً لا يتجزأ من إقليم السند.

لقد انفرد المؤرخ خليفة بن خياط بتحديد تاريخ سير الحارث بن مرة العبدي إلى إقليم مكران في عام ٣٦هـ/٦٥٦م(٢)، ولكن يبدو أن ابن خياط قد وقع في وهم، حيث أن المصادر الإسلامية الأخرى تذكر أن الحارث بن مرة العبدي كان يحارب إلى جانب الإمام علي كرم الله وجهه في معركة صفين(٣)، وبالتالي فإن الراجح أن يكون الإمام علي كرم الله وجهه قد أرسل الحارث بن مرة في عام ٣٩هـ/٦٥٩م، حيث وضعت الحرب أوزارها بين العراق والشام، وتم القضاء على فتنة الخوارج في معركة النهروان ٣٨هـ/٦٥٩م، ولكن هناك مصادر تاريخية أخرى تذكر أن الحارث ابن مرة العبدي قتله الخوارج أثناء إرساله إليهم من قبل علي كرم الله وجهه(٤).

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٥١- ٥٢.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٢٩.

(٣)- ابن مزاحم المنقري: وقعة صفين، ص٢٠٥.

(٤)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٣، ص١١٩؛ أبو العرب التميمي(محمد بن أحمد بن تميم بن تمام ت ٣٣٣هـ/٩٤٥م): المحن، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢١٩.

ويقدم الكوفي في كتابه فتح السند(١) رواية تاريخية لا يجدها الباحث في المصادر الإسلامية الأخرى، حيث يذكر أنه تم تشكيل جيش إسلامي من نواحٍ مختلفة، وكان الحارث بن مرة العبدي يعمل تحت قيادة ثاغر بن دغر(٢)، كما أن الجيش الإسلامي استطاع تحقيق انتصارات كبيرة، ولم يتعرض لأي هزيمة كما ذكرت المصادر الإسلامية التي تم ذكرها سالفاً، ولكن عندما علم قادة الجيش الإسلامي باستشهاد الإمام علي كرم الله وجهه استقروا في مكران، ولم يحاولوا بعد ذلك التوغل في أراضي السند والهند.

إن الحملة التي قادها الحارث بن مرة العبدي، كانت حملة من المجاهدين المتطوعين، الذين يبدو أنهم أرادوا إحياء الفتوحات الإسلامية، وإعادة تصويب بوصلة استخدام فائض القوة الإسلامية بالاتجاه الصحيح، وتحقيق الهدف الأساسي وهو إيصال نور الإسلام إلى كافة أرجاء الأرض، ولاسيما أن الجبهة الشرقية كانت أرضاً خصبة لنشر الإسلام من جهة، وكانت روح الجهاد ما تزال عامرة في نفوس المسلمين من جهة أخرى.

هناك سؤال مهم جداً يخطر في ذهن أي باحث في تاريخ العرب والإسلام، وهو هل قرر الإمام علي كرم الله وجهه أن يكتفي بالعراق والجزيرة ومصر دون الشام؟ وتوسيع حدود دولته باتجاه الشرق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؟ ولاسيما أن الحرب مع الشام تحولت إلى حرب باردة، وفقدت الكثير من سخونتها بعد أن أدرك الطرفان خطورة الحرب الأهلية، وبالتالي فقد سيطر نوع من التهادن على العلاقات بين الطرفين، واهتم كل فريق بشؤونه الداخلية، وعمل على نشر الإسلام في الثغور المتاخمة لحدود المناطق التي يحكمها.

إن فتح بلاد السند والهند كان هاجساً وهدفاً للخلفاء الراشدين، باستثناء أبو بكر الصديق رضي الله عنه، الذي لم يطل به العهد واكتفى بإرسال الجيوش الإسلامية إلى العراق والشام، بينما كانت أوضاع الخلافة الإسلامية في عهد بقية الخلفاء الراشدين أكثر استقراراً، كما اكتسبت الجيوش الإسلامية الخبرة القتالية الكافية من خلال حروب الردة والفتوحات في الشمال، وقد تميز عهد عمر

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٣٧.

(٢)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم الإسلامية.

ابن الخطاب رضي الله عنه فيما يخص فتوح السند والهند، بإرسال الحملات البحرية، بينما لم يتم إرسال حملات بحرية إلى هذا الإقليم في عهد عثمان رضي الله عنه، أو في عهد علي كرم الله وجهه، كما تميزت فتوح السند والهند في العصر الراشدي بأنها اكتفت بالسيطرة على إقليم مكران، مع تنفيذ حملات عسكرية بين الحين والآخر تصل إلى نهر السند، وتعود إلى قواعدها في إقليم مكران.

ثانياً-حملات السند والهند في العصر الأموي قبل حملة محمد بن القاسم:

١- الحملات في عهد معاوية بن أبي سفيان:

بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، تنازل ابنه الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في عام ٤١هـ/٦٦١(١)، وبدأ عصر بني أمية الذي امتد حتى عام ١٣٢هـ/٧٥٠م، ولقد تعرض هذا العصر للكثير من الافتراءات، ومحاولة تشويه صورته، وذلك يعود إلى أن النتاج التاريخي للعصر الأموي قد ضاع في معظمه، بالإضافة إلى أن من كتب تاريخ الأمويين هم أعداؤهم العباسيون، ولكن الكثير من المؤرخين أنصف الأمويين، وعلى رأسهم ابن كثير الذي قال فيهم: "كانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية، ليس لهم شغل إلا ذلك"(٢)، وفتوحات الأمويين في الشرق والغرب تشهد على صدق وصف ابن كثير لهم، ومن ضمنها الحملات العديدة التي وجهوها لبلاد السند والهند.

لقد اتخذ المعارضون لخلافة معاوية من المناطق الشرقية للدولة الأموية ملجأً لهم، وربما اتجهوا إلى إقليم مكران، ولاسيما أن قائد الحملة الإسلامية في هذا الإقليم كان الحارث بن مرة العبدي، وكان من أتباع الإمام علي كرم الله وجهه، وبالتالي بعد الفاجعة التي أصابت هذه الحملة، وبعد أن صفت الأمور لمعاوية، حاول إعادة تجهيز الجيوش لمواصلة الفتوحات على مختلف الجبهات، وكان من ضمنها جبهة السند، حيث أرسل واليه على العراق عبد الله بن عامر في عام

---

(١)- أبي زرعة الدمشقي(عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري ت ٢٨١هـ/٨٩٤م): تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٤١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٣، ص١٦٧؛ ابن عبد ربه(أحمد بن محمد ت٣٢٨هـ/٩٣٩م): العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ج٥، ص١١٠؛ البياسي(يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري ت ٦٥٣هـ/١٢٥٥م): الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، تح: شفيق جاسر أحمد محمود، ط١، عمان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ج١، ٢٢١- ٢٢٢.

(٢)- ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١٠٤.

٤٢هـ/٦٦٢م جيشاً بقيادة راشد بن عمرو الجديدي(١) إلى إقليم مكران(٢)، واستطاع ضبط الأوضاع في الإقليم، واستمر راشد في إقليم مكران حتى تم عزله عام ٤٣هـ/٦٦٣م، ولكن هذه الحملة لم يرد ذكرها عند البلاذري، والكوفي، فراشد بن عمرو قام بحملتين إلى إقليم مكران، وبالتالي فإن البلاذري والكوفي أهملا ذكر الحملة الأولى، في حين أنهما أوردا ذكر الحملة الثانية بشكل مفصل، وهو ما سيتم ذكره في سياقه التاريخي.

بعد ذلك تم تعيين عبد الله بن سوار العبدي(٣) على هذا الإقليم عام ٤٣هـ/٦٦٣(٤)، وفي مصادر أخرى عام ٤٥هـ/٦٦٥م(٥)، فسار على رأس الجيش واستطاع أن يحقق انتصارات عدة في إقليم مكران، كما غزا إقليم القيقان(٦) وغنم من الأعداء مغانم كثيرة، ولاسيما الخيول التي اشتهر بها هذا الإقليم، حيث قدمها عند عودته إلى معاوية في دمشق، ولكن أهل القيقان استفادوا من طبيعة بلادهم الجبلية، وعادوا إلى مناصبة المسلمين العداء بعد خروج الحملة من بلادهم، وسيعود عبد الله بن سوار العبدي إلى القيقان في عام ٤٥هـ/٦٦٥م(٧).

بالتالي يمكن القول أن هذه الغزوات كانت أقرب إلى غارات جهادية، تشبه الغارات التي كانت تحصل في الجبهة البيزنطية، ولذلك فقد كان إقليم مكران بمثابة الثغر الذي كانت تنطلق

---

(١)- لم يتم الوقوف على ترجمة له، ولكن ورد أنه توفي عام ٥٠هـ/٦٧٠م. ابن خياط: الطبقات، ص٣٤٦.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٣٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص١٠؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج١، ص١١٩.

(٣)- هو عبد الله بن سوار بن همام بن ثعلبة العبدي. البغدادي: المحبر، ص١٥٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٤.

(٤)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٩٦؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٣، ص٨.

(٥)- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، تح: روحية النحاس، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ج١١، ص٢٤٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص١٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص١٧١.

(٦)- القيقان من بلاد السند مما يلي خراسان. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٣.

(٧)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٤١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٠٨.

منه الحملات الإسلامية القادمة من العراق إلى باقي المناطق في السند والهند المجاورة لإقليم مكران.

ولكن الكوفي وقع في وهم، حيث دمج بين الحملتين اللتين قادهما عبد الله بن سوار العبدي، حيث ذكر أن أول حملة إلى السند كانت حملة عبد الله بن سوار العبدي، وعلى الرغم من ذلك فقد قدم تفاصيل عن هذه الحملة لا يجدها الباحث في مصادر تاريخية أخرى، فقد ذكر أن معاوية جهز جيشاً من أربعة آلاف مقاتل تحت إمرة عبد الله بن سوار العبدي، لفتح السند والهند، وزوده بما يحتاج إليه من طعام، ويفسر الكوفي ذلك لكي لا يشعل أحداً ناراً فينكشف موقع الجيش، وقد حصلت معركة كبيرة انتصر المسلمين على أهل القيقان في البداية، ولكن وقعوا في كمين نصبوه لهم، حيث سدوا منافذ الجبال على المسلمين، وهزم المسلمون في هذه المعركة، واستشهد عبد الله بن سوار(١).

وبالتالي وحسب رواية الكوفي فإن معاوية بن أبي سفيان يعدّ أول من أرسل حملة بهذا التنظيم والعدد والعدة لفتح السند والهند، ومن هنا يستنتج الباحث أن معاوية كان يفكر بفتح بلاد السند والهند بالكامل، وضمها إلى الخلافة الأموية، ويبدو أنه درس جغرافية تلك البلاد، واستفاد من المعلومات الدقيقة التي حصل عليها من المسلمين الذين شاركوا في الحملات السابقة، وأدرك أنه يتوجب على الجيش في بعض الأحيان أن يجتاز صحارى واسعة، وبالتالي لابد من تزويد الجيش بما يحتاج إليه من مواد غذائية.

من وجهة نظر متواضعة يمكن القول أن الحملة التي قادها عبد الله بن سوار العبدي، ربما تكونت من أربعة آلاف مقاتل كما ذكر الكوفي، ولكن يبدو أن المقصود فيها الحملة الثانية التي حصلت في عام ٤٧هـ/٦٦٧م، وبالتالي فالكوفي وقع في وهم من خلال وضع هذه الحملة في غير سياقها الزمني الصحيح، لأنه حين أرخ لخلافة معاوية وقع في وهم آخر، عندما ذكر أن معاوية ابن أبي سفيان تولى الخلافة في عام ٤٤هـ/٦٤٤م(٢)، وعلى ضوء ذلك يكون قد أهمل ذكر

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٧٨- ٧٩.

(٢)- المصدر نفسه، ص٧٨.

الحملة الأولى، لأنه لم يذكر في روايته أن عبد الله بن سوار العبدي، أرسل الخيول من إقليم القيقان إلى معاوية في الشام.

كما يمكن القول أن حملة عبد الله بن سوار العبدي الأولى انطلقت في عام ٤٣هـ/٦٦٣م، وليس في عام ٤٥هـ/٦٦٥م، لأن هناك اجماع بين المؤرخين(١) على أن الحملة التالية إلى السند التي كانت بقيادة المهلب بن أبي صفرة(٢) حصلت في عام ٤٤هـ/٦٦٤م، ولكن ما يثير استغراب أي باحث أن الكوفي لم يذكر حملة المهلب.

إن حملة المهلب بن أبي صفرة تعدّ أول حملة إسلامية دخلت شبه القارة الهندية من الممرات الجبلية التي تفصل سجستان عن شبه القارة، ولاسيما ممر خيبر الذي دخلت منه جيوش الإسكندر المقدوني عندما غزت السند والهند(٣)، ويعدّ هذا الممر من أهم المرات الجبلية التي تربط سجستان وإيران من جهة، وشبه القارة الهندية من جهة أخرى، وقد استطاع المهلب فتح بعض المناطق، أبرزها بنة(٤)، والأهوار(٥)، ولكن المهلب لم يستقر في هذه البلاد، أو يجعل من هذه المنطقة قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية لفتح باقي مناطق شبه القارة الهندية، بل عاد إلى سجستان(٦).

---

(١)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٣٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٠٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٠٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٠، ص١٦٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص١٢.

(٢)- هو أبو سعيد ظالم بن سراق الأزدي العتكي، توفي عام ٨٢هـ/٧٠١م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٥٠؛ ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، تح: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، القاهرة، (د.ت)، ص٩٧٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣١٥.

(٣)- خطاب: الهند قبل الفتح الإسلامي، ٨٥.

(٤)- مدينة هندية تقع بين كابل والمولتان. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٠٠- ٥٠١؛ ابن زيني دحلان(أحمد): الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة المسيرية، مكة، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ج١، ص١٠٧.

(٥)- مدينة هندية تقع بين كابل والمولتان. الحموي: المصدر نفسه، ص٥٠٠- ٥٠١.

(٦)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٠٨؛ Elliot: History of India, v2, p414- 415.

في عام ٤٥هـ/٦٦٥م قام عبد الله بن سوار العبدي بحملته الثانية، التي امتدت حتى عام ٤٧هـ/٦٦٧م، حيث استشهد في إحدى المعارك في القيقان(١)، وكان زياد بن أبي سفيان قد تم تعيينه في ولاية البصرة عام ٤٥هـ/٦٦٥م، فطلب منه معاوية بن أبي سفيان أن يرشح له رجلاً لكي يتم تعيينه في ثغر السند والهند، فكتب زياد بن أبي سفيان إلى الخليفة رسالة قال فيها: " لقد اخترت رجلين بارزين هما: الأحنف بن قيس(٢)، وسنان بن سلمة الهذلي(٣)"، فرد عليه معاوية برسالة قال فيها: "في أي يومي الأحنف نكافئه: أبخذلانه أم المؤمنين، أم بسعيه علينا يوم صفين؟"(٤)، فوجه زياد بن أبي سفيان سنان بن سلمة الهذلي على إقليم مكران، وقد استطاع سنان ضبط أمور البلاد، واستمر في ولايته ما يزيد على السنتين(٥).

بالعودة إلى المراسلات التي جرت بين الخليفة معاوية، وزياد بن أبي سفيان والي البصرة، يجد الباحث أن مسألة الولاءات كانت عاملاً رئيساً في تعيين الولاة وقادة الحملات العسكرية في مختلف أمصار الخلافة الإسلامية، الأمر الذي أدى إلى عدم استفادة الأمة الإسلامية من جهود الكثير من القادة أصحاب الكفاءة.

---

(١)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٤٤؛ الذهبي: العبر في خبر من غير، ج١، ص٣٨.

(٢)- هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري، سيد بني تميم، كان إلى جانب الإمام علي كرم الله وجهه في معركة صفين، توفي عام ٧٢هـ/٦٩١م. ابن الجوزي: صفة الصفوة، تح: محمود الفاخوري، محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٣، ص١٩٨؛ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٣، ص١٣٠٢؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٧٦.

(٣)- هو سنان بن سلمة بن المحبق، ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوفي في بداية ولاية الحجاج بن يوسف على العراق. ابن خياط: الطبقات، ص٣٢٩، ابن عبد البر: الاستيعاب، ص٦٥٨.

(٤)- الدينوري: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢٢٧؛ الكوفي: فتح السند، ص٨١.

(٥)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٤٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٠٩؛ الكوفي: فتح السند، ص٨١؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص٩٠.

في عام ٥٠هـ/٦٧٠م قام زياد بن أبي سفيان بعزل سنان بن سلمة الهذلي عن إقليم مكران، وعين مكانه راشد بن عمرو الجديدي، ويبدو أن ذلك تم بإيحاء من الخليفة معاوية، حيث كان الخليفة قد استدعاه إلى العاصمة دمشق، وقال لرجال دولته: "إن راشد رجل شريف يقتدى به، فعليكم طاعته، وعاونوه في قتاله، ولا تتركوه وحيداً"، وعند وصول راشد إلى مكران، التقى بسنان ابن سلمة فأعجب به، ورأى فيه قائداً عظيماً وشجاعاً، بالإضافة إلى تميزه بمعالجة الأمور بحكمة قل نظيرها(١)، ويبدو أنه تعاون مع راشد بن عمرو، وعمل على تسهيل مهمته، وبالتالي لم يتأخر راشد بن عمرو حتى جهز حملة كبيرة اتجهت إلى القيقان، واستطاع تحقيق انتصار في البداية، ولكن وعلى عادة أهل تلك البلاد، فهم كانوا يلجؤون إلى الجبال، وبعد ذلك يقومون بنصب الكمائن للجيوش الإسلامية من خلال الممرات الجبلية الضيقة، وهذا ما حصل مع حملة عمرو، حيث استشهد عدد كبير من المسلمين، كان على رأسهم راشد بن عمرو، وكان ذلك في العام نفسه الذي استلم فيه مهمته، وذلك عام ٥٠هـ/٦٧٠م(٢)، وبعد ذلك أعاد زياد بن أبي سفيان حكم ولاية مكران لسنان بن سلمة.

في ولاية سنان بن سلمة الثانية قام بتجهيز جيش كبير، وقد ذكر الكوفي أنه استشهد في القيقان(٣)، أما خليفة بن خياط، وابن عبد البر، فقد ذكرا أنه توفي في بداية ولاية الحجاج على العراق(٤)، وبالتالي ربما تلقى جيش سنان هزيمة في القيقان، ومن ثم عاد إلى مكران.

ولكن هل من المعقول أن يهزم المسلمون عدة مرات في المنطقة نفسها، وباتباع التكتيك نفسه؟ ولماذا لم يتم الاستفادة من التجارب السالفة؟ يبدو أن المسلمين لم يكن لديهم خبرة في استخدام تكتيك الحصار، بالإضافة إلى أن طبيعة البلاد الجبلية كان لها دورٌ حاسمٌ إلى جانب الهنود، وبالتالي كانت الحملات تقف دائماً عند حدود القيقان.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٨١- ٨٢.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٤٨؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٠٩؛ الكوفي: فتح السند، ص٨٢؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص٩٠.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص٨٣.

(٤)- ابن خياط: الطبقات، ص٣٢٩، ابن عبد البر: الاستيعاب، ص٦٥٨.

في عام ٥٣هـ/٦٧٣م تم تعيين عباد بن زياد(١) على ولاية سجستان، وتم تكليفه بتجهيز حملة عسكرية لفتح السند والهند، وحقق انتصاراً على الجيش السندي، وعاد بعد ذلك إلى سجستان(٢)، ولم يذكر الكوفي هذه الحملة، كما أن المصادر التاريخية لم تذكر أي حملة أخرى لعباد بن زياد إلى السند، على الرغم من أن ولايته على سجستان استمرت حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠هـ/٦٨٠م(٣).

إن الأسئلة التي يمكن أن تخطر على فكر أي باحث في تاريخ العرب والإسلام، هو لماذا تم تكليف عباد بن زياد والي سجستان بفتح السند والهند؟ على الرغم من أن كل الحملات السالفة كانت بقيادة والي مكران أو تحت إشرافه، فهل تمت السيطرة على إقليم مكران من قبل داهر في تلك الحقبة؟ أم أنَّ المسلمين أدركوا بعد التجارب السالفة أن فتح السند والهند انطلاقاً من مكران أمرٌ في غاية الصعوبة؟ وبالتالي كان لابد من تغيير الاستراتيجية العسكرية، والاعتماد على طرق جديدة لفتح تلك البلاد، ولاسيما من خلال الممرات الجبلية التي تفصل سجستان عن السند، كما لا يمكن تجاهل احتمال أن تكون الخلافة الأموية قد جمعت ولاية مكران، وولاية سجستان في ولاية واحدة، يكون مركز قيادتها في سجستان.

للإجابة على هذه الأسئلة لابد للباحث أن يعتمد على قوة الاستنتاج، وذلك بسبب عدم ذكر المصادر الإسلامية لأي والٍ على مكران في العقد السادس من السنة الهجرية الأولى/العقد الثامن من المائة الميلادية السابعة، وعلى أساس هذه القاعدة يمكن القول أن اهتمام معاوية بجبهة السند والهند، وإرساله الحملات المتتالية لفتح هذه البلاد، تجعل من الصعوبة في مكان استيلاء داهر على إقليم مكران، وبالتالي فإن احتمالية ضم الولايتين، بهدف استخدام طرق جديدة لفتح السند والهند، وتفادي الصحارى المنتشرة بالقرب من مكران، ربما تكون أقرب إلى الحقيقة.

---

(١)- هو عباد بن زياد بن أبي سفيان، وتوفي عام ١٠٠هـ/٧١٨م. الذهبي: ميزان الاعتدال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، مج٢، ٣٦٦؛ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٥، ص٩٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٥٧.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٦٠؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٠.

(٣)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٦٠.

٢- الحملات في عهد يزيد بن معاوية:

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، انتقلت الخلافة إلى ابنه يزيد الذي حكم بين عامي ٦٠-٦٤هـ/٦٨٠- ٦٨٤م، وفي عهده قام والي العراق عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان بتعيين المنذر ابن الجارود(١) على إقليم مكران عام ٦١هـ/٦٨١م (٢)، وهناك مصادر أخرى ذكرت أن تعيين المنذر حصل في عام ٦٢هـ/٦٨٢م(٣)، وقد كان المنذر رجلاً شجاعاً مقداماً، استطاع قيادة حملة عسكرية، أعاد خلالها فتح القيقان، بالإضافة إلى ذلك فقد انطلق لفتح بقية مناطق السند والهند، ففتح البوقان(٤)، وقصدار، وقندابيل، ومن المعلوم أن مدينة قندابيل تقع في موقع استراتيجي هام، حيث تتوسط مكران، وطوران، ومولتان، ومن هنا يمكن القول أن هذه الحملة استطاعت التوغل لمسافة أكبر مما وصلت إليه الحملات السالفة في تلك البلاد، ولكن لم يكتب لهذه الحملة الخاتمة السعيدة، حيث استشهد المنذر بن الجارود في إحدى المعارك ببلاد السند والهند عام ٦١هـ/٦٨١م(٥)، وفي مصادر أخرى عام ٦٢هـ/٦٨٢م(٦).

---

(١)- هو بشر بن عمرو بن خنيس العبدي، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، توفي عام ٦١هـ/٦٨١م. ابن بكار(الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م): الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكي الغاني، مطبعة أمير قم، ط١، إيران، ١٤١٦هـ/١٣٧٤م، ص٣٢٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٥٢٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٩٢.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٨٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص١٥٧.

(٣)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٨٧.

(٤)- هي بلد بأرض السند. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥١٠.

(٥)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٤٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٢٥٦؛ الطيب بامخرمة(عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، ط١، جدة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، مج١، ص٤٤٤.

(٦)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٨٧.

بعد استشهاد المنذر بن الجارود، حزن عبيد الله بن زياد عليه، وقام بتعيين الحكم بن المنذر على ولاية مكران، ولم تشهد ولايته أية حملة أو نشاط عسكري إلى باقي مناطق السند والهند، ولم يستمر في ولايته أكثر من ستة أشهر(١).

قام عبيد الله بن زياد بعزل الحكم بن المنذر في عام ٦٢هـ/٦٨٢م لسبب غير معلوم، وعين على ولاية مكران حري بن حري الباهلي(٢)، واستطاع حري استعادة كل المناطق التي فتحها المنذر بن الجارود، بعد أن استغل أهل تلك البلاد استشهاد المنذر، وأعادوا سيطرتهم على هذه المناطق، وقد عمل حري على ضبط الأمور في ولاية مكران.

بدأت الأمور تضطرب في مركز الدولة الأموية بعد وفاة يزيد بن معاوية، وتنازل ابنه معاوية الثاني عن الخلافة، ولكن مروان بن الحكم استطاع حسم الأمور لصالحه في دمشق، إلا أن عهده لم يستمر طويلاً، فاستلم ابنه عبد الملك بن مروان منصب الخلافة في عام ٦٥هـ/٦٨٥م، بالإضافة إلى هذه الاضطرابات في الشام، فقد برزت مشكلة أخرى في الدولة الأموية، تمثلت بادعاء عبد الله بن الزبير للخلافة، حيث استقل بحكم شبه الجزيرة العربية، وامتدت سيطرته إلى بعض مناطق العراق.

إن الفتوحات الإسلامية في بلاد الهند والسند في عهد البيت السفياني من العصر الأموي، لم تستطع أن تتجاوز إقليم مكران إلا فيما ندر، واستمرت لوقت قصير وهو مدة بقاء الحملة في المنطقة، لأن المسلمين لم يعملوا على إبقاء قواعد عسكرية ثابتة في المناطق المفتوحة، ومن ثم الاعتماد عليها في فتح بقية المناطق، وربما يعود ذلك إلى اهتمام الخلافة الأموية بالفتوحات في شمال إفريقيا، وتحالف المعارضين للحكم الأموي في الشرق مع داهر.

---

(١)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٨٧؛ الكوفي: فتح السند، ص٨٤.

(٢)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم الإسلامية، ولكن تم ذكره عند البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٠.

٣- الحملات في عهد عبد الملك بن مروان:

بعد وفاة الخليفة مروان بن الحكم، خلفه في الحكم ابنه عبد الملك عام ٦٥هـ/٦٨٥م، ونتيجة اضطراب الأوضاع السياسية في الدولة الأموية في بداية عهده، فقد انعكس ذلك سلباً على بعض الولايات الشرقية، ولاسيما ولاية مكران، حيث قام معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافي(١)، بفرض سيطرتهم على هذه الولاية عام ٦٥هـ/٦٨٥م (٢)، واستقلوا في هذه الولاية عن الدولة الأموية لعدة سنوات.

لقد أوقف عبد الملك بن مروان جهوده في بداية عهده على ترتيب البيت الداخلي، فقضى على الفتن والثورات التي قامت في وجهه، ولاسيما استقلال عبد الله بن الزبير في الجزيرة، وكان عبد الملك قد اختار الحجاج بن يوسف الثقفي على ولاية العراق في عام ٧٥هـ/٦٩٤م، واشتهر الحجاج بحزمه ودهائه واستسهاله استخدام القوة والعنف لفرض الأمن في البلاد، ولكن لابد من القول أنه كان اختياراً صائباً نظراً لما قدمه من خدمات للدولة الأموية، بالإضافة إلى الفتوحات التي حصلت في الجبهة الشرقية أثناء ولايته، فبعد أن ضبط الأوضاع في العراق، أراد متابعة الفتوحات على الجبهة الشرقية، فقام بتعيين سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي(٣) على مكران في عام ٧٥هـ/٦٩٤م(٤)، وفي مصادر أخرى في عام ٧٨هـ/٦٩٧م(٥)، ولكن العلافيين استطاعوا مقاومة

---

(١)- العلاف: هو ريان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. البغدادي: المحبر، ص١٧٩؛ ابن بكار: جمهرة نسب قريش وأخبارها، تح: عباس هاني الجراح، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، مج٢، ص١٦٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١١؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٢١.

(٢)- المباركبوري: العقد الثمين، ص١٢١.

(٣)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له، ولكن ولايته على مكران وردت في معظم المصادر الإسلامية. البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١١؛ الكوفي: فتح السند، ص٨٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٤٢؛ العصامي(عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ت ١١١١هـ/١٦٩٩م): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٣، ص٢٦٥.

(٤)- ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٥٤.

(٥)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٥٦.

الحملة وقاموا بقتل سعيد بن أسلم، وبالتالي لم تستطع هذه الحملة أن تحقق أي إنجاز يذكر في مكران، وأخفقت في إعادتها إلى حضن الخلافة الأموية، إضافة إلى أنها كرست سيطرة العلافيين على هذا الإقليم، كما يبدو أن التحالف بين العلافيين وداهر كان قوياً، فقد استطاع داهر استخدام العلافيين كخط دفاع أول عن مملكته، وأمدهم بما يحتاجون إليه من المال والسلاح للوقوف في وجه الأمويين.

وينفرد الكوفي بذكر رواية مفادها أنه عندما قدم سعيد بن أسلم إلى مكران قام بقتل سفهوي ابن لام(١)، وهو أحد أقرباء العلافيين، ونتيجة ذلك قام العلافيون بقتل سعيد بن أسلم، وسيطروا على إقليم مكران(٢)، ولكن لابد من القول أن العلافيين كانوا قد سيطروا على الإقليم في بداية عهد عبد الملك، مستغلين ما كانت تمر به الدولة الأموية من مشكلات، فمكنوا لأنفسهم في مكران، وعندما جاء سعيد بن أسلم إلى مكران لم يستطع الوقوف في وجه قوتهم، مما أدى إلى استشهاده وإخفاق الحملة.

كما ورد في بعض المراجع الهندية(٣) أن محمد بن الحارث العلافي شارك مع عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث(٤) في خروجه على الأمويين، حيث كان الحجاج قد عينه على سجستان، فخلع طاعته، واتجه إلى العراق لحربه، ولكن الحجاج بن يوسف استطاع القضاء على هذه الثورة، مما أدى إلى ذهاب العلافيين إلى الساحل العُماني، وبعد ذلك انتقلوا إلى السند، حيث مكنوا لأنفسهم هناك حتى قدوم سعيد بن أسلم.

ولكن هذه الرواية تحمل الكثير من التناقض في مضمونها، لأن حركة عبد الرحمن بن

---

(١)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم الإسلامية.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٨٥- ٨٦؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١١.

(٣)- الحسني: نزهة الخواطر، ص٩.

(٤)- هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، توفي عام ٨٥هـ/٧٠٤م. البغدادي: المحبر، ص٢٤٤؛ السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٥٤٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٣٢٣.

محمد الأشعث قامت في عام ٨١هـ/٧٠٠م(١)، بينما ولاية سعيد بن أسلم على مكران في أقصى تقديرات المؤرخين كانت في سنة ٧٩هـ/٦٩٨م، وبالتالي فإن سيطرة العلافيين على ولاية مكران سابقة لثورة ابن الأشعث، ولكن لا يمكن أن يستبعد الباحث مشاركة العلافيين في ثورة ابن الأشعث بعد طردهم من مكران.

إن مصير حملة سعيد بن أسلم، وما آلت إليه الأمور في مكران من تحالف علني بين العلافيين وداهر، أزعج والي العراق الحجاج بن يوسف، واتخذ قراراً باستعادة مكران، وإنهاء تمرد العلافيين فيها، فاختار مجاعة بن سعر التميمي(٢)، الذي ورد اسمه في مصادر أخرى مجاعة بن سعيد(٣)، وقام بإرساله على رأس حملة عسكرية في عام ٧٩هـ/٦٩٨م إلى مكران(٤)، ولكن ابن الأثير(٥) يذكر أنه تولى الولاية في عام ٧٥هـ/٦٩٤م، إلا أن مجريات الأحداث ترجح الرأي الأول على رأي ابن الأثير.

لقد كان من أبرز نتائج هذه الحملة استعادة السيطرة على مكران، وطرد العلافيين منها، حيث لجؤوا إلى داهر، بالإضافة إلى ذلك فقد قام مجاعة بتوسيع العمليات العسكرية إلى الأقاليم المجاورة لمكران، حيث استطاع فتح بعض المناطق ووصل بجيشه إلى قندابيل، وبالتالي فقد استطاع المسلمون تعزيز نفوذهم في المنطقة، وبدؤوا بتجهيز الجيوش لفتح بلاد السند والهند

---

(١)- ابن خياط، تاريخ خليفة، ص٣٦٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٩٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٦، ص٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٠٢؛ Elliot: History of India, v2, p416.

(٢)- هو مجاعة بن سعر بن يزيد بن خليفة السعدي التميمي، توفي عام ٧٦هـ/٦٩٥م. البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٣، ص٦٥٥؛ الكوفي: فتح السند، ص٨٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٢٧٧.

(٣)- ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٥٤؛ المرصفي(سيد بن علي): رغبة الأمل من كتاب الكامل، مكتبة النهضة، ط١، جمهورية مصر العربية، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، ج٨، ص٤٠.

(٤)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٥٨.

(٥)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٤٢.

انطلاقاً من مكران، ولاسيما بعد استقرار الأمور في الدولة الأموية بشكل عام، وولاية العراق بشكل خاص، ولكن يبدو أن ثورة ابن الأشعث قد أخرت الفتوحات في الجبهة الشرقية عامة، وبلاد السند والهند بشكل خاص.

إن الباحث إذا أراد توسيع دائرة البحث لكي تشمل مجريات الأحداث في محيط إقليم مكران، فإنه يجد أن الخوارج قد هربوا إلى سجستان، وكرمان، وذلك بعد الحرب الشعواء التي شنها عليهم الحجاج بن يوسف، بعد أن كلف قائده الشهير المهلب بن أبي صفرة بحربهم، وذلك في عام ٧٨هـ/٦٩٩م(١)، وبالتالي ربما وصل الخوارج إلى مكران المجاورة لكرمان، ومن هنا لابد أنه حصل تحالف بين الخوارج، والعلافيين في مكران ضد الأمويين، الأمر الذي أعطى الحجاج سبباً إضافياً لتوجيه حملة جديدة إلى مكران.

إن ولاية مجاعة على مكران لم تستمر طويلاً، حيث ذكر ابن خياط بأنه توفي في العام نفسه الذي انطلق به إلى مكران ٧٩هـ/٦٩٨(٢)، بينما ذكر الكوفي أنه توفي عام ٨٦هـ/٧٠٥م(٣)، وربما وقع في وهم، كما أنه لم يرد في أي مصدر إسلامي أنه استشهد في إحدى المعارك، وبالتالي فإن وفاته قد تكون طبيعة.

على إثر وفاة مجاعة قام الحجاج بن يوسف بتعيين محمد بن هارون النمري(٤) على ولاية مكران، وقد ورد اسمه في بعض المصادر الإسلامية الأخرى هارون بن ذراع النميري(٥)، وقد كانت مهمة محمد واضحة في مكران، وتتمثل في عدة أمور، أولها تعزيز سيطرة الأمويين في مكران، والمهمة الثانية هي ملاحقة العلافيين، واجتثاث خطرهم بشكل نهائي، أما المهمة الثالثة هي

---

(١)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩٥.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٥٨.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١٨٨.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١١؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩٧؛ الكوفي: فتح السند، ص٨٧.

(٥)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم الإسلامية، ولكن ورد ذكره عند ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٥٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣٣٨.

متابعة الفتوحات في السند والهند، وهي المهمة الاستراتيجية الأساسية للدولة الأموية في ولاية مكران.

نجح محمد في تحقيق مهامه بشكل جزئي، فقد استطاع تعزيز سيطرة الأمويين على مكران، وتمكن من قتل أحد العلافيين وأرسل رأسه إلى الحجاج في العراق(١)، ولكنه لم يستطع إنهاء ظاهرة العلافيين بشكل مطلق، وذلك لأنهم كانوا ينطلقون في هجومهم على مكران من مملكة السند، وبالتالي في حال تعرضوا لأي هزيمة كانوا يتراجعون إلى داخل المملكة، ولم يكن لدى والي مكران من القوة ما يكفي لفتح السند والهند بالكامل.

إن ما يميز ولاية محمد على مكران، هو إعادة إحياء الحملات البحرية لفتح موانئ السند والهند(٢)، وقد استهدف في حملته البحرية ميناء الديبل، ولكنه أخفق في هذه الحملة، وعاد إلى مكران، وقد استشهد عدد كبير من جيشه، ولكن المؤرخ اليعقوبي وقع في وهم حين انفرد بذكر رواية تفيد باستشهاد محمد في هذه الحملة(٣)، في حين استمر ذكر محمد في المصادر الإسلامية الأخرى حتى عام ٨٩هـ/٧٠٧م(٤).

يبدو أن إرسال الحملة البحرية إلى ميناء الديبل، يعكس سيطرة الخلافة الأموية على العراق بشكل مطلق، كما تبين أن الأمور في شبه الجزيرة العربية قد استقرت للأمويين بعد انتهاء ثورة عبد الله بن الزبير، وبالتالي فإن استخدام سواحلها لأغراض عسكرية أصبح ممكناً، لأن الحملة البحرية تحتاج إلى تجهيزات خاصة، سواءً من ناحية السفن الحربية، أو من خلال تجهيزها بالمقاتلين المدربين على الحروب البحرية، بالإضافة إلى ذلك فقد أصبح لزاماً على المسلمين التصدي لنفوذ القراصنة المتزايد في بحر العرب، واعتداءاتهم المتكررة على السفن التجارية العربية، الأمر الذي حتم على المسلمين مواجهته.

---

(١)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٥٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٦، ص٣٣٨.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٨٨.

(٣)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩٧.

(٤)- الكوفي: فتح السند، ص٩٢- ٩٣.

٤- الحملات في عهد الوليد بن عبد الملك قبل حملة محمد بن القاسم الثقفي:

توفي عبد الملك بن مروان في عام ٨٦هـ/٧٠٥م، وخلفه في الحكم ابنه الوليد، واستمر حكمه حتى عام ٩٦هـ/٧١٤م(١)، وكان عهد الوليد بن عبد الملك عهد الفتوحات بامتياز، فلقد وصلت الدولة الأموية في عهده إلى جنوب فرنسا غرباً، وحدود الصين شرقاً، وقد اهتم بفتح شبه القارة الهندية، وكان الفضل في ذلك يعود لتشجيع الحجاج بن يوسف الثقفي والي والده على العراق، والذي استمر في عهده أيضاً، وأصبح حاكماً على كل الولايات الشرقية للدولة الأموية، ومنها ولاية مكران.

لقد بقي محمد بن هارون والياً على مكران في ظل الخلافة الجديدة كون الحجاج بن يوسف بقي على ولاية العراق، ولكن أمراً مستجداً وقع، ساهم بتغيير مسار الأحداث في هذه الولاية، فمن المعلوم أن التجارة بين سواحل شبه الجزيرة العربية، وسواحل الهند الغربية، وبعض الجزر المحيطة بشبه القارة الهندية، لم تتأثر بالعلاقات المتوترة بين العرب وداهر ملك السند، وبالتالي فإن الرحلات التجارية بين الطرفين كانت قائمة على قدم وساق، بالإضافة إلى ذلك فقد أقام التجار المسلمون مع عائلاتهم في هذه المناطق، وقد حصل أن اجتمع في جزيرة سرنديب عدد من النسوة المسلمات، توفي أباؤهم وأزواجهم وكانوا من التجار، ونتيجة قوة الدولة الأموية آنذاك، فقد أراد حاكم الجزيرة أن يقوم بمبادرة إيجابية اتجاه هذه الإمبراطورية العظمى، فأرسل هؤلاء النسوة وأولادهن على متن عدد من السفن إلى الحجاج، وقد أرسل معهم تحف وجواهر ثمينة كهدايا للحجاج، وللخليفة الوليد ابن عبد الملك(٢).

وقد أرادت النساء المسلمات زيارة الكعبة المشرفة، ومن ثم الانطلاق إلى العراق، ولكن ما

---

(١)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ٢٣٧؛ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٩٨؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص١٧٠.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١١- ٦١٢؛ البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، ص٤٧- ٤٨؛ الكوفي: فتح السند، ص٨٨- ٨٩؛ Habib(mohammad): Politics and society during the early medieval period, peoples publishing house, delhi,1401 Ah/1981 Ad, p8.

حصل أن رياحاً قوية أبعدت السفن عن مسارها الطبيعي، واتجهت بهم إلى ميناء الديبل السندي، حيث قام مجموعة من القراصنة بالاستيلاء على السفن بما فيها، وقد يكون هؤلاء على الأغلب من رجال داهر ملك السند، نظراً لتبعية الميناء له.

لقد نقل مجموعة من التجار هذه الأخبار إلى الحجاج في العراق، وذكروا له أن إحدى النساء قد استنجدت به شخصياً بقولها: ياحجاج أغثني"، فقال الحجاج: "لبيكِ لبيكِ"(١)، وبالتالي اتخذ الحجاج قراراً بضرورة عودة هؤلاء النسوة بأي وسيلة.

إن الباحث إذا ما أراد أن يكون موضوعياً، وأن يخضع هذه الرواية للنقد العلمي، فلابد من القول أن هذه الرواية لم تذكر إلا في ثلاثة مصادر إسلامية، حيث نقلها من المؤرخين: البيروني، والكوفي، والبلاذري، بينما لم يتم الوقوف على هذه الرواية في أمهات الكتب الإسلامية الأخرى، وعند كبار المؤرخين المسلمين مثل: خليفة بن خياط، والطبري، وابن الأثير، وابن خلدون، وغيرهم من المؤرخين.

بالإضافة إلى ذلك لماذا لم تصعد النساء المسلمات على سفن عربية إسلامية؟ وهم أسياد المحيط الهندي في تلك الحقبة، والأعرف بمواعيد هبوب الرياح، وبالدوامات البحرية، وكل ما يخص الملاحة في المحيط الهندي، وبحر العرب، كما أن القاصي والداني في ذلك الوقت يعلم أن هناك قراصنة في المحيط الهندي، فكيف يتم إرسال نسوة دون وجود قوة عسكرية كافية لحمايتهم في حال تعرضهم لأي هجوم؟!

كما أن المسلمين لم يتوقفوا عن إرسال الحملات العسكرية لفتح إقليم السند، وبالتالي فهم ليسوا بحاجة لأي ذريعة لفتح الإقليم، فاعتداءات داهر وصلت إلى ذروتها على المسلمين في مكران، وبالتالي بعد وصول الوليد بن عبد الملك إلى منصب الخليفة، واستقرار الأمور في البلاد، انطلقت الجيوش الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، تحمل في جعبتها مهمة إيصال تعاليم الإسلام إلى كل بقاع الأرض، ولاسيما تلك البلاد التي تحكمها سلطة تعادي الإسلام والمسلمين كداهر ملك السند.

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٢؛ البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، ص٤٧؛ الكوفي: فتح السند، ص٩٠.

من هنا فإن تصوير قضية فتوح السند والهند، على أنها قامت لاسترداد مجموعة من النساء المسلمات تحتاج إلى مزيد من التحقيق والتمحيص، أو أن تذكر القضية على أنها استجابة لامرأة نادت باسم حاكم ما في مكان هنا أو هناك، وقرر هذا الحاكم أن يسخر جهود الخلافة الإسلامية للاستجابة لها، فقد يكون فيه نوع من المبالغة في تصور الموضوع، ولكن تبقى احتمالية وقوعها قائمة.

وفي حال صحة وقوع حادثة النسوة، فهل كانت الحملة البحرية التي قام بها محمد بن هارون والي مكران إلى الديبل(١)، قد حصلت في عهد الوليد بن عبد الملك؟ وبالتالي كان هدفها إنقاذ النسوة، وعلى هذا الأساس ونتيجة إخفاق الحملة في تحريرهن، قرر الحجاج إرسال الحملات المتتالية لانقاذهن.

من وجهة نظر متواضعة فإنه يمكن القول في النهاية، إن حادثة النسوة ليس لها أي أساس من الصحة، وإنما هي نوع من شحذ همم المقاتلين المسلمين، حيث من المعلوم مدى مكانة المرأة عند الرجل المسلم، وبالتالي كانت نوعاً مما يمكن أن يسميه الباحث بالإعلام الحربي الذي كان وما زال يستخدم في الحروب.

عمل الحجاج بن يوسف الثقفي على طلب الإذن من الخليفة الوليد بن عبد عبد الملك، للسماح له بإرسال الحملات العسكرية السند والهند، لكن الوليد رفض طلبه، فأرسل الحجاج للوليد ثانيةً مبدياً إصراره على طلبه، فنزل الوليد عند رغبة الحجاج(٢)، وبعد موافقة الخليفة قام الحجاج بتعيين عبد الله بن نبهان السلمي(٣) على رأس حملة لفتح تلك البلاد، على الرغم من ذلك فهو أبقى محمد بن هارون على ولاية مكران، وبالتالي فإن الأوضاع في مكران كانت جيدة، لكن الحملة كانت تستهدف ميناء الديبل السندي، وبالتالي فإن استراتيجية الانطلاق من مكران باتجاه المناطق الصحراوية والجبلية قد تغيرت، وبدأ الحجاج بن يوسف بتطبيق استراتيجية عسكرية جديدة.

---

(١)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩٧.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٩١.

(٣)- من معاصري التابعين. المباركبوري: العقد الثمين، ص١٢٤.

كانت استراتيجية الحجاج تقوم على السيطرة على السواحل السندية، لخنق البلاد اقتصادياً، وذلك لأن المسلمين يسيطرون على سجستان في شمال السند، بالإضافة إلى استحالة التجارة مع المناطق الداخلية لشبه القارة الهندية، نظراً لكثرة منتجات المناطق الداخلية من جهة، ولوجود صحراء واسعة تفصلها عن مملكة السند من جهة أخرى، وبالتالي كانت تجارة السند تصدر إلى الخارج عبر موانئ بحر العرب.

انطلق عبد الله بن نبهان من العراق، ووصل مكران، وانطلق منها إلى الديبل، ولكنه تعرض لهزيمة كبيرة، واستشهد في هذه المعركة، أما بقية الجيش فقد عاد إلى ولاية مكران(١)، بانتظار أوامر الحجاج الجديدة، ولكن هناك رواية أخرى مفادها أن الحملة كانت بحرية، وقد انطلقت من عُمان، وكان داهر بانتظارها في الديبل، الأمر الذي أدى لهزيمة المسلمين، واستشهاد قائد الحملة(٢).

بعد أن وصلت أخبار حملة عبد الله بن النبهان إلى الحجاج، أرسل إلى بديل بن طهفة البجلي(٣)، وكان في عُمان، وطلب منه أن يسير إلى محمد بن هارون والي مكران لفتح السند والهند، كما أرسل إلى محمد بن هارون يطلب منه تجهيز ثلاثة آلاف مقاتل، ووضعهم تحت تصرف بديل للسير إلى الديبل، وقد سار بديل على رأس ثلاثمئة فارس إلى مكران، وانضم إلى الجيش الذي جهزه محمد (٤)، لكن يبدو أن عيون داهر استطاعت أن تنقل له استعدادات المسلمين في مكران، لذلك أمر ابنه جيسيه الذي كان أميراً على حصن النيرون، بأن يسير إلى الديبل، فاستجاب جيسيه وجهز جيشاً قوامه أربعة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان، بالإضافة إلى الفيلة.

لقد وصل جيش المسلمين إلى الديبل قبل جيسيه، واستطاع تحقيق نصر كبير على القوات السندية في الديبل، ولكن وصول جيسيه بقواته الكبيرة قلب موازين المعركة، وأدى إلى تلقي

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٢؛ الكوفي: فتح السند: ص٩١؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١١٩.

(٢)- أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص٦٤- ٦٥.

(٣)- ابن دريد: الاشتقاق، ج٢، ص٥١٩؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٢٥.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٢؛ الكوفي: فتح السند، ص٩٢.

المسلمين هزيمة كبيرة أخرى في هذا الميناء(١).

كما أن عدم قدرة المسلمين على التعامل مع الفيلة ساهم بهزيمتهم، حيث كانت الخيول تخاف من الفيلة، حتى أن بديل اضطر إلى أن يضع قماشاً على عين فرسه، لكي لا تنفر من الفيلة، بالإضافة إلى ذلك فقد كان بديل مثالاً للقائد الشجاع، حيث استمر في القتال حتى وقع شهيداً في أرض المعركة، وقد أسر في هذه المعركة عدد كبير من المقاتلين المسلمين، وعادت بقية الجيش إلى قواعدها في مكران، منتظرين الحملة التالية(٢).

لقد تركت هزيمة حملة بديل في نفس الحجاج أثراً كبيراً، وشعر بالحزن الشديد، وطلب من أحد المؤذنين أن يذكر اسم بديل عند كل آذان للصلاة، لكي تبقى ذكراه حية في قلوب المسلمين، وليبقى الأخذ بثأره حاضراً في قلبه وعقله، ولذلك فقد اتخذ قراراً حاسماً بإرسال حملة كبرى لفتح السند والهند، ويبدو أن قرار الحجاج قد وصل إلى مسامع الأهالي في حصن نيرون، فأرسلوا وفداً إلى الحجاج في العراق بدون علم داهر، طلبوا من خلاله الأمان على أنفسهم وأموالهم، مقابل دية يدفعونها للحجاج، فأمنهم الحجاج ووافق على طلبهم(٣).

ولكن لابد من القول أن الكوفي انفرد بذكر قضية قيام أهل نيرون بإرسال الوفد إلى الحجاج، ومن هنا فليس بوسع الباحث إلا أن يدقق في هذه الرواية، حيث من المعلوم أن النيرون كانت تحت حكم جيسيه بن داهر ملك السند، وبالتالي هل كان إرسال هذا الوفد قائم على مبدأ توزيع الأدوار بين داهر وابنه جيسيه؟ ولاسيما أن الأخبار بدأت تصل إلى مملكة السند، عن غضب الحجاج من الهزيمة الأخيرة للمسلمين في الديبل، ونيته إعداد حملة كبرى، لن تقف عند حدود الديبل فحسب، بل سيكون هدفها فتح بلاد السند والهند، وبالتالي يكون هدف هذا الوفد هو جس نبض الحجاج، عن إمكانية قبوله دفع الأموال من مملكة السند مقابل عدم إرساله أي حملة جديدة إلى بلادهم.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٩٢.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٩٢؛ المباركبوري، العقد الثمين، ص١١٩؛ أبو النصر: تاريخ المسلمين، ص٦٥.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص٩٣.

ومن ناحية أخرى فإن إرسال وفد من قبل حكومة النيرون إلى الحجاج، ربما لم تحصل بالكامل، كون مملكة السند انتصرت في الحرب الأخيرة، فهل يمكن أن يدفع المنتصر الجزية للمهزوم؟ لا يستطيع المرء استبعاد أحد الخيارين، ولكن عدم ذكرها في المصادر الإسلامية الأخرى تجعل الباحث يرجح الفرضية الثانية، لأن المسلمين على مدى عدة سنوات لم يستطيعوا تجاوز إقليم مكران، إلا بحالات استثنائية، ولم تستمر لوقت طويل، ومن هنا فلا شيء يستدعي من جيسيه مخالفة أوامر والده داهر، والقيام بهذه الخطوة الاستراتيجية، البعيدة عن سياسة والده في مركز المملكة.

وبدأ الحجاج بعد ذلك يعد العدة لإرسال حملة كبرى لفتح بلاد السند والهند، والانطلاق منها لفتح شبه القارة الهندية، ونشر الإسلام في ربوعها، بعد الخيبات المتكررة في هذه الجبهة، وهو المعروف بقوة إرادته.

الفصل الرابع: فتح المناطق الواقعة غربي نهر السند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي:

أولاً- أوضاع الدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك(٨٦- ٩٦هـ/٧٠٥- ٧١٥م):

ثانياً- أسباب الفتح الإسلامي لبلاد السند والهند:

ثالثاً- اختيار محمد بن القاسم الثقفي لقيادة فتوحات السند والهند وتجهيز الحملة:

رابعاً- انطلاق حملة محمد بن القاسم الثقفي ٩٢هـ/٧١٠م:

١- خروج الحملة من العراق ووصولها إلى السند ٩٢هـ/٧١٠م:

٢- فتح الديبل:

٣- فتح النيرون:

٤- فتح سيوستان:

٥- فتح سيويس:

٦- فتح أشبهار:

أولاً- أوضاع الدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك(٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م):

لقد وصلت الدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك إلى أوج قوتها، حيث ترك له أبوه دولةً متينة الأركان، وبالتالي كان لابد من استثمار فائض القوة بالتوسع الخارجي، فبلغت حدود الدولة في أقصى اتساع لها، ففي الغرب استطاعت جيوش الدولة فتح الأندلس بقيادة والي المغرب موسى ابن نصير، وقائده الشهير طارق بن زياد، كما برز عدة قادة في الجبهة الشمالية، وعلى رأسهم مسلمة بن عبد الملك(١)، والعباس بن الوليد(٢)، وقد بدأ الوليد بن عبد الملك بتجهيز حملة كبيرة هدفها فتح العاصمة البيزنطية القسطنطينية، ولكنه توفي قبل انطلاقها، وتم إرسالها في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك عام ٩٧هـ/٧١٦م(٣).

أما في الشرق فقد استمر الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق في عهد الوليد(٤)، وزادت

---

(١)- هو أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك بن مروان، قائد الجيوش الشهير، يلقب بالجرادة الصفراء، توفي عام ١٢٠هـ/٧٣٨م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٤١؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ٢٢٤؛ الصلابي(علي محمد): الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢، ص١٣.

(٢)- هو العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، من كبار القادة العسكريين، كان يلقب بفارس بني مروان، توفي عام ١٣١هـ/٧٤٩م. ابن بدران(عبد القادر بن أحمد بن مصطفى): تهذيب تاريخ ابن عساكر، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، ج٧، ص٢٧٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٦٨.

(٣)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٤٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٠٣؛ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٢٠٠؛ رمضان(عبد العظيم): الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص١٠٨؛ أبو زيد(علا عبد العزيز): الدولة الأموية دولة الفتوحات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢٩- ٣٠؛ عنان(محمد عبد الله): مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، الناشر حسين عنان، ط٥، (د.م)، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٨.

(٤)- الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٢٨- ٣٢٩؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٨٤٨؛ ابن عساكر(أبي القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ت ٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١٢، ص١٩٢؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج٥، ص٢٠٩٥.

وتيرة الفتوحات في هذه الجبهة، حيث أطلق الوليد يد الحجاج بشكل كامل، حتى أمكن القول أنه كان هناك نوع من الشراكة في الحكم بين الرجلين، وهناك قول للوليد بن عبد الملك في الحجاج يعبر عن العلاقة بين الرجلين، حيث قال الوليد: " ألا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول: إن الحجاج جلدة ما بين عيني وأنفي، وأنا أقول: إنه جلدة وجهي كله"(١).

يمكن القول أن العلاقة بين الوليد والحجاج كانت انعكاساً للتحالف الاستراتيجي بين قبيلة ثقيف، وبني أمية(٢)، وعلى الرغم من أن القبيلتين كانتا من أواخر القبائل إسلاماً، إلا أن القبيلتين بعد دخولهما في الإسلام أصبحتا من أشد القبائل تمسكاً بالإسلام، وظهر ذلك جلياً في حروب الردة عندما ارتدت معظم القبائل العربية عن الإسلام، بينما وقفت القبيلتان موقف الدفاع عن الإسلام في تلك الأوقات العصيبة(٣)، كما لابد للباحث المنصف والذي يتخذ من الموضوعية منهجاً وحيداً في قراءة وكتابة التاريخ القول: إن لبني أمية وثقيف فضلاً كبيراً في إيصال الإسلام إلى أقاصي الأرض شرقاً وغرباً، وذلك على الرغم من التزوير والتشويه المتعمد الذي طال تاريخهم من قبل أعدائهم.

لقد سارت الجيوش الإسلامية في الجبهة الشرقية باتجاهين، الأول إلى بلاد ما وراء النهر، والثاني إلى بلاد السند والهند، حيث قاد قتيبة بن مسلم الباهلي(٤) الجبهة الأولى، واستطاع فتح

---

(١)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص١١٣؛ ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج٢، ص٤٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٣١٤؛ سبط بن الجوزي(شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: محمد رضوان عرقسوسي، عمار ريحاوي، الرسالة العالمية، ط١، دمشق، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج١٠، ص٩٢.

(٢)- زيادة(محمود): الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، رسالة دكتوراه منشورة، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٦- ١٧.

(٣)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٠٥.

(٤)- هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، من كبار القادة العسكريين في الدولة الأموية، توفي عام ٩٦هـ/٧١٥م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤١٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١٨٩.

عدة حصون ومدن هامة مثل بخارى(١)، وسمرقند(٢) وغيرها، واستمر في تقدمه حتى تمكن من الوصول إلى كاشغر(٣) على حدود الصين(٤).

ويمكن القول أن الغاية من إرسال الجيوش الإسلامية بهذين الاتجاهين كان تطويق خراسان، ولاسيما بعد الاضطرابات العديدة التي شهدتها ساحة هذا الإقليم، وتمثلت بالعديد من الحركات، ومنها ثورة ابن الأشعث في سجستان، والتي امتدت إلى خراسان والعراق، وكذلك توجس الحجاج الدائم من آل المهلب في خراسان(٥)، وبالتالي فإن الفتوحات في بلاد ما وراء النهر من جهة، وفتوحات السند كانت تساهم في تحصين خراسان، وتحولها من مكان يأوي المتمردين على الدولة الأموية، ووواليها على العراق الحجاج بن يوسف، إلى قاعدة لانطلاق الجيوش لفتح المناطق الشرقية، وأفضل برهان على هذا التوجه، تمثل بتعيين قتيبة بن مسلم الباهلي على خراسان، وتكليفه بفتح بلاد ما وراء النهر(٦).

---

(١)- من أعظم مدن ما وراء نهر جيحون، تقع إلى الغرب من مدينة سمرقند بحوالي ٣٧ فرسخ. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٣؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٠٩؛ ابن الوردي: خريدة العجائب، ص١٢٤.

(٢)- من أجمل مدن بلاد ما وراء النهر، وهي قصبة الصغد، ويقال لها بالعربية سمران. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٢٣؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٦؛ ابن الوردي: خريدة العجائب، ص١٢٤.

(٣)- تقع إلى الشرق من سمرقند، على ضفة نهر صغير يأتي من شمالها. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٣٠؛ ابن الوردي: خريدة العجائب، ص١٣٢.

(٤)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٩؛ ابن أعثم الكوفي(أبي محمد أحمد ت ٣١٤هـ/٩٢٦م): الفتوح، تح: علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٧، ص١٦٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٩.

(٥)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٦٠؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص٣٠٣- ٣٢٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٣، ص٦٢٣- ٦٢٥؛ المرعشي: غرر السير، ص٦٩، ٩٢؛ سلطان(عبد المنعم عبد الحميد): آل المهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٦٨.

(٦)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٨١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٣، ص٦٧٠؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٨٤٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٤١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٧٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٩، ص١٨٩.

ثانياً- أسباب الفتح الإسلامي لبلاد السند والهند في عهد الوليد بن عبد الملك:

منذ ظهور الإسلام في مكة المكرمة، وأعداء الإسلام ما كفوا عن أذى هذا الدين العظيم، ولم يتركوا شبهة إلا ورموه بها، ومن هذه الشبهات قضية نشر الإسلام بالسيف، وبالتالي لابد قبل البدء بذكر أسباب الفتوحات من تبيان خطأ ما يدعون بالبراهين والأدلة التاريخية.

في البداية لابد من التنويه أن القرآن الكريم كان واضحاً في طريقة الدعوة إلى الإسلام، وذلك من خلال عدة آيات قرآنية ومنها قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين﴾(١)، وبالتالي فإن دستور المسلمين الأول يدعوهم إلى اتباع الطرق السلمية بالدعوة.

أما بالنسبة لاستخدام القوة العسكرية من قبل المسلمين عبر التاريخ، فكان من أجل أمرين لا ثالث لهما، الأول في حال تعرضوا إلى اعتداء، أو أن العدو يجهز لحرب ضدهم، عندها لابد لهم من التجهيز للحرب، وهو ما يطلق عليه الحرب الاستباقية، أما الحالة الثانية فهي وجود سلطة سياسية في أي إقليم تناصب الإسلام العداء، وتمنع انتشار الإسلام في أراضيها.

في ضوء ما سلف يستطيع المرء أن يفهم سبب عدم إرسال حملات عسكرية إسلامية إلى جنوب الهند، وسواحلها الجنوبية الغربية والشرقية، وذلك لأن الحكومات المحلية لم تمنع انتشار الإسلام هناك، بل أمنت كل وسائل الراحة للتجار المسلمين على أراضيها، حيث كانت هذه المناطق متأثرة بمذهب النساطرة(٢) قبل ظهور الإسلام(٣)، وهذا يؤكد أن الإسلام لم يهدف لتغيير النظام

---

(١)- القرآن الكريم: سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢)- مذهب من المذاهب المسيحية، نشأ على يد نسطور في القرن الخامس الميلادي، وهو يتبنى فكرة أن السيد المسيح ذو طبيعتين منفصلتين بشرية وإلهية، وقد تم اتهام نسطور بالهرطقة والكفر في مجمع أفسس الثالث الذي عقد عام ٤٣١م، ونفي إلى صحراء مصر حيث مات هناك عام ٤٥١م. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٥٥؛ خياطة(نهاد): الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، (د.م)، (د.ت)، ص٩٠-٩١.

(٣)- علي: المفصل في تاريخ العرب، ج١٣، ص٢٨٠.

السياسي القائم في أي منطقة، ولم يُشرع الجهاد إلا بغرض رد الاعتداء عن أراضي الدولة الإسلامية، أو رعاياها الذين بدؤوا ينضمون إلى الإسلام من كل حدب وصوب، وهو أمر كفلته كل الشرائع والقوانين.

أما بالنسبة لمملكة السند فإن الملك جج، ومن حكم بعده حتى الملك داهر، ناصبوا الإسلام والمسلمين العداء، ويبدو أنهم منعوا أي نشاط للدعوة الإسلامية في بلادهم، كما أن داهر بدأ بإرسال الحملات المتتابعة ضد المسلمين في إقليم كرمان ومكران، وكان لزاماً على الدولة الأموية أن ترد هذا العدوان، وأن تجهز الحملة تلو الأخرى لفتح هذه البلاد، وبعد إخفاق معظمها كان لابد من تجهيز حملة كبرى تستطيع أن تثأر لكل الشهداء الذين سقطوا في الإقليم، ومن ثم تقديم الحماية للمسلمين في مكران.

كما عمل أعداء الإسلام على الترويج لشبهة أخرى، وهي أن المسلمين فتحوا المناطق المختلفة بغية الحصول على الغنائم، والسؤال المطروح لو أن هدف المسلمين من فتوحات الهند والسند كان الحصول على الغنائم، لماذا جازف المسلمون بعبور الصحارى الواسعة في الشمال لفتح تلك البلاد، وتركوا المناطق الغنية في الجنوب؟ مع العلم أن الجنوب لم تكن تحكمه ممالك قوية، وبالتالي كان من السهولة بمكان سيطرة المسلمين على هذه المنطقة، ولحصلوا على غنائم لا تقاس بأي منطقة أخرى، سواءً في شبه الجزيرة الهندية أو غيرها، في حين كان هناك مملكة قوية في الشمال بقيادة داهر.

كما أن الإسلام يحمل رسالة حضارية للإنسانية جمعاء، وهي مناصرة المستضعفين في الأرض، حيث يقول تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾(١)، ولا يخفى على أي باحث في التاريخ ماهية النظام الاجتماعي الذي فرضه الهندوس في السند والهند، وذلك بعد سيطرة جج بن سيلانج على البلاد، وقد تطلعت الفئات المستضعفة في هذه البلاد إلى منقذ يخلصها مما هي فيه(٢)، ومن هنا فقد وجدت في الدين الإسلامي ما يحقق لها كرامتها ونجاتها في الدنيا والآخرة، فتعاونت مع المسلمين الفاتحين.

---

(١)- القرآن الكريم: سورة النساء، الآية: ٧٥.

(٢)- أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص٧٠.

ومن هنا يمكن القول لو أزيلت العوائق أمام انتشار الإسلام، لأصبح الدين الأول في العالم لأن قواعده الأخلاقية ثابتة وراسخة، ولذلك فإن الأراضي التي دخلتها الجيوش الإسلامية لا تشكل ثلث المساحة التي ينتشر عليها المسلمون، أما الباقي فقد دخلها الإسلام دون جهد عسكري منظم(١).

كان للدافع الديني أهمية كبيرة في الفتوحات الإسلامية، حيث ساهم برفع معنويات الجنود المسلمين، وخلق رابطاً أقوى من الرابط القبلي، تمثل بمشاركة معظم القبائل العربية في العراق بجبهات القتال تحت راية الجهاد في سبيل الله، وقد شعر المسلمون بأنه يقع على عاتقهم مهمة أساسية، وهي إيصال الإسلام إلى كافة أصقاع الأرض، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك للناس كافة بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(٢)، وعلى الرغم من ذلك لم يتم فرض الإسلام على أحد، فكان المرء يستطيع أن يبقى على دينه، مقابل أن يؤدي الجزية التي تدفع نظير خدمات توفرها الخلافة الإسلامية، ولذلك فقد تميز الإسلام بالتسامح في زمن الاضطهاد، وبالحرية في زمن الإجبار(٣).

كما أن فتوحات السند والهند من ناحية، وفتوحات بلاد ما وراء النهر من ناحية أخرى، كانت تمثل خطوة تمهيدية لفتح الصين، وبالتالي فتح الشرق بالكامل، وهذا ما أكده ابن كثير بقوله: " لو عاش الحجاج لما أقلع عن بلاد الصين "(٤)، وبالتالي فإن موقع السند والهند قد فرض على المسلمين أن تكون هذه البلاد هي الخطوة التالية في فتوحاتهم العالمية، كما أن الحجاج كان قد وعد محمد بن القاسم، وقتيبة بن مسلم الباهلي بأن تكون الصين لمن يصلها أولاً(١)، ومن هنا يمكن

---

(١)- مؤنس(حسين): الإسلام الفاتح، رابطة العالم الإسلامي، (د.م)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص١٨.

(٢)- القرآن الكريم: سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٣)- الشنيور(إبراهيم علي): الفتح العربي الإسلامي لجنوب بلاد الشام من الناحية العسكرية ٧-١٧هـ/٦٢٨-٦٣٨م، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٥٣- ٥٤؛ العبيدي(عبد الجبار منسى): الفتوح العربية الإسلامية ودوافعها، مجلة المؤرخ العربي، العدد: ١٤، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص٢٩٢؛ محمد جاد(ناصر محمدي): التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، دار الميمان، ط١، الرياض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٣٥٨.

(٤)- ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٨٧- ٨٨.

أن يستدل الباحث بأن الهدف الأكبر كان فتح الصين.

بالإضافة إلى ذلك فقد تحولت بلاد السند والهند ملجأً للمعارضين للحكم الأموي، وخير مثال على ذلك لجوء العلافيين إلى الملك داهر، واستخدامهم من قبل داهر لشن أعمال عدائية ضد المسلمين في إقليم مكران، وبالتالي كان لابد من السيطرة على هذه البلاد.

ولكن أمام كل ذلك يمكن القول أن هناك دافعاً اقتصادياً لفتوح السند والهند، ولا ضير في ذلك إن لم يكن فيه اعتداء على الآخرين، وكان هدفه حماية طرق التجارة للدولة الأموية، ولاسيما الطريق التجاري البحري بين السواحل الغربية والشرقية لشبه الجزيرة الهندية من جهة، وبين موانئ العراق وشبه الجزيرة العربية من جهة أخرى، وكانت هذه التجارة مزدهرة حتى سمي ميناء الأبلة(٢) " أرض الهند "، ويبدو أن داهر عمل على فرض حصار بحري على المسلمين وحرمانهم من تجارة الهند، الأمر الذي تطلب رداً حاسماً لحماية مصالح المسلمين الاقتصادية.

كما يمكن للباحث القول أن فتوحات السند والهند من جهة، وفتوحات بلاد ما وراء النهر من جهة أخرى، كان من أحد أهدافها السيطرة على طريق الحرير البري، الذي كان يبدأ من الصين، ويمر عبر أراضي الدولة الأموية من خلال خراسان، والعراق، والشام، ومنها إلى آسيا الصغرى وأوروبا، أو إلى مصر وشمال إفريقيا، ومنها إلى أوروبا(٣)، وبالتالي كان لابد من السيطرة على السند، وبلاد ما وراء النهر لضمان السيطرة الكاملة على طريق الحرير، وذلك نظراً لأهميته بالنسبة للدولة الأموية، وفي الوقت نفسه يكون المسلمون قد طوقوا خراسان من جميع الجهات.

---

(١)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٢؛ بارتولد(فاسيلي فلاديميروفيتش): تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٣٠٣- ٣٠٤.

(٢)- يقع بالقرب من مدينة البصرة. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٧٧؛ القزويني: آثار البلاد، ص٢٨٦.

(٣)- حسين(نيفين): طريق الحرير الجديد وأثره على دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الاقتصاد، الإمارات العربية المتحدة، (د.ت)، ص٣؛ الحمد(محمد عبد الحميد): حضارات طريق الحرير، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٩٣؛ غيفورد(روب): طريق الصين رحلة في مستقبل قوة صاعدة، تر: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص١٢؛ المحمود(إبراهيم مصطفى): الصين وطريق الحرير، مديرية المطبوعات والنشر، ط١، دمشق، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٣٤.

ثالثاً- اختيار محمد بن القاسم الثقفي لقيادة فتوحات السند والهند وتجهيز الحملة:

قرر الحجاج بن يوسف الثقفي إعداد حملة كبيرة لفتح السند والهند، ووقع اختياره على قائد عسكري شاب هو محمد بن القاسم الثقفي(١) والي فارس، وكان ذلك في عام ٩٢هـ/٧١٠م(٢)، وهناك روايات تاريخية تتحدث عن أن محمد بن القاسم كان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً(٣)، ولكن يبدو أن هذه الروايات غير دقيقة، لأن محمد بن القاسم تولى ولاية فارس في عام ٨٣هـ/٧٠١م(٤)، وعلى قول آخر سنة ٨٤هـ/٧٠٢م(٥)، وبالتالي يكون قد تولى هذه الولاية الهامة، وهو في عمر الثماني سنوات، وهذا لا يصدقه عاقل، وربما تولى محمد بن القاسم ولاية فارس وهو في السابعة عشرة من عمره، وهذا أقرب إلى الحقيقة، وبالتالي يكون عمر محمد بن القاسم أثناء توليه فتوح السند ستة وعشرين عاماً.

وقد وقع الكوفي، وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين في وهم، عندما ذكروا أن محمد بن القاسم الثقفي هو ابن أخ الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي(٦)، ولكن ابن الأثير كان من بين المؤرخين القلائل الذين أدركوا أن صلة القرابة بين الرجلين مختلفة، حيث أوضح أنهما يجتمعان بجدهم الحكم(٧)، وبالتالي فإن الحجاج هو ابن عم القاسم والد محمد، ومن هنا فالحجاج هو عم محمد، وليس ابن عمه.

---

(١)- هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل، تولى فارس عام ٨٣هـ/٧٠١م، وقاد فتوحات السند والهند. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣٣٣.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٠٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١١؛ الكوفي: فتح السند، ص٩٨.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص٩٤؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج٢٧، ص٣٣٧؛ العمري(عبد العزيز بن إبراهيم): الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيلية، ط٣، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٧١.

(٤)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٧٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٦، ص١٨؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٤١.

(٥)- ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٥٢.

(٦)- الكوفي: فتح السند، ص٩٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٧٦؛ خطاب: قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٩٥.

(٧)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٠.

بعد أن وقع اختيار الحجاج بن يوسف الثقفي على محمد بن القاسم الثقفي لقيادة حملة جديدة إلى السند والهند، كانت الخطوة التالية طلب الإذن من الخليفة الوليد لانطلاق الحملة، ولكن الوليد رفض في البداية، ويبدو أن الهزائم المتتالية للجيوش الإسلامية في السند كانت السبب الأول في هذا الرفض، بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر الكوفي أن الخليفة الوليد كانت حجته بأن بلاد السند والهند بعيدة، وأن تجهيز حملة جديدة بالسلاح، والعتاد، والرجال، والمؤن، ستكلف خزينة الدولة أموالاً طائلة(١).

لم يستسلم الحجاج، وكان مصراً على إرسال حملة جديدة إلى السند والهند، فأرسل رسالةً أخرى إلى الخليفة الوليد، يشرح فيها الأوضاع السيئة للمسلمين في إقليم مكران، وأنهم واقعون تحت رحمة ملك السند داهر، ويجب تخليصهم من معاناتهم، كما أنه شرح للخليفة بأن ما يصرف على الجيش أثناء الحرب، لا يزيد كثيراً عما يصرف عليه أثناء السلم، وبالتالي فالأجدر به أن يدافع عن حدود الدولة، ويساعد المسلمين في كافة أصقاع الأرض، ولم يكن بوسع الخليفة الوليد إلا أن وافق على طلب الحجاج(٢).

بعد ذلك اقترح الحجاج على الخليفة الوليد أن يرسل له ستة آلاف مقاتل من جند الشام، فوافق الوليد على طلبه(٣)، ويبدو أن الجيش الشامي كان أكثر تنظيماً من الجيش العراقي، ويمكن القول أنه كان جيشاً نظامياً، في حين أن الجيش العراقي كان أقرب إلى الجيش القبلي، وذلك نتيجة الصراعات المستمرة في العراق قبل ولاية الحجاج، في حين أن الشام كانت تعيش حالة من الاستقرار على مدى عدة عقود، وبالتالي يمكن الاستنتاج بأن الخليفة الوليد، والحجاج خططا لهذه الحملة بشكل جيد، وعملا على الاستفادة من الأخطاء التي وقعت بها الحملات المتقدمة، ولابد أنهما اطلعا على عدة خرائط لبلاد السند والهند، لمعرفة أهم الممرات إليها، وتوزع المدن فيها.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٩٥.

(٢)- المصدر نفسه: ص٩٥.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٢؛ الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٣٣؛ زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٢٥٤؛ عبد الحكيم(منصور): الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية في الميزان، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م، ص٣٧٨؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٣٦.

وقبل المضي في ذكر تجهيزات حملة محمد بن القاسم، لابد من التطرق قليلاً للمؤسسة العسكرية التي بناها الحجاج في العراق، حيث ذهب بعض المؤرخين إلى القول أن الحجاج هو أول من طبق التجنيد الإلزامي في العصر الأموي(١)، ولكن يمكن القول أن فرض البعوث، وتجنيد المقاتلين للمشاركة في الفتوحات، وحماية حدود الدولة كان موجوداً قبل ولاية الحجاج على العراق، ولكن الحجاج كان صارماً في تطبيقه أكثر ممن سبقوه، وعلى الرغم من ذلك كان الحجاج يعامل الجنود معاملة القائد المحب لجنوده، فكان يغدق عليهم الأموال في حياتهم، ويشارك على قدر استطاعته في جنائزهم في حال نيلهم الشهادة(٢)، وهذا يترك انطباعاً جيداً لدى المقاتلين، بالإضافة إلى ذلك فقد اهتم الحجاج بالأسطول البحري، نظراً لإشراف ولاية العراق على الخليج العربي، وبالتالي فقد أدرك أهمية تأسيس أسطول بحري قادر على حماية التجارة البحرية مع شبه القارة الهندية من جهة، ومساندة الحملات البرية في فتوحات الجبهة الشرقية، حيث ينسب إلى الحجاج أنه أول من استخدم السفن المقيرة(٣) والمسمرة(٤)، ومن هنا يدرك الباحث أن الحجاج كان لديه مؤسسة عسكرية متكاملة ومتطورة.

---

(١)- زيدان(جرجي): تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ج١، ص١٦٩؛ طه(عبد الواحد ذنون): العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٢٨.

(٢)- ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج٢، ص٥٠؛ الحصري(أبو إسحاق علي بن إبراهيم القيرواني ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م): جمع الجواهر في الملح والنوادر، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط٢، بيروت، (د.ت)، ص٨٤؛ طه: العراق في عهد الحجاج، ص١٢٩.

(٣)– المقيرة: المطلية بالشحم أو الدهن أو القار. ابن منظور: لسان العرب، ٣، ص٢٧٣؛ الزبيدي: تاج العروس من جواهر العروس، ج٨، ص٣٤١.

(٤)- الجاحظ(أبو عثمان عمر بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): البيان والتبيين، تح: فوزي عطوي، دار صعب، ط١، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج١، ص٣٦٤؛ ابن رسته: الأعلاق النفيسة، مج٧، ص١٩٥– ١٩٦؛ أبي هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م): الأوائل، تح: محمد السيد الوكيل، دار البشير، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٣١٧؛ زيادة: الحجاج بن يوسف، ص١٢٦؛ عبادة(عبد الفتاح): سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها، مطبعة الهلال، مصر، ١٣٣٢هـ/١٩١٣م، ص٢٢.

لقد أراد الحجاج أن يجهز الحملة بشكل جيد، فلم يغفل عن أي مشكلة قد تواجه الجيش في بلاد السند والهند، ومما يلفت انتباه أي باحث في التاريخ، هو قيام الحجاج بتزويد الحملة بالقطن المنقوع بالخل، ومن ثم تجفيفه في الظل، لكي يتم الاستفادة منه في السند والهند، وذلك عن طريق نقع القطن بالماء، وبذلك يحصلون مجدداً على الخل(١)، ويبدو أن الغاية من ذلك أن يتم استخدامه في تعقيم جروح المقاتلين، بالإضافة إلى استخدامه في الطعام، حيث أن الحملة سارت بمحاذاة سواحل شبه القارة الهندية، ومن هنا يمكن أن يكون جزء من طعام الجيش يعتمد على السمك، حيث يتم نقع السمك بالخل(٢)، كما يمكن أن يتم استخدام الخل في نقع لحوم المواشي أو الطيور بعد ذبحها، وقد عرف هذا النوع من الأكل عند المسلمين بالمصوص(٣)، وبالتالي فإن استخدامات الخل كثيرة في الطعام، ولاسيما أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قال في حديثه الشريف: "نعم الإدام(٤) الخل، اللهم بارك في الخل، فإنه كان إدام الأنبياء قبلي، ولم يفتقر بيت فيه خل"(٥).

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٢- ٦١٣؛ البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، ص٤٨؛ شاهين(حمدى): الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، (د.ت)، ص٢٤٨- ٢٤٩؛ الفقي(عصام الدين عبد الرؤوف): بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص٩؛ قطب(محمد علي): أبطال الفتح الإسلامي، دار الدعوة، ط١، الإسكندرية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٦٦؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١٠٥.

(٢)- القالي(أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م): الإتباع، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص٧٩.

(٣)- الهروي(أبو سهل محمد بن علي بن محمد ت ٤٣٣هـ/١٠٤١م): إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، الجامعة الإسلامية، ط١، المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١، ص٣٥١؛ الفيروز آبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٦٣١.

(٤)- ما يؤكل مع الخبز، أي شيء كان. ابن الأثير(أبو السعادات المبارك الجزري ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م): النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، ط١، الدمام، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٣٠.

(٥)- ابن حنبل: المسند، ج٣، ص٣٥٣؛ ابن ماجه(أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م): =

كما جهز الحجاج الحملة بالخيوط والمسال والإبر(١)، ولم يذكر أي مصدر سبب ذلك، ولكن يبدو أنه تم استخدامها لأمور الخياطة، ولكن هل استخدمت الإبر والمسال لأغراض عسكرية؟ كأن يتم توجيهها إلى أعين الفيلة التي يتسلح بها الجيش السندي باستخدام طريقة ما؟ وهو ما لا يمكن استبعاده.

بالإضافة إلى ذلك فقد تم تجهيز الحملة بأدوات الحصار، ولاسيما السلالم، والمنجنيقات، حيث اشتهر أحد المنجنيقات باسم العروس، ونظراً لضخامته كان يقوم عليه أكثر من خمسمئة مقاتل من المسلمين(٢)، ومن هنا يتبين للباحث أن مدن السند كانت في معظمها محاطة بأسوار عالية، كما يتبين أن الحجاج قام بدراسة بلاد السند والهند بشكل أفضل من كل الحملات العسكرية السالفة، ويبدو أن هذه الدراسة شملت كل القدرات العسكرية للعدو، سواءً من حيث التحصينات، أو الأسلحة، أو تضاريس المنطقة بشكل عام، مما يدل على امتلاك الدولة الأموية جهاز استطلاع متطور.

= سنن ابن ماجه، مكتبة أبي المعاطي، (د.م)، (د.ت)، ج٤، ص٤٣٣؛ أبو داود(سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م): سنن أبي داود، تح: محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ج٣، ص٤٢٤؛ الترمذي: الجامع الصحيح، ج٤، ص٢٧٨؛ أبي يعلى(أحمد بن علي بن المثنى ت ٣٠٧هـ/٩١٩م): مسند أبي يعلى، تح: حسن سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٣، ص٤٦٩؛ البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، ح١٠، ص٦٢.

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٣؛ الكوفي: فتح السند، ص٩٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٠؛ الأحمد(ناصر بن محمد بن عبد الله): حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية وأثرهما في الدعوة إلى الله تعالى وانتشار الإسلام، أطروحة دكتوراه منشورة، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٢٢٤؛ خطاب: الهند قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، ص٩٦؛ الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص٩.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٤؛ الكوفي: فتح السند، ص١٠٤؛ الأحمد: حركة الجهاد والفتح الإسلامي، ص٢٢٤؛ الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٣٤؛ خطاب: الهند قبل الفتح الإسلامي، ص٩٧؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٦٠.

كما أن الحجاج قام بتجهيز الحملة بعدد كبير من الأسلحة الفردية، ولاسيما السيوف والرماح والسهام، الأمر الذي يوحي بوجود صناعة عسكرية متقدمة في العراق والشام في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث شملت الصناعات الحربية كل ما تحتاجه القوات البرية والبحرية من أسلحة وعتاد وأدوات حصار، بالإضافة إلى ذلك ونتيجة علمه بوجود الأفيال في الجيش السندي، فقد أمر بصنع عدد كبير من رؤوس السباع لإرهاب الفيلة(١).

ونظراً لوجود الصحارى الواسعة التي سيعبرها الجيش الإسلامي للوصول إلى السند والهند، فقد أمر الحجاج بتأمين ثلاثة آلاف جمل وتسييرهم مع الحملة، بحيث يتم تخصيص جمل لكل أربعة مقاتلين، ليضعوا أحمالهم عليه(٢)، وبالتالي ومن خلال ذلك يمكن الاستدلال أن عدد المقاتلين بلغ اثني عشر ألف مقاتل، من ضمنهم ستة آلاف مقاتل شامي.

من خلال هذا الاستعراض لتجهيزات الحملة، يدرك الباحث أن الدولة الأموية سخرت جزءاً لا يستهان به من ميزانيتها، للإنفاق على الحملة، فإضافة إلى الجيش البري، جهز الحجاج حملة بحرية، وكان لهذه الحملة هدفين، الأول يتمثل بالمشاركة بالعمليات العسكرية في حصار بعض المدن الساحلية في السند والهند، أما الهدف الثاني فتمثل بوضع كل الآلات الحربية الثقيلة وأدوات الحصار على متن هذه السفن(٣)، ولاسيما المنجنيقات، مما سهل حركة الجيش البري، الذي كان سيعاني كثيراً في ظل وجود تجهيزات عسكرية ثقيلة، وانتشار صحارى واسعة في طريقه.

يبدو أن التنسيق كان على أعلى مستوى بين الحجاج في العراق، والخليفة الوليد في مركز الدولة الأموية بدمشق، وربما استعانوا بكبار المستشارين العسكريين في العاصمة، لتجهيز الحملة على أكمل وجه، سواءً على الصعيد البشري، أو من ناحية العدة والعتاد، ولا يستبعد تجنيد جواسيس هنود، ولاسيما من الطبقات المضطهدة في تلك البلاد، بالإضافة إلى فرق الاستطلاع الإسلامية التي كانت تنشط انطلاقاً من إقليم مكران، فضلاً عن الاستفادة من المقاتلين الذين كان لهم تجارب سالفة في المعارك الكثيرة للمسلمين في السند والهند.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٩٧.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٩٨؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٥٩.

(٣)- Tripati(sils): The Indian ocean in the seventh and eighth centuries, Maritime contacts of the past, Delhi,1435 A.d/2014 A.m, p41.

رابعاً- انطلاق حملة محمد بن القاسم الثقفي ٩٢هـ/٧١٠م:

١- خروج الحملة من العراق ووصولها إلى السند ٩٢هـ/٧١٠م:

اختلف المؤرخون حول تاريخ انطلاق حملة محمد بن القاسم إلى السند والهند، فالطبري ومن خلال ذكره أن مقتل داهر ملك السند حصل في عام ٩٠هـ/٧٠٨م(١)، فأنه حدد تاريخ انطلاق الحملة في عام ٨٩هـ/٧٠٧م، وقد وافق ابن الأثير(٢) الطبري فيما ذهب إليه في هذا الشأن، وكلا المؤرخين من أعمدة التاريخ العربي والإسلامي.

بينما ذكر مؤرخون آخرون ومنهم خليفة بن خياط، واليعقوبي، والكوفي أن الحملة انطلقت في عام ٩٢هـ/٧١٠م(٣)، وبالتالي هناك حوالي ثلاث سنوات بين ما ذكره المؤرخون الثلاثة من جهة، وما ذكره الطبري وابن الأثير من جهة أخرى، وأمام ذلك لا يستطيع الباحث أن يعطي رأياً حاسماً حول تاريخ انطلاق حملة محمد بن القاسم، نظراً لاختلاف كبار المؤرخين حول ذلك، ولكن وبالاستناد إلى بعض الوقائع التاريخية التي يجمع عليها كافة المؤرخين تقريباً، يمكن للباحث الموضوعي أن يتوصل وبشكل تقريبي إلى العام الذي انطلقت فيه الحملة.

إن أول ما يمكن أن يستند عليه الباحث هو وفاة الحجاج في عام ٩٥هـ/٧١٣م، حيث من المعلوم أن الحجاج لم يمت حتى فتحت بلاد السند، وبالتالي هل يمكن أن تستمر حملة السند والهند لمدة ست سنوات؟ إن وقائع الحملة لا تشير إلى ذلك، حيث أن قوة الجيش الإسلامي، وقوة تجهيزاته جعلت المدن في تلك البلاد تسقط الواحدة تلو الأخرى، ومن هنا فإن التاريخ الأقرب للتصديق هو عام ٩٢هـ/٧١٠م، بالإضافة إلى ذلك فإن ضخامة التجهيزات التي عمل الحجاج على توفيرها لهذه الحملة من جهة، والدراسة الشاملة التي قام بها الحجاج لبلاد السند والهند من جهة أخرى، لابد وأنها احتاجت إلى الكثير من الوقت قبل انطلاق الحملة، وبالتالي يمكن القول

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٣، ص٦٨١.

(٢)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٠.

(٣)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٠٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١١؛ الكوفي: فتح السند، ص٩٨.

إن الطبري وابن الأثير قد وقعا في وهم.

كان محمد بن القاسم على رأس الجيش البري، وهو القائد العام لهذه الحملة، بينما كانت الحملة البحرية بقيادة خريم بن عمرو المري(١) وابن المغيرة(٢)، وقد كانت أوامر الحجاج واضحة بالتقاء الحملتين عند مدينة الديبل، ولكن الحجاج أمر محمد بن القاسم أن ينتظر في شيراز(٣) حتى يكتمل وصول المقاتلين الشاميين، ومن هنا يمكن للباحث أن يستنتج بأن التنسيق كان على أعلى مستوى، وأن القائد الفعلي لهذه الحملة هو الحجاج بن يوسف، كما يمكن القول أن الحملة البحرية تأخرت قليلاً ريثما ينطلق محمد بن القاسم من شيراز باتجاه مكران، ومنها إلى الديبل.

وصل محمد بن القاسم إلى مكران، وقد استقبله والي مكران محمد بن هارون، ولم يطل به المقام في مكران سوى أيامٍ معدودةٍ(٤)، وانطلق منها باتجاه الديبل، ولكن كان عليه أن يفتح عدة مدن في الطريق إلى الديبل، وأول هذه المدن قنزبور(٥)، التي لم يواجه صعوبة في السيطرة عليها، ومن ثم تابع زحفه باتجاه أرمائيل(٦)، وعند هذه المدينة توفي والي مكران محمد بن هارون، حيث دفن بالقرب منها في مدينة قنبل(٧)، ولم تصمد مدينة أرمائيل أمام جيش محمد بن القاسم، حيث

---

(١)- هو خريم بن عمرو من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، وكان يلقب بخريم الناعم. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص٦٠٩؛ ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٥٢٤.

(٢)- لم يتم الوقوف على ترجمة لهما في كتب التراجم، ولكن تم ذكرهما عند الكوفي: فتح السند، ص٩٧.

(٣)- قصبة فارس، تقع في الجنوب الشرقي من بلاد فارس. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٤٠٥؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٠؛ القزويني: آثار البلاد، ص٢١٠.

(٤)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٧٦.

(٥)- أكبر مدن ولاية مكران. اليعقوبي: البلدان، ص٦٥.

(٦)- وتسمى أرمئيل أيضاً، مدينة كبيرة بين مكران والديبل، تبعد نصف فرسخ عن البحر. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٥٩.

(٧)- مدينة كبيرة بالقرب من مدينة أرمائيل، وتتوسط الطريق بين الديبل ومكران، وتبعد عن البحر حوالي نصف فرسخ. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٨١.

دخلها الجيش الإسلامي، وبدأ بالتحضير للذهاب باتجاه الديبل(١).

٢- فتح الديبل:

قبل التطرق إلى قضية الفتح العسكري للديبل، لابد من الإشارة إلى مسألة غاية في الأهمية، وهي قضية المراسلات بين الحجاج في العراق من جهة، ومحمد بن القاسم قائد حملة السند والهند من جهة أخرى، حيث تشير الروايات التاريخية إلى أن المراسلات بين الرجلين كانت قائمة على قدم وساق كل ثلاثة أيام(٢)، وذلك على الرغم من بعد المسافة بين بلاد السند والهند والعراق، وصعوبة الطريق بين المنطقتين، وهذا يدل على أن الحجاج كان المشرف الحقيقي على هذه الحملة، بل يمكن القول أن لمسات الحجاج واضحة في كل تفاصيلها، كما يدل على امتلاك الدولة الأموية جهاز بريد متطور، حيث اقتبس الأمويون نظام البريد من البيزنطيين وطوروه، وعملوا على إحداث محطات للفرسان والخيول على مسافات متساوية، لإيصال البريد بأقصر وقت(٣).

وقبل انطلاق محمد بن القاسم إلى أطراف الديبل وصلته رسالة من الحجاج، حيث تضمنت هذه الرسالة بعض الوصايا لمحمد، وأبرزها حفر خندق في أطراف الديبل بعرض اثني عشر ذراعاً، وبعمق ستة أذرع(٤)، الأمر الذي يدل على تجهيز الجيش بأدوات لحفر الخنادق، مما يؤكد من جديد على شمولية الدراسة التي قام بها الحجاج عن السند والهند، وعدم نسيان أي تفصيل مهما كان صغيراً قد يعيق سير الحملة، وقد يتساءل المرء عن سبب أوامر الحجاج بحفر الخنادق؟ والإجابة يجدها الباحث في متن الرسالة، حيث يقول الحجاج: " لتكون ملاذاً وحمايةً لكم"، وبالتالي يستطيع المرء أن يحكم على الحجاج بأنه قائد ومخطط عسكري من طراز رفيع، لأنه لم يترك أية

---

(١)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٠٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٣.

(٢)- شلبي(أحمد): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة، ط٧، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج٥، ص٤٠؛ العدوي(أحمد إبراهيم): الأمويون والبيزنطيون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص٢٣٨؛ علي(رويده): أسس النظام الإداري في العصر الأموي، مجلة البعث، العدد: ٣٦، حمص، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، مج: ٣٩، ص٤٩.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ج٦١٤.

(٤)- الكوفي: فتح السند، ص١٠٠.

فرضية دون أن يضع الحل المناسب لها.

كان يحكم مدينة نيرون جيسيه بن داهر، وعندما علم بقدوم حملة محمد بن القاسم، قام بمراسلة والده داهر، واستشاره في كيفية التعامل مع الحملة، فما كان من داهر إلى أن استدعى مستشاريه، بالإضافة إلى العلافيين الذين كانوا قد لجؤوا إليه، واستشارهم في أمر حملة محمد بن القاسم وكيفية مواجهتها، فكان رأي العلافيين بأن هذه الحملة مجهزة بشكل جيد، وأنها تضم خيرة المقاتلين الشاميين، وبالتالي لا قبل للجيش السندي المتمركز في الديبل في مواجهة هذه الحملة، ومن هنا فقد أصدر داهر أمراً إلى ابنه جيسيه بعدم الخروج من المدينة لمواجهة محمد(١)، ويبدو أن داهر قد راهن على قوة أسوار مدينة الديبل، وتوقع أن المسلمين سوف يملون من حصار المدينة، ويرحلون دون تحقيق أي هدف.

أما على الجبهة الأخرى فقد نظم محمد بن القاسم جيشه بشكل جيد، ووضع على ميسرة الجيش موسى بن سنان بن سلمة الهذلي(٢)، وعلى الميمنة عطية بن سعد العوفي(٣)، وجعل على مؤخرة الجيش جهم بن زحر الجعفي(٤)، وعلى المقدمة محمد بن مصعب بن عبد الرحمن(٥)، وكان محمد في قلب الجيش على رأس ثلة من المقاتلين.

كما أن الحملة البحرية وصلت إلى شواطئ الديبل، وتم البدء بنقل التجهيزات العسكرية الثقيلة من السفن، وتزويد الجيش البري بها، ولاسيما أدوات حفر الخنادق، والمنجنيقات الضخمة، بالإضافة إلى مخازن الأسلحة، وما يحتاجه الجيش من مؤونة.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٠١.

(٢)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم، ولكن ورد ذكره عند الكوفي: فتح السند، ص١٠١.

(٣)- هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي، وهو من التابعين، توفي في عام ١١١هـ/٧٢٩م، ولكن لم يتم أي ذكر لمشاركته في فتوحات السند في ترجمته. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٣٢٥؛ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٢٤؛ الأدنروي(أحمد بن محمد): طبقات المفسرين، مكتبة العلوم والحكم، ط١، (د.م)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص١٣؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص١٤٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٣٧.

(٤)- وهو من الشجعان الأشراف، وتوفي عام ١٠٢هـ/٧٢٠م. الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٤١.

(٥)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم، ولكن تم ذكره عند الكوفي: فتح السند، ص١٠١.

لقد كانت رسائل الحجاج ترد تباعاً إلى محمد بن القاسم، وفي إحداها أمر بنصب منجنيق العروس إلى الشرق من مدينة الديبل، وهناك خلاف بين المؤرخين حول مدة الحصار، فالكوفي ذكر أن الحصار لم يستمر سوى عدة أيام(١)، بينما ذكر اليعقوبي أن الحصار استمر عدة أشهر(٢)، وهنا ليس أمام الباحث إلا أن يقوم بالتحليل والاستنتاج، حيث يبدو أن المدينة استعصت على الجيش الإسلامي، الأمر الذي اضطر الحجاج إلى البحث عن أساليب جديدة في الهجوم على المدينة، ويمكن القول أن الحجاج عمل على دراسة الحالة الاجتماعية والدينية في السند والهند، وكذلك قضية اهتمام الهنود بالفلك وإيمانهم العميق بالمنجمين، حيث من المعلوم أن المنجمين كان لديهم مكانة كبيرة بين كل فئات الشعب الهندي(٣).

كما سنحت له الفرصة للتعرف على معتقدات سكان المدينة بشكل أكثر دقة، عندما خرج أحد المنجمين من المدينة ولجأ إلى محمد بن القاسم، وأخبره بأنه إذا ما استطاع أن يضرب راية المعبد في المدينة، فإن ذلك سيكون له أثر نفسي كبير على معنويات أهل المدينة، حيث كان في مدينة الديبل معبد كبير، في وسطه عامود من الخشب ارتفاعه أربعون ذراعاً، وفي نهايته راية كبيرة(٤)، وقد كانت الراية حمراء اللون(٥)، ومن هنا يستطيع الباحث من خلال ما تم عرضه، أن يستدل على أن معظم سكان مدينة الديبل كانوا من البوذيين، وذلك لأن راية المعبد كانت حمراء، واللون الأحمر له رمزية كبيرة في الديانة البوذية(٦).

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٠٥.

(٢)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١١.

(٣)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص٢٢٠.

(٤)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١١؛ الكوفي: فتح السند، ص١٠٣- ١٠٤.

(٥)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٠.

(٦)- لفنسون(كلود ب): البوذية، تر: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٧٧.

بعد ذلك استدعى محمد بن القاسم قائد القوات المسؤولة عن المنجنيق، واسمه جعونة السلمي(١)، وطلب منه أن يقوم بضرب عامود المعبد وإنزال رايته، ووعده بأنه في حال نجح في ذلك فسيعطيه عشرة آلاف درهم مكافأة له، وقد استطاع جعونة تنفيذ مهمته بدقة شديدة، حيث سدد حجارة منجنيق العروس إلى الهدف بنجاح، ويبدو أن ذلك ترك أثراً سلبياً على المقاتلين في المدينة، فاستغل المسلمون ذلك، ونصبوا السلالم على أسوار المدينة(٢)، وبالتالي بدأت مقاومة المقاتلين في المدينة تنهار.

تختلف المصادر التاريخية بعد ذلك في ذكر كيفية دخول المسلمين إلى المدينة، فقد ذكر الكوفي أن أهالي مدينة الديبل قاموا بفتح الأبواب للمسلمين(٣)، بينما اتفق اليعقوبي، والبلاذري، وابن الأثير على أن المسلمين استطاعوا اقتحام المدينة عنوة(٤)، وأمام اختلاف الروايات التاريخية لا يستطيع الباحث أن يعطي رأياً قاطعاً في طريقة دخول المسلمين إلى المدينة، ولكن بنظرة إجمالية لحصار الديبل، يمكن للمرء أن يدرك أن أهالي الديبل لم يعد لديهم أي أمل بمقاومة حصار المسلمين لهم، في ظل قوة الجيش العربي الإسلامي من جهة، وعدم إرسال داهر أية مساعدة لهم من جهة أخرى، كما أن الاختلاف في العقيدة بين غالبية سكان المدينة، ووواليها من قبل داهر، قد شغل دوراً حاسماً في تفكك صفوف المدافعين عن المدينة، وميلهم إلى الاستسلام.

بالإضافة إلى ذلك فإن الحجاج عمل على استغلال اعتقادهم وإيمانهم بما يقوله المنجمون، وهنا لا يستبعد الباحث قيام الحجاج بالاستعانة ببعض المنجمين الهنود، للتصريح بآراء تصب في صالح المسلمين، ومن هذه الآراء ما ذكره الكوفي من أن المنجمين قالوا: "ورد في كتب التنجيم الهندية، أنه في حال تم هدم راية المعبد فإن المدينة ستسقط"(٥).

---

(١)- من معاصري التابعين، لم ترد له إلا ترجمة مقتضبة عند المباركبوري: العقد الثمين، ص١٦٢.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٢.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١٠٤.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٠.

(٥)- الكوفي: فتح السند، ص١٠٤.

بعد دخول الجيش الإسلامي إلى المدينة، قام محمد بن القاسم بقتل حامية المدينة، ولكنه عامل أهل المدينة معاملة حسنة(١)، عكست مبادئ الدين الإسلامي وسماحته، كما أن الحجاج ومحمد بن القاسم كانا يعملان على استراتيجية واضحة، تقضي بكسب الطبقات المستضعفة في السند والهند، ومن المعلوم أن البوذيين كانوا من أشد الفئات اضطهاداً في تلك البلاد، بالإضافة إلى فئة المنبوذين من الهندوس، وبالتالي لا يمكن استبعاد فرضية الاستفادة من الفئات المستضعفة في العمليات العسكرية التي تلت فتح مدينة الديبل، ولاسيما أن محمد بن القاسم قدم لهم نموذجاً مثالياً في التعامل الإنساني القائم على قواعد أخلاقية لم يشهد تاريخ الفاتحين لها مثيلاً، ومن هنا فقد رأت تلك الفئات الفارق الكبير بين معاملة البراهمة العنصرية، وبين معاملة المسلمين.

هناك روايات تتحدث عن أن محمد بن القاسم الثقفي استطاع إطلاق الأسرى المسلمين من النساء اللواتي اختطفن من قبل قراصنة الديبل، وأن محمد قتل عدداً من هؤلاء المجرمين(٢)، ولكن هذا يصح في حالة صحة رواية اختطاف النساء في الأصل، ولكن قد يكون هناك أسرى مسلمون في مدينة الديبل، تم أسرهم في الحملات التي شنها المسلمون في فترات سالفة، وهو أمر لا يمكن استبعاده.

كانت استراتيجية الحجاج ومحمد بن القاسم تقوم على تنظيم الأمور الإدارية في أي مدينة يتم فتحها قبل الانتقال إلى منطقة أخرى، ومن هنا وبعد أن هرب حاكم الديبل إلى جيسيه بن داهر حاكم نيرون، أصدر محمد بن القاسم قراراً بتعيين وداع بن حميد البحري(٣) عاملاً على مدينة الديبل، وأمره بإنشاء دواوين لتنظيم أمور المدينة، ولاسيما الأمور المالية، وبعد ذلك اختط محمد ابن القاسم مسجداً(٤)، ولابد أنه بنى داراً للإمارة في المدينة.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٠٨؛ أبو خليل(شوقي): فتح الديبل بقيادة محمد بن القاسم الثقفي، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص٥٣.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص١٠٧.

(٣)- من معاصري التابعين، وردت له ترجمة مقتضبة عند المباركبوري: العقد الثمين، ص١٥٦.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٤؛ الكوفي: فتح السند، ص١٠٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٠؛ صالح(غازي فيصل): مدينة الديبل ودورها في التاريخ الإسلامي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد: ١٥، العراق، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م، مج: ٤، ص٦٤٦.

بالإضافة إلى ذلك لابد أن محمد بن القاسم عمل على تأمين التجارة في ساحل المدينة، بحيث تصبح مدينة الديبل محطة رئيسة للتجارة العربية الإسلامية من وإلى سواحل شبه الجزيرة العربية والعراق باتجاه شبه القارة الهندية ذهاباً وإياباً، وبالتالي فإن الحالة الاقتصادية لمدينة الديبل عادت لتزدهر من جديد.

لقد عمل محمد بن القاسم على إنشاء محكمة لرد المظالم بعد فتح مدينة الديبل، وقام بتعويض الفلاحين والتجار عن كل ضرر أصابهم من جراء حصار المدينة(١)، في صورة تعكس أخلاق هذا القائد العظيم، وهذا أكبر دليل وبرهان على أن العرب والمسلمين كانوا أرحم وأعدل الفاتحين عبر التاريخ، وأن كل المحاولات في إثارة الشائعات التي تسيء لسمعتهم، لم ولن تنجح في تزييف تاريخهم الناصع، وبالتالي فقد ابتعد عدد من المستشرقين عن الحقيقة، عندما أطلقوا أحكاماً قاسية على الفتح الإسلامي للسند والهند، ومنهم ديورانت عندما قال: "لعل الفتح الإسلامي للهند أن يكون أكثر قصص التاريخ تلطخاً بالدماء"(٢)، إن الوقائع التاريخية التي تم عرضها من خلال فتح مدينة الديبل، تثبت أن هذا الحكم الذي أطلقه ديورانت، ومن ذهب مذهبه، يقوم على مغالطات تاريخية كبيرة، وهو بعيد كل البعد عن الموضوعية التي يجب أن يتصف بها أي مؤرخ، وستثبت كل مراحل فتح هذه البلاد زيف ما ذهبوا إليه.

ولابد من الإشارة في هذا السياق، إلى أنه ولأول مرة في تاريخ السند، أو في إحدى المدن التابعة لهذا الإقليم، يسمح لأي إنسان باعتناق الدين الإسلامي دون التعرض له بالأذى، وعلى الرغم من أن المصادر لم تذكر أية إحصائية لنسبة دخول الهنود في هذه المدينة في الإسلام، إلا أن الفاتحين المسلمين لابد وأنهم تركوا أثراً إيجابياً في نفوس سكان المدينة، ومثلوا الإسلام خير تمثيل، فكانوا دعاةً للدين الإسلامي بسلوكهم لا بخطبهم، ومن هنا يمكن القول أن الحملة تم تدعيمها بالعنصر البشري وبأعداد كبيرة من فئات الشعب الهندي، العارفين بكل تضاريس بلادهم، وهم يحملون في نفوسهم الكره والحقد على البراهمة، الذين اضطهدوهم وظلموهم، وأساؤوا إليهم ولعقائدهم.

---

(١)- أبو خليل: فتح الديبل، ص١٠٨- ١٠٩.

(٢)- ديورانت: قصة الحضارة، ج٣، ص١٢٥.

إن ما يميز فتح مدينة الديبل أيضاً، اشتراك الأسطول البحري الإسلامي في حصار المدينة، وهو ما لم يحصل في أي مكان آخر في الجبهة الشرقية للدولة الأموية، كل ذلك يجعل الباحث يذهب إلى القول أن الدولة الأموية ساهمت في الحفاظ على الطرق التجارية العالمية، وشغلت دوراً بارزاً في محاربة القراصنة، الذين أثروا سلباً على تجارة الشرق بشكل عام، وبالتالي فإن هزيمتهم أمام الجيش العربي الإسلامي في الديبل انعكس خيراً على كل شعوب المنطقة، وذلك نظراً لندرة المنتجات الشرقية التي تحتاجها كل مناطق العالم، ولاسيما تلك التي تزرع في شبه القارة الهندية، وأبرزها التوابل والأعشاب الطبية، كل ذلك يسهم في تصحيح صورة الدولة الأموية التي شوهها بعض أعدائها في عصور تاريخية مختلفة، ومن خلال ذلك يجب العمل على إعادة النظر في كل الروايات التي تسيء إلى العصر الأموي ورجالاته بشكل عام، ودراستها بشكل أقرب إلى الموضوعية التاريخية.

لقد ترك سقوط مدينة الديبل أثراً كبيراً على مملكة السند، حيث حرمها من أكبر ميناء تجاري على بحر العرب، ومن هنا لابد أن محمد بن القاسم الثقفي قد قام بإرسال قوات للسيطرة على الميناء الآخر لمملكة السند، وهو ميناء بريريكم، الواقع على حوض نهر السند، وذلك لكي يحرم المملكة من بوابتها البحرية، وما لذلك من آثار كارثية على الحياة الاقتصادية في البلاد، ولكن يبقى ذلك ضمن دائرة التحليل والاستنتاج.

بعد تنظيم الأمور في مدينة الديبل، أصبحت هذه المدينة القاعدة التي تنطلق منها الجيوش الإسلامية لفتح بقية مناطق السند والهند، ولا يستبعد أن الإمدادات للجيش الإسلامي بدأت تصل عن طريق ميناء المدينة، وبالتالي فإن خطوط الإمداد أصبحت أكثر سهولة من الإمدادات البرية التي كانت ستمر في صحراء مكران، ومن هنا يمكن أن يفهم المرء سبب البدء بفتوحات السند والهند من مدينة الديبل.

٣- فتح نيرون:

كانت مدينة النيرون الهدف التالي لمحمد بن القاسم الثقفي بعد مدينة الديبل، ومن المعلوم أن هذه المدينة كان يحكمها جيسيه بن داهر، وعندما علم داهر بتوجه محمد إلى النيرون، قام بإرسال رسالة إلى ابنه جيسيه، طالبه من خلالها بضرورة عبور نهر السند، والانسحاب إلى مدينة برهمناباد، وأن يعين حاكماً من قبله على النيرون، وطالبه بأن يوصيه بالدفاع عن المدينة بكل قوة(١)، معتمداً على قوة الجيش المرابط في المدينة، بالإضافة إلى أسوار المدينة القوية، ولكن يمكن القول أن طلب داهر من ابنه جيسيه الانسحاب إلى برهمناباد، وجعل نهر السند حاجزاً بينه وبين المسلمين، مؤشراً ودليلاً على أن داهر بدأ يخاف من قوة الجيش الإسلامي، وبالتالي فقد نجح محمد بن القاسم في الحرب النفسية ضد داهر في السند، ومن هنا يفهم الباحث سبب عدم حدوث أي مواجهة برية بين الطرفين إلى ما بعد وصول الجيش الإسلامي إلى مدينة نيرون، حيث استخدم الجيش السندي استراتيجية التمترس خلف الأسوار، أو الانسحاب إلى ما وراء نهر السند، ولكنَّ المسلمين حطموا كل الحواجز، ولم يستطع أي عائق أن يقف في طريق تحقيق هدفهم الأكبر وهو فتح السند والهند بالكامل.

كان نهر السند يصلح للملاحة إلى مسافات بعيدة عن الساحل، وبالتالي تستطيع السفن الدخول إلى داخل مملكة السند(٢)، ومن هنا فقد استغل محمد بن القاسم الثقفي هذا الأمر، وقام بنقل المعدات العسكرية الضخمة من خلال السفن، وبالتالي فقد بدأ حصار الجيش الإسلامي لمدينة النيرون.

وفي أثناء ذلك بدأت المراسلات بين محمد بن القاسم وداهر، والبداية كانت من طرف داهر، حيث أرسل داهر رسالة إلى محمد بن القاسم تضمنت تهديداً ووعيداً للجيش الإسلامي، كما قلل من أهمية انتصار المسلمين في الديبل، مدعياً أنها مدينة تجارية وليست حصناً عسكرياً، وبالتالي فإنه إذا ما أعطى أوامره إلى ابنه جيسيه بمهاجمة المسلمين، فإن النتيجة ستكون فناء الجيش

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٠٨- ١٠٩.

(٢)- حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٤٠.

الإسلامي عن بكرة أبيه، نظراً لقوة وصلابة السنديين في القتال، كما هدد المسلمون من خلال هذه الرسالة بسلاح لم يعهدوه من قبل، وهو استخدام السنديين للفيلة في القتال، وحذره بأن مصيره لن يكون أفضل من مصير بديل بن طهفة البجلي(١).

وهنا كان لابد لمحمد بن القاسم من الرد على عنجهية داهر، فطلب من المترجمين أن يكتبوا له رسالة الرد، والتي تضمنت عدة أمور هامة، فقد بدأها بتذكير داهر بأنه جاء للثأر للمسلمين من المعاندين والمتمردين، كما أنه لم ينسَ أن يبدي استخفافه بقوة الفيلة، مظهراً اعتزازه بالفروسية العربية، عندما قال: "وخيل الله وفرسانها هم المنصورون"، وقد أنهى محمد بن القاسم رسالته متوعداً داهر بقوله: "ولسوف أقهرك وأهزمك أينما واجهتك بعون الله تعالى، وسأبعث برأسك بمشيئة الله إلى العراق، أو أضحي بروحي في سبيل الله"(٢).

يلاحظ الباحث من خلال الرسائل المتبادلة بين داهر، ومحمد بن القاسم، أن كل طرف حاول شن حرب نفسية على الطرف الآخر، من خلال استعراض ما يملكه من مقاتلين وأسلحة، وبأن الطرف الآخر لن يستطيع مجاراتها، ولكن لابد من القول أن محمد بن القاسم قد انتصر في هذه الحرب، وذلك عندما هدد داهر برسالته بأن هدفه إما النصر وفتح السند والهند، أو الشهادة في سبيل الله تعالى، وهذه صورة مصغرة عن عقيدة المسلمين الأوائل في القتال، الأمر الذي افتقده معظم أعدائهم.

في هذه الأثناء وصلت رسالة جديدة من الحجاج إلى محمد بن القاسم، ذكر فيها الحجاج بأن بلاد السند والهند كاملةً ستكون من نصيب محمد بن القاسم، ودعاه إلى الاهتمام بأمور الجيش، وأن يعمل على تأمين أفضل أنواع الطعام والشراب للمقاتلين، ومن جهة أخرى طالبه باستمالة قلوب سكان السند والهند دون استثناء، وأن يمنح الآمان لمن يطلبه، بالإضافة إلى ذلك فقد حثه على الاهتمام بالشؤون الاقتصادية في المناطق المفتوحة(٣).

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٠٩- ١١٠.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص١١١- ١١٢؛ أبو خليل: فتح الديبل، ص٥٨- ٥٩.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١١٣.

يتبين لأي باحث في التاريخ من خلال رسالة الحجاج إلى محمد بن القاسم، أن العرب والمسلمين كانوا أصحاب حضارة، حيث عملوا على استيعاب كل الشعوب، وقاموا بإعمار المناطق التي فتحوها، وأن دعوتهم إلى الإسلام إنما كانت دعوة سلمية، وهذا ما أثبتته مجريات الأحداث في السند حتى وصول المسلمين إلى النيرون، وسيتبين أن هذا النهج استمر حتى فتح تلك البلاد بأكملها.

هناك قضية أخرى تلفت انتباه أي مؤرخ أو باحث، وهي أن الجيش العربي المسلم وصل في ستة أيام إلى مدينة النيرون، على الرغم من أنها تبعد عن مدينة الديبل ما يقارب الخمسة والعشرين فرسخاً من جهة(١)، والعدد الكبير لجيش المسلمين من جهة أخرى، بالإضافة إلى الأسلحة الثقيلة التي كانت بحوزة الجيش، كما أن السفن التابعة للحملة الإسلامية كانت تسير بعكس سير النهر، إن كل ذلك يدل على الحرفية العالية لمحمد بن القاسم، كما تدل على أن جنود هذه الحملة كانوا من قوات النخبة، ممن تلقوا تدريبات عالية في الشام، ولذلك لا يستغرب المرء الفتوحات الإسلامية العظيمة في العصر الأموي في كل الجبهات بشكل عام، ولاسيما جبهة السند والهند بشكل خاص.

وكما فعل المسلمون في الديبل، عملوا على فرض حصار على مدينة النيرون، ولكن حاكم المدينة اتخذ قراراً جريئاً وقام بإرسال مبعوثين من قبله إلى محمد بن القاسم لتسليم المدينة للمسلمين(٢)، ويبدو أن قوة الجيش الإسلامي من جهة، والمعاملة الإنسانية التي عامل بها المسلمون سكان مدينة الديبل من جهة أخرى، ربما كانت من أبرز الأسباب التي جعلت حاكم مدينة النيرون يجنح إلى تسليم المدينة إلى محمد بن القاسم.

اتبع محمد بن القاسم وبأوامر واضحة من الحجاج، استراتيجية واضحة في معاملة رجال الدين من كل الطوائف، ومن كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية، معاملة خاصة وكريمة، وهذا ما جاء في صريح الرسالة التي أرسلها الحجاج إلى محمد بن القاسم قبل دخوله إلى المدينة حيث قال له:

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١١٣؛ أبو خليل: فتح الديبل، ص٦٠.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص١١٤.

"ومن انضم إليك من علية القوم فأكرمه واحترم مكانته ومنزلته"(١)، لقد تأسى الحجاج في هذه القضية بالرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، في تعامله مع زعماء قريش أثناء فتح مكة.

هناك عدة أسئلة تدور في خلد أي باحث حول قضية فتح حاكم النيرون أبواب مدينته للمسلمين، وفي ظل غياب المصادر التاريخية ليس أمام الباحث إلا القيام بعمل مقارنات واستنتاجات تفضي إلى معرفة أقرب الروايات إلى الحقيقة التاريخية، ومن أبرز الأسئلة هل استعان محمد بالمنجمين على غرار مدينة الديبل؟ لا يستطيع الباحث استبعاد ذلك، نظراً للثقة العمياء للهنود بهؤلاء المنجمين، ومن هنا فإن أي حديث من قبل المنجمين يوحي بأن المدينة سوف تفتح على يد شخص اسمه محمد، فإن ذلك لابد أن يترك أثراً كبيراً في نفوس الهنود، وبالتالي يجنحون إلى تسليم المدينة.

القضية الأخرى والتي تثير التساؤلات، هي لماذا لم يواجه داهر المسلمين بكامل جيشه، لمنعهم من السيطرة على مدينتي الديبل، والنيرون؟ وإذا كانت الأولى مدينة ساحلية، فالأخيرة مدينة تقع في داخل مملكة السند، ومن وجهة نظر متواضعة يمكن القول أن داهر كان يهدف إلى توريط المسلمين في الدخول إلى عمق الأراضي السندية، وبالتالي فإن ذلك سيصعب عليهم قضية الإمدادات، وربما كان يريد أن يتعرف أكثر على حملة محمد بن القاسم، وخاصة نوعية المقاتلين الشاميين، والأسلحة التي يستخدمونها، ولاسيما المنجنيقات وأبرزها منجنيق العروس، وذلك من خلال جواسيسه المنتشرين في طول البلاد وعرضها، وبالتالي فإنه كان يدرك أن هذه الحملة تختلف عن سابقاتها من الحملات الإسلامية التي جاءت إلى السند والهند، ولذلك لابد من التعامل معها باستراتيجية قتالية مختلفة، والتخطيط لمواجهتها بشكل أكثر تنظيماً، ولاسيما بعد أن سمع عن قوة هذه الحملة.

إن المسلمين استطاعوا أن يتغلبوا على مشكلة طول خطوط الإمداد، وتأمين ما يلزم الجيش من مواد غذائية، من خلال اتباعهم استرتيجية تطوير المدن التي يقومون بفتحها، وإنعاش

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١١٥.

الحياة الاقتصادية فيها، وبالتالي فإن الحصول على ما يحتاجه الجيش من غذاء يصبح عملية في متناول اليد، بالإضافة إلى ذلك فإن الحجاج كان لا يتوقف عن إرسال كل ما يلزم هذه الحملة من إمدادات عسكرية وغذائية.

إن ما حصل من عملية فتح مدينتي الديبل ونيرون، هو أكبر شاهد ودليل تاريخي لا يرقى إليه الشك، بأن المسلمين كانوا رسل سلام وحضارة إلى بلاد السند والهند، ويظهر ذلك في كل تفاصيل هذه الحملة، سواءً من المعاملة الإنسانية والحضارية لسكان المدينتين من جهة، أو من خلال تطوير هاتين المدينتين في جميع المجالات من جهة أخرى.

٤- فتح سيوستان(١):

كان يحكم حصن سيوستان بجهرا بن جندر بن سيلانج، وبالتالي فهو ابن عم داهر بن جج بن سيلانج، وعلى عادة الأمير محمد بن القاسم في حملته على السند والهند أمر بحصار المدينة، ومن ثم بدأ بتجهيز المنجنيقات، وهنا يتحدث الكوفي عن وجود معارضة قوية في المدينة ضد بجهرا، حيث طالبوه بتسليم المدينة أسوة بما قامت به مدينتي الديبل، والنيرون(٢)، ويبدو أن هذه المعارضة كانت من طرف البوذيين، كما أن أصداء المعاملة الحضارية لسكان المدن المفتوحة في السند من قبل المسلمين قد وصل إلى سيوستان، وبدأت تترك أثراً كبيراً في نفوس أهالي مختلف المدن.

لقد أصر بجهرا على عدم تسليم المدينة، وبدأ بتحضير الجيش لقتال المسلمين، وأمام ذلك لم يكن أمام محمد بن القاسم إلا البدء بضرب المدينة بالمنجنيقات، ويبدو أن بجهرا رأى قوة المسلمين، وعظمة أسلحتهم ولاسيما المنجنيقات من جهة، ولمس انفضاض أهالي مدينة سيوستان

---

(١)- وتسمى سدوستان أيضاً، وهي مدينة كبيرة في السند، وتقع غربي نهر مهران، في منطقة يغلب عليها الطابع الصحراوي، وتبعد عن مدينة المولتان مسير عشرة أيام. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٧٩؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٠١؛ ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٧٦٩؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٢، ص٤٠٥.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص١١٨.

من حوله من جهة أخرى، وبالتالي فقد اتخذ قراره بالهرب من المدينة واللجوء إلى منطقة البودهيه(١)، ودخل المسلمون إلى المدينة، وعلى عادتهم في كل ميادين القتال في السند، فقد وفى المسلمون بعهودهم لأهالي المدينة، وعملوا على تنظيم شؤون المدينة، وانطلق محمد بن القاسم بعد ذلك لفتح حصن سيويس(٢).

٥- فتح سيويس:

كان يحكم هذا الحصن وما حوله حاكم اسمه كاكه كوتك، وكان من أشراف المدينة(٣)، ويبدو أن النسيج الاجتماعي والديني في هذه المدينة كان يشبه كثيراً ذلك النسيج في جميع المدن الواقعة غربي نهر السند، حيث كان هناك أغلبية بوذية تحكمها أقلية من طائفة الهندوس، أو تم وضع حاكم بوذي بشكل صوري، وحوله مجموعة من القادة العسكريين الهندوس، وأمام سقوط العديد من المدن والحصون بيد المسلمين غربي نهر السند، وما وصل إلى مسامع أهالي مدينة سيويس من إنجازات المسلمين الحضارية في المدن المفتوحة، سواءً على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي، فإن المهمة لم تكن سهلة أمام حاكم المدينة، وخاصة إذا ما أضيف إليها قوة المسلمين.

هناك رواية يوردها الكوفي يستطيع الباحث أن يفهم من خلالها مدى استعانة المسلمين بالمنجمين في بلاد السند، حيث أن حاكم المدينة دخل في سجال مع مستشاريه حول تسليم المدينة للمسلمين من عدمه، فكان رأي الهندوس المتعصبين، أنه يجب علينا أن نقاتل بكل قوة، وأن نرد المسلمين على أعقابهم، لكن حاكم المدينة رد على ذلك بأن المنجمين أخبروه أن المدينة ستسقط بيد الجيش الإسلامي(٤)، وهنا لابد للباحث أن يقف مطولاً أمام هذه الوقائع التي تكررت في معظم

---

(١)- وتسمى البدهة أيضا، وتقع غربي نهر السند، وهي منطقة كبيرة بين مكران والمولتان، وتضم عدة مدن. الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٧٦؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٩؛ ابن عبد الحق البغداي: مراصد الاطلاع، ج١، ص١٧١؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص١٧٦.

(٢)- لم يتم الوقوف على موقع هذا الحصن، ولكنه يقع في منطقة البدهة، وورد ذكره عند الكوفي: فتح السند، ص١٢٠.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١٢٠.

(٤)- المصدر نفسه: ص١٢٠.

المدن التي تم فتحها غربي نهر السند، حيث يبدو أن الدراسة التي قام بها الحجاج بن يوسف الثقفي لبلاد السند والهند، قد شملت جميع النواحي بما فيها الدينية والاجتماعية والنفسية لسكان البلاد، بالإضافة إلى اهتمام الهنود وإيمانهم العميق بما يقوله المنجمون، وليس هناك أفضل من الحجاج ليستغل هذه النقطة، ويعمل على إدراجها ضمن استراتيجية الفتح الإسلامي لتلك البلاد إلى جانب الناحية العسكرية.

ولكن صوت الحرب غلب على بقية الأصوات، حيث رأى أحد القادة العسكريين الكبار في المدينة واسمه بهيمن، أنه بالإمكان الانتصار على الجيش الإسلامي، وطلب من حاكم المدينة السماح له ولمجموعة من المقاتلين بالخروج من المدينة لمواجهة المسلمين، ووعده بتحقيق نصر كبير عليهم، فخرج في الليل على رأس ألف مقاتل مجهزين بكافة أنواع الأسلحة من سيوف ورماح ودروع، وقسمهم إلى مقدمة ومؤخرة وميمنة وميسرة، ولكن ما حصل أن هذا الجيش تاه عن بعضه البعض، ووجد نفسه في الصباح أمام أبواب المدينة، فدخلوا إلى المدينة وأخبروا حاكم المدينة بما حصل معهم، وبالتالي فقد ازداد إيمان حاكم المدينة بما نقله له المنجمون، فقرر أن يذهب بنفسه إلى محمد بن القاسم(١).

إن قضية تيه الجيش السندي قد يكون لها أبعاد أخرى، فلا يمكن لأبناء المنطقة أن يتوهوا في بلادهم، وبالتالي ربما حصل اتفاق بين حاكم المدينة وبعض القادة في هذا الجيش للوصول إلى هذه النتيجة، لأن موقف حاكم المدينة بدا واضحاً أنه لا يريد القتال، ويريد فتح أبواب المدينة للمسلمين، ولكن وجود المقاتلين الهندوس في المدينة منعه من فعل ذلك، كما أن المقاتلين الذين هربوا من بقية المدن المفتوحة قد لجؤوا إلى مدينة سيويس، وهم من الهندوس المتعصبين، الذين كانوا يتمتعون بكافة الامتيازات قبل الفتح، ولذلك لن يسلموا المدينة للمسلمين بهذه السهولة، الأمر الذي جعل حاكم المدينة يعرض كلام المنجمين على القادة العسكريين، وعندما أخفق في ذلك، قام بهذه الخدعة بالاتفاق مع بعض القادة، ولا يستبعد أن يكون قد تواصل مع محمد بن القاسم لضمان إحباط هجوم المقاتلين الهندوس، وبالتالي ربما انسحب الجيش الإسلامي قليلاً عن المدينة، فرجع المهاجمون يجرون أذيال الخيبة والهزيمة، وبالتالي ظهر صدق المنجمين بالنسبة لعامة الناس في المدينة.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٢٠- ١٢١.

بعد ذلك خرج حاكم المدينة مع مجموعة من الأعيان والرهبان البوذيين إلى محمد بن القاسم الثقفي، فاستقبله أعظم استقبال وقام بتكريمه، ومما يلفت نظر المرء أن محمد بن القاسم سأل كاكه عن مراسم التشريف لديهم، لكي يعظمه بين قومه أكبر تعظيم(١)، وهذا يدل على حنكة محمد بن القاسم، وحسن سياسته وإدارته للبلاد والعباد، وقدرته الفائقة على استقطاب جميع فئات الشعب في السند والهند، سواءً من العامة، أو ممن تمتع بمكانة اجتماعية أو سياسية أو دينية مميزة، وهي ميزة لا يتمتع بها إلا القادة العظماء، وما أكثرهم في التاريخ العربي والإسلامي.

أما ما تبقى من المقاتلين الهندوس المتعصبين، ومن لف لفهم من الهاربين من بقية المدن والحصون السندية التي فتحها المسلمون، فقد تمترسوا خلف أسوار حصن سيويس، وكان منهم بجهرا بن جندر ابن عم داهر، مما حدا بالأمير محمد بن القاسم إلى إرسال ثلة من المقاتلين المسلمين لمحاصرة الحصن، وبرفقتهم كاكه كوتك، ولم يطل الأمر بالمسلمين أكثر من يومين حتى فتحوا المدينة، وانهزم المقاتلون السنديون إلى حصن بهطلور(٢)، وتبعه جيش المسلمين، وعندما أدركوا أنهم منهزمون لا محالة، قاموا بتسليم الحصن، وطلبوا الأمان عن أنفسهم من محمد بن القاسم، حيث استجاب لطلبهم.

ويتساءل المرء عن سبب تسليم بجهرا بن جندر نفسه وبقية المقاتلين إلى محمد بن القاسم، وعدم العبور إلى الضفة الأخرى من نهر السند حيث الملك داهر، وهنا يشير الكوفي إلى وجود خلافات بين جندر وابن عمه داهر كانت تحول دون ذلك(٣)، وبالتالي هل كانت مناطق شمال السند والواقعة غربي نهر السند خارجة عن سيطرة داهر؟ وأنه كان يحكم مدينة الديبل والنيرون غربي نهر السند فقط؟ إن الباحث لا يستطيع أن يستبعد تلك الفرضية، فهناك عدة دلائل أخرى تشير إلى ذلك، وأولها اتجاه سير حملة السند، بحيث أن محمد فتح المناطق الواقعة غرب نهر السند، وتتطرف في السير بجيشه إلى الشمال، تاركاً داهر مع جيشه في الجنوب على الضفة

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٢٢.

(٢)- لم يتم الوقوف على موقع هذا الحصن في كتب الجغرافيا والبلدان، ولكن الكوفي ذكر بأنه يقع بين سالوج وقندابيل، الكوفي: فتح السند، ص١٢٢.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١٢٢.

الأخرى للنهر في مدينة برهمناباد، بالإضافة إلى ذلك فإن داهر لم يقدم أي دعم عسكري أو غيره للمناطق الشمالية الواقعة غرب نهر السند، كما أن المناطق الشمالية الواقعة تحت سيطرة بجهرا، لم تقدم الدعم لمدينتي الديبل والنيرون أثناء حصار المسلمين لتلك المدينتين، وبالتالي يمكن القول أن مملكة السند لم تكن موحدة بكامل جغرافيتها تحت سلطة سياسية واحدة، بل كان هناك صراع داخل الأسرة الحاكمة طرفاه بجهرا، وداهر، مع الفارق الكبير في القوة والإمكانات ومساحة الأراضي التي يسيطر عليها كل طرف، فالكفة كانت تميل بشكل واضح لصالح الملك داهر وابنه جيسيه في كل المجالات.

بعد ذلك وصلت رسالة من الحجاج إلى محمد بن القاسم، طالبه من خلالها بالعودة إلى النيرون في الجنوب، وتجهيز الجيش للعبور إلى الضفة الشرقية لنهر السند لمواجهة داهر، فقام محمد بن القاسم بتنظيم الأمور في منطقة البدهة، وتعيين وداع بن حميد البحري، وعبد الملك بن قيس بن الجارود كمندوبين عنه في هذه المنطقة، وما فيها من مدن وحصون، وتوجه إلى النيرون مع بقية الجيش(١).

٦- فتح أشبهار(٢):

بعد وصول الجيش الإسلامي إلى النيرون، أراد محمد بن القاسم قبل عبوره إلى الضفة الأخرى من النهر، أن يطمئن إلى أن كل الحصون والمدن الواقعة غربي نهر السند أصبحت تحت سيطرة المسلمين، وهنا رأى أنه لم يبقَ خارج سيطرة المسلمين إلا حصن أشبهار، فقرر أن يتوجه بنفسه على رأس مجموعة من المقاتلين لفتح هذا الحصن، والقضاء على آخر معاقل السنديين غربي نهر السند(٣).

ويتساءل المرء عن سبب بقاء هذا الحصن خارج سيطرة المسلمين، حيث يبدو أن هذا الحصن كان صغيراً حتى تركه محمد بن القاسم خلفه وتوجه شمالاً، أو أن أهالي الحصن أعلنوا

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٢٣.

(٢)- لم يتم الوقوف على موقع هذا الحصن في كتب الجغرافيا والبلدان، ولكن تم ذكرها عند الكوفي، ويبدو أنه كان يقع إلى الجنوب من النيرون. الكوفي: فتح السند، ص١٣١- ١٣٢.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١٣١- ١٣٢.

عصيانهم بعد أن تجمع في الحصن عدد من المقاتلين السنديين الرافضين للدخول تحت طاعة المسلمين، لكن إذا ما دقق الباحث في سير الحملة، فإنه يصل إلى نتيجة مفادها أن حصن أشبهار وقع بأيدي المسلمين، ولكنه عاد وسقط في أيدي بعض المقاتلين السنديين الذين هربوا من مختلف المدن والحصون السندية، وتجمعوا في هذا الحصن.

لقد قام المقاتلون في حصن أشبهار بحفر الخنادق حول الحصن، وعملوا على تخزين كميات كبيرة من المواد الغذائية والمؤن المختلفة، كما راحوا يعملون على استقطاب ما استطاعوا من المقاتلين من المناطق المجاورة، لكن محمد بن القاسم أمر بفرض حصار على الحصن، وضرب أسواره بالمنجنيقات، فكان النصر حليف المسلمين، حيث لم تستطع أسوار الحصن أن تصمد أكثر من أسبوع واحد أمام ضربات المنجنيقات التي كانت بحوزة الجيش الإسلامي، وعندها أدرك المقاتلون السنديون أن مقاومتهم لن تجدي أمام قوة الجيش الإسلامي، فقرروا طلب الأمان من محمد بن القاسم، الذي أجابهم إلى طلبهم، فدخل جيش المسلمين إلى الحصن، وعلى عادة محمد بن القاسم عمل على تنظيم شؤونه المختلفة، ولبث مدة في الحصن، وبعد ذلك توجه إلى شواطئ نهر السند لكي يجهز الجيش لعبور النهر، ومن ثم البدء بفتح المناطق الشرقية لنهر السند(١).

ما يلفت انتباه أي باحث هو عدم تطرق أي مؤرخ عدا الكوفي، لفتح الجيش الإسلامي للمدن السندية الواقعة إلى الشمال من مدينة النيرون، باستثناء بعض الإشارات عند البلاذري، واليعقوبي، وابن الأثير، حيث ذكروا أن محمد بن القاسم بعد فتحه للنيرون، جعل لا يمر بمدينة إلا وفتحها، حتى عبر نهر مهران(٢)، ولذلك يمكن القول أن الكوفي هو المصدر التاريخي الوحيد للفتوحات الإسلامية للمناطق الشمالية، والشمالية الغربية غربي نهر السند، وربما تظهر مخطوطات جديدة تؤكد أو تضيف على ما رواه الكوفي.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٣١- ١٣٢.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٥؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٠.

الفصل الخامس: عبور حملة محمد بن القاسم نهر السند وفتح المناطق الشرقية:

أولاً- المفاوضات والحرب الباردة بين محمد بن القاسم وداهر:

ثانياً- عبور الجيش الإسلامي لنهر السند:

ثالثاً- معركة الضفة الشرقية لنهر السند ٩٣هـ/٧١٢م:

رابعاً- فتح حصن راور ٩٣هـ/٧١٢م:

خامساً- فتح برهمناباد ٩٤هـ/٧١٣م:

سادساً- فتح العاصمة أرور ٩٥هـ/٧١٣م:

سابعاً- فتح الملتان ٩٥هـ/٧١٣م:

ثامناً- فتح الكيرج ٩٥هـ/٧١٣م:

تاسعاً- توقف حملة محمد بن القاسم ٩٦هـ/٧١٤م:

عاشراً- وجهة نظر في موت الخليفة الوليد والحجاج:

أولاً- المفاوضات والحرب الباردة بين محمد بن القاسم وداهر:

على عادة محمد بن القاسم عند إقدامه على أي خطوة جديدة، فإنه كان يعمل على وضع الحجاج بصورة الأوضاع في السند والهند، ومن هنا فقد أرسل إليه رسالة جديدة، أخبره خلالها بأنه أصبح على الضفة الغربية لنهر السند، بعد أن ضم معظم المدن والحصون الواقعة غرب النهر، وأصبحت تحت السيطرة الكاملة للمسلمين، ولكن ما يلفت انتباه أي باحث هي إشارة محمد في رسالته إلى الحجاج، إلى وجود جزيرة صغيرة في نهر السند اسمها كشها(١)، وتتبع لأحد أتباع داهر واسمه راسل بن بساية، حيث يضيق حولها مجرى النهر، ويبدو أن محمد بن القاسم أراد من خلال ذكر هذه الجزيرة، الاقتراح على الحجاج بأن يتم عبور الجيش الإسلامي إلى الضفة الشرقية من هذه النقطة، وبالتالي فهو أعلن جهوزية الجيش لعبور النهر، منتظراً أوامر الحجاج للانطلاق، وتحديد الزمان والمكان المناسبين.

لقد رد الحجاج على رسالة محمد، برسالة مليئة بالحكم والوصايا النابعة من خبرته العميقة على الصعيد السياسي والعسكري، والتي تدل بشكل لا يرقى إليه الشك بأن هذا الرجل كان يمتلك خبرة عظيمة في مجال قيادة الجيوش وإدارة الولايات، وأنه تعرض في مراحل تاريخية متعددة إلى تشويه متعمد، وبالتالي يجب على المؤرخين والباحثين أن يعيدوا دراسة شخصيته بصورة موضوعية، تعطيه حقه في أنه أحد أبطال التاريخ الإسلامي، فقد ذكر في رسالته لمحمد أنه يجب عليه أن يتحلى بأربعة أمور: أولها المداراة والمسامحة والمواساة، والأمر الثاني: بذل المال والعطاء، والأمر الثالث: الرأي الصواب في معارضة الخصوم، ومعرفة مزاج الأعداء، والأمر الرابع: المهابة والشهامة والقوة، كما طلب منه أن يعطي الأمان لكل من يريد الانضمام إلى المسلمين، بالإضافة إلى تأكيده بأن لا يجبر أحداً من المسلمين على عبور نهر السند، وألا يترك الفرصة لداهر لكي يعبر النهر، وأن يكون المسلمون هم العابرون لما لذلك من أثر نفسي على جيش داهر، وذلك

---

(١)- لم يتم الوقوف على موضعها بالتحديد من نهر السند، وقد وردت باسم قشة عند البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٥؛ كما وردت باسم كوشة عند ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣١٨؛ ولكنها وردت باسم كشها عند الكوفي: فتح السند، ص١٢٦.

بعد أن يختار مكاناً مناسباً لعبور النهر(١).

لقد استطاع محمد بن القاسم أن يكسب عدداً من حكام مدن السند والهند إلى جانبه، وبالتالي فقد سعى من خلالهم إلى استقطاب بعض ولاة المناطق التابعين لداهر إلى جانبه، وكان أبرز هؤلاء موكه بن بساية، وهو أخو راسل حاكم جزيرة كشها، وهناك أمر يلفت انتباه أي باحث، ويتمثل بطريقة انضمام موكه إلى صفوف المسلمين، حيث خاف موكه من أن يلحق بأسرته العار، فقام بخدعة بالاتفاق مع محمد بن القاسم، وأوقع نفسه في كمين متفق عليه مع المسلمين(٢)، ويبدو أن هذه الحالة قد حصلت في عدة مدن وحصون في غرب نهر السند، وستتكرر في قادم الأيام في شرقي النهر، ومن هنا يمكن القول أن جبهة الجيش السندي بدأت تتعرض للخلل والتصدع، كما أن انضمام موكه إلى صفوف المسلمين كان له أثرٌ كبيرٌ في سير المعارك بين المسلمين وجيش داهر، نظراً لما يملكه من معلومات حول أفضل الأماكن لعبور نهر السند، وما يمتلكه جيش داهر من مقاتلين وتجهيزات عسكرية، بالإضافة إلى التعرف على أبرز الحصون والمدن الواقعة شرقي النهر.

بعد ذلك أرسل محمد بن القاسم وفداً مكوناً من رجلين إلى داهر، أحدهم من القادة الشاميين، والثاني من رجال السند الذين اعتنقوا الإسلام، ولابد أن محمد بن القاسم حمل هذا الوفد رسالة مفادها دعوة الملك داهر إلى الإسلام، أو دفع الجزية والسماح بنشر الإسلام على أراضي مملكته، وإلا فإن الجيش الإسلامي سيقوم بالمهمة على أكمل وجه، وكان جواب داهر بأنه مستعد للحرب، وإذا ما أراد محمد بن القاسم أن يعبر النهر فليعبر، وإلا فإن جيشه سيعبر النهر لمواجهة المسلمين(٣).

بعد ذلك بدأ التجهيز للمعركة الكبرى من قبل الطرفين، فقام داهر بجمع مستشاريه الكبار، بالإضافة إلى العلافيين العرب، وحضور كبار المنجمين لاستبيان رأيهم، فكان رأي وزيره سياكر بأن يسمح للجيش الإسلامي بعبور النهر، بحيث تصبح مسألة إمدادات الجيش الإسلامي أكثر صعوبة، بينما قدم محمد العلافي استشارة تدل على حنكته ودهائه من جهة، ومعرفته بالعقيدة

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٢٧- ١٢٨.

(٢)- المصدر نفسه: ص١٣٥.

(٣)- المصدر نفسه: ص١٣٨.

القتالية التي يمتلكها المقاتل المسلم من جهة أخرى، فقد عارض رأي الوزير، وارتأى أن لا يسمح للمسلمين بعبور النهر، والتضييق عليهم اقتصادياً، من خلال ضرب طرق إمداد الجيش البحرية والبرية(١).

على الرغم من ذكر الكوفي بأن داهر أعلن عدم قبوله لرأي محمد العلافي، بحجة أن عدم السماح للمسلمين بعبور النهر، سوف يعطي انطباعاً لدى الجميع بأن قواته ضعيفة(٢)، إلا أن ما حدث من مجريات فيما بعد تؤكد بأن داهر أخذ بنصيحة محمد العلافي، حيث عمل على إثارة المتاعب للجيش الإسلامي في غرب نهر السند، فقد دخل مجموعة من المقاتلين السنديين إلى حصن سيوستان وسيطروا عليه، كما عانى المسلمون من نقص شديد في المؤن، بالإضافة إلى ذلك فقد أصيبت الخيول العربية بمرض الجذام(٣)، ويبدو أن كل ذلك كان بتخطيط وتدبير من داهر.

وهنا كان لابد لمحمد بن القاسم من اتخاذ إجراءات حاسمة وسريعة للرد على التهديدات والمخاطر التي استجدت، فقام بإرسال محمد بن مصعب بن عبد الرحمن على رأس ثلاثة آلاف مقاتل، منهم حوالي ألف فارس، وقد استطاع طرد المقاتلين السنديين، وأعاد الحصن إلى السيطرة الإسلامية، كما أرسل محمد بن القاسم رسالة إلى الحجاج، ليعلمه بما حدث من تطورات خطيرة للجيش الإسلامي في السند، طالباً منه إرسال المؤونة والخيول العربية، وهنا يورد الكوفي رواية مفادها أن رسول محمد التقى في طريقه إلى العراق مع رسول آخر للحجاج، كان قد بعثه خلسة لكي ينقل إليه أخبار حملة السند والهند بعيداً عن معرفة محمد بن القاسم(٤)، وبالتالي فإن الحجاج لم يكتفِ بما كان يرسله إليه محمد من تقارير عن الحملة كل ثلاثة أيام، بل كان له رجاله ورسله الذين كانوا ينقلون إليه كل تفاصيل الحملة، ومن هنا لا يستغرب الباحث قيام محمد بن القاسم عندما كان يواجه أي مشكلة، بمراسلة الحجاج لكي يساعده في إيجاد الحل المناسب، حيث كان

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٣٨.

(٢)- المصدر نفسه، ص١٣٨.

(٣)- علة تعفن الأعضاء. الأزهري: تهذيب اللغة، ج١١، ص١٥؛ الثعالبي(عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت ٤٣٠هـ/٩٥١م): فقه اللغة وأسرار العربية، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط٢، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٦٨.

(٤)- الكوفي: فتح السند، ص١٤٥.

الحجاج مطلعاً على مجريات الأمور من محمد بن القاسم من جهة، ومن رسله من جهة أخرى، ولابد أن يكون هؤلاء الرجال من الذين تلقوا تدريبات خاصة في العراق والشام، ولا يستبعد أن يكون الحجاج قد استعان برجال من السند والهند في بعض عمليات التجسس، مما يؤكد مرة أخرى على امتلاك الحجاج لجهاز استطلاع متطور وشديد التعقيد.

على صعيد آخر حاول محمد بن القاسم أن يوجه عدة ضربات إلى داهر قبل البدء بالمعركة الكبرى، فبالإضافة إلى انضمام موكه بن بساية إلى جانب المسلمين، فقد استطاع أن يكسب راسل الحاكم الفعلي لجزيرة كشها إلى جانبه والقتال في صفوف المسلمين(١)، أما طريقة انضمامه إلى المسلمين فلا تختلف عن الطريقة التي طبقت مع أخيه موكة، ولابد أن يكون لموكة يد في انضمام أخيه إلى جانب المسلمين، ومما شجع راسل على هذه الخطوة المكانة المرموقة التي تمتع بها أخوه موكة عند محمد بن القاسم، وبالتالي فإن طريقة انضمامه للمسلمين قد تؤيد فكرة اتفاقه مع محمد بن القاسم قبل عبور الجيش الإسلامي للضفة الأخرى.

كما قام محمد بعدة إجراءات عسكرية احترازية، ولكنها مهمة جداً قبل الانتقال إلى الضفة الأخرى للنهر، فقد تم تكليف سليمان بن نبهان القشيري(٢) على رأس ستة آلاف مقاتل، بهدف أن يعسكروا بحصن بغرور(٣)، والغاية من ذلك إشغال قوفي بن داهر حاكم حصن أرور، ومنعه من مساعدة والده داهر عند نشوب المعركة الكبرى بينه وبين المسلمين، ومن جهة أخرى كلف عطية ابن ثعلبية(٤) على رأس عدد من المقاتلين لحماية بعض الطرق البرية، وذلك من أجل حماية ظهر المسلمين أثناء عبورهم للنهر، والعمل على تأمين الإمدادات العسكرية والمؤن الغذائية للجيش الإسلامي.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٦٢- ١٦٣.

(٢)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم، ولكن ورد ذكره عند الكوفي: فتح السند، ص١٥١.

(٣)- يقع على الضفة الغربية لنهر السند، مقابل حصن أرور الواقع على الضفة الأخرى. الكوفي: فتح السند، ص١٥١؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٧٩.

(٤)- من الشخصيات العسكرية المرموقة في العصر الأموي. مؤلف مجهول: العيون والحدائق وأخبار الحقائق، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت)، ج٣، ص١٦٤- ١٦٥.

ثانياً- عبور الجيش الإسلامي لنهر السند:

بعد التشاور بين محمد بن القاسم والحجاج، تم تعيين مكان وزمان عبور الجيش لنهر السند، ومن خلال ما ذكره البلاذري، والكوفي، وابن الأثير، يتبين للباحث بأن الجيش الإسلامي اجتاز نهر السند عبر جزيرة كشها(١)، حيث يظهر من إحدى رسائل محمد إلى الحجاج، أن راسل كان يميل إلى المسلمين(٢)، وهذا يعزز فرضية إجراء اتصالات بين راسل ومحمد بن القاسم قبيل عبور الجيش الإسلامي للنهر، ومن هنا فإن اختيار المكان كان لأمرين، الأول ضيق النهر من هذا الموقع، بالإضافة إلى أن حاكم هذه المنطقة كان يريد الانضمام إلى المسلمين، ولذلك ومن خلال قراءة خريطة السند والهند، يمكن للمرء القول أن عبور المسلمين للنهر، كان تقريباً بمنطقة تتوسط راور(٣) على الضفة الشرقية، والنيرون على الضفة الأخرى.

أما بالنسبة لزمان عبور الجيش الإسلامي للنهر، فقد عمل محمد بن القاسم على خداع داهر وقادته في عبور النهر(٤)، وبالتالي ربما قام الجيش الإسلامي بعدة محاولات وهمية للعبور، ويبدو أن الغاية من ذلك كان إنهاك الكتائب المرابطة على الضفة الشرقية، والتي كلفها داهر بمهمة محددة وهي منع المسلمين من عبور النهر، بالإضافة إلى أن هذه المحاولات أدت إلى إضفاء نوع من عدم الجدية لدى جنود داهر، الأمر الذي سيساعد المسلمين عند القيام بالعبور الحقيقي إلى الضفة الأخرى.

كان المسلمون على مر التاريخ أقدر في الحرب على أرض صلبة، وبالتالي يبدو أن محمد ابن القاسم قد سار على هذه القاعدة، فعمل على جمع السفن في نهر السند وربطها ببعضها البعض، تمهيداً لعبور النهر للضفة الأخرى، في صورة تشبه إلى حد ما لما حصل في معركة

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٥؛ الكوفي: فتح السند، ص١٥٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١؛ الحسني: نزهة الخواطر، ج١، ص١٠.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص١٢٦.

(٣)- بتكرير الراء وفتح الواو، مدينة كبيرة في السند. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٩؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج٢، ص٥٩٨.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٥.

الجسر(١) أثناء فتوح العراق، ولكن وأثناء ربط السفن كان المسلمون يتعرضون لهجمات خاطفة من جنود داهر، ولذلك فقد أمر محمد بسحب المراكب إلى الضفة الغربية للنهر، ومن ثم القيام بجمعها قبل أن يتم إعادتها إلى النهر على شكل قوس على قياس عرض النهر(٢)، بحيث يقاتل فوقها المسلمون وكأنهم على اليابسة، ويحققون هدفهم الأساسي وهو العبور إلى الضفة الأخرى بأقل الخسائر، ويبدو أن المسلمين استفادوا من الأسطول البحري الذي رافق الحملة، بالإضافة إلى مساعدة حكام المناطق السنديّة الذين انضموا إلى المسلمين، في تأمين الأخشاب والمراكب اللازمة للعبور.

وكانت الخطة تقتضي بتكليف مجموعة من المقاتلين المسلمين، والذين كانوا في طليعة العابرين إلى الضفة الأخرى، برمي جنود داهر بوابل من السهام والرماح، وذلك بهدف تغطية بقية المقاتلين العابرين، وقد تفاجأ جنود داهر بالتكتيك الذي اتبعه المسلمون في عبورهم للنهر، ولم يستطيعوا ردهم، ومنعهم من النزول على الضفة الشرقية للنهر، وبالتالي أصبح المسلمون موجودين على الضفة الشرقية لنهر السند للمرة الأولى في تاريخهم، حيث بدأت كتائب الجيش الإسلامي تعبر الواحدة تلو الأخرى، وبعد ذلك تم تنظيم الجيش والتحضير للمعركة الفاصلة مع داهر، والذي تفاجأ بدوره من قدرة المسلمين على عبور النهر بهذه السهولة، حيث ذكر الكوفي أنه لم يستشهد من الجيش الإسلامي أثناء عبور النهر سوى رجل واحد(٣).

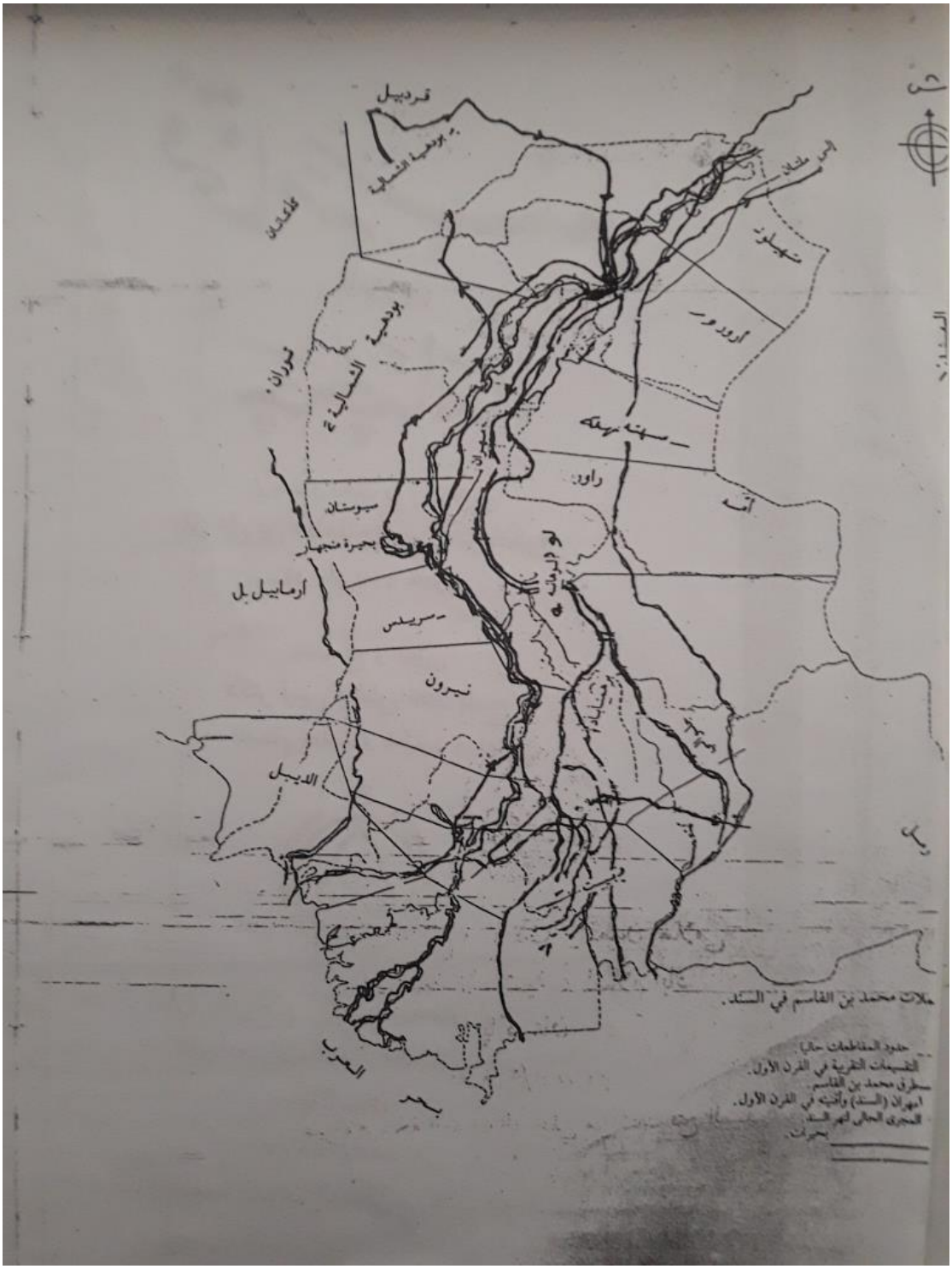
إن قضية عبور المسلمين لنهر السند، على الرغم من كل التحضيرات التي قام بها داهر على الضفة الشرقية، تدل مرة جديدة على امتلاك الحجاج ومحمد بن القاسم قدرة كبيرة بقيادة الجيوش بكافة المظاهر التضاريسية، وعلى اختلاف أشكال المناخ، إن وجود مثل هؤلاء القادة في العصر الأموي، يجعل المرء لا يستغرب في قدرة هذه الدولة على ضم مساحات هائلة من الأراضي شرقاً وغرباً إلى نفوذها.

---

(١)- حصلت هذه المعركة في عهد عمر بن الخطاب عام ١٣هـ/٦٣٤م، وانتهت بانتصار الفرس على المسلمين، وكان أبو عبيد الثقفي قد أمر بنصب جسر عل نهر الفرات للعبور إلى الضفة الأخرى. ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص١٣٣- ١٣٤؛ المقدسي: البدء والتأريخ، ج٥، ص١٦٩.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص١٥٤.

(٣)- المصدر نفسه: ص١٥٦.



خريطة تمثل توزع المدن والحصون في إقليم السند، وطريق سير حملة محمد بن القاسم، الكوفي: فتح السند، ص٢.

ثالثاً- معركة الضفة الشرقية لنهر السند ٩٣هـ/٧١٢م:

بعد العبور الناجح للمسلمين لنهر السند، أدرك داهر أن المواجهة الحاسمة مع المسلمين أصبحت حتمية، ولكنه تلقى الصدمة الأولى في اليوم الأول من المعركة، حيث انضم راسل مع عدد من جنوده إلى المسلمين(١)، ويبدو أن محمد بن القاسم ونتيجة اتفاقه السالف مع راسل، تقصد إبقائه في صفوف داهر حتى بداية المعركة الكبرى بين الطرفين، لتكون ضربة معنوية وعسكرية لجيش داهر.

وانطلاقاً من أن الكوفي ذكر بأن الحرب استمرت ستة أيام، وأن اليوم الأخير منها كان ١٠- رمضان ٩٣هـ/١٩- حزيران- ٧١٢م(٢)، فإن المعركة بدأت يوم ٥- رمضان- ٩٣هـ/١٤- حزيران- ٧١٢م، وبالتالي يبدو أن محمد أدرك أن فصل الصيف الحار قد بدأ، وبأن عليه حسم الأمور قبل شهري تموز وآب حيث ترتفع درجات الحرارة بشكل أكبر، الأمر الذي ينهك الجياد العربية.

أما البلاذري فقد ذكر بأن المعركة لم تستمر سوى يومٍ واحدٍ فقط، وأن داهر قتل في مساء ذلك اليوم، دون أن يعطي يوماً محدداً لبدء المعركة، على الرغم من اتفاقه مع الكوفي على أن المعركة جرت في عام ٩٣هـ/٧١٢م(٣)، وقد اتفق خليفة بن خياط وابن الأثير مع البلاذري فيما ذهب إليه(٤)، أما اليعقوبي فقد انفرد بذكر رواية مفادها أن المعارك بين المسلمين من جهة، وجيش داهر من جهة أخرى، استمرت بعد عبور المسلمين للنهر عدة أشهر، وانتهت بانتصار المسلمين ومقتل داهر(٥).

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٦٢- ١٦٣.

(٢)- المصدر نفسه، ص١٦٢- ١٦٨.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٥.

(٤)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٠٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١.

(٥)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢١٢.

من خلال ما تم ذكره من روايات يمكن القول أن المعركة استمرت عدة أيام، وأن إقدام داهر على قيادة الجيش بنفسه، سبقه عدة محاولات مخفقة لعدد من قادته للتصدي للمسلمين، وأبرزهم ابنه جيسيه، ومحمد العلافي، ولكن هزيمتهم أمام المسلمين جعلت داهر في موقف لا يحسد عليه، وبالتالي فقد ركب على فيله الضخم، واستدعى كافة قواته من الفرسان والمشاة تمهيداً للمعركة الحاسمة أمام المسلمين.

هناك قضية لابد للباحث من إعطائها الأهمية التي تستحقها، وهي مسألة استخدام جيش داهر للفيلة، والتي كانت غير متوفرة في الجيش الإسلامي، فقد أحدث وجود الفيلة تأثيراً كبيراً على المسلمين، ويبدو أن تأثيرها الأكبر كان على الفرسان، بحيث أن الخيول العربية خافت من الفيلة، ولم يعد باستطاعة الفرسان التحكم بحركتها، ومن المعلوم ما لسلاح الفرسان من أهمية كبيرة في المعارك التي خاضها المسلمون.

كان الهنود ماهرين في الاستفادة من الفيلة على الصعيد العسكري إلى أقصى درجة، فقد كان يتم ربط سيوف هندية معوجة في خراطيم الفيلة، بحيث تكون هذه السيوف حادة بشكل كبير، سيما أن الهنود كانوا مشهورين بصناعة السيوف القوية، وبالتالي فقد كانت الفيلة قادرة على ضرب وتقطيع كل ما يأتي في طريقها من المقاتلين والخيول، نظراً لما تمتلكه من قوة خارقة، إضافة إلى ارتفاعها، ولحماية الفيل فقد كان يتم تغطية خرطومه بصفائح من الحديد، بالإضافة إلى تغطية جسده بصفائح نحاسية(١)، ولابد أن داهر درب جنوده على قيادة الفيل والتحكم بتحركاته في المعركة، لأنه كان بحاجة إلى رجل متمرس وقادر على التعامل مع هذا الكائن العملاق، كما كان الهنود في عصور مختلفة يقومون بوضع قلاع خشبية على ظهر الفيل تتسع لما يقارب ستة عشر مقاتلاً(٢)، وبالتالي فإن هؤلاء المقاتلين يكونون في موقع أقدر على توجيه السهام والرماح إلى صدور خصومهم في المعارك.

---

(١)- المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٢٩؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج٢٠، ص٧٣؛ شفيقة: شبه القارة الهندية، ص٣١.

(٢)- بولو: رحلات ماركو بولو، ج٢، ص١٢٤.

أمام خطورة وجود الفيلة في جيش داهر، كان لابد لمحمد بن القاسم من تدارك الموقف، فعمل على ضرب وتحييد سلاح الفيلة، ولأجل هذا الهدف فقد استخدم المسلمون عدة طرق، وأولها محاولة رمي الفيلة بكتل النار(١)، ويبدو أنها كانت تصنع من القطن، والتي يتم تبليلها بالنفط قبل قذفها، ولا يستبعد الباحث أن يكون قد تم استخدام منجنيقات صغيرة لهذه الغاية، كما يمكن إرسال هذه الكتل النارية من خلال السهام، بالإضافة إلى ذلك فقد حاول المقاتلون المسلمون قطع خراطيم الفيلة(٢)، ولابد أنهم وجهوا سهامهم إلى أعين الفيلة، وهذه الأساليب اتبعها المسلمون أثناء معاركهم ضد الفرس في العراق(٣).

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية التي أرخت لفتوحات السند والهند، لم تذكر أن المسلمين استخدموا الفيلة بمعاركهم في حملة محمد بن القاسم، إلا أنه لا يمكن استبعاد فرضية قيام محمد بن القاسم بالاستعانة بهذا السلاح الفتاك في معركته الحاسمة أمام داهر، وذلك من خلال الأمراء والحكام السنديين الذين انضموا إليه في المناطق التي تقع غربي نهر السند، وبالتالي فهو ليس بحاجة إلى تدريب مقاتلين عرب على ركوب الفيلة واستخدامها في المعارك، بل ربما استعان بمقاتلين سنديين مدربين، ومن هنا يكون قد اختصر الوقت والجهد، وحرم داهر من احتكار هذا السلاح في المعركة.

إذا كانت الفيلة والسيوف الهندية المصقولة بعناية من أبرز أسلحة جيش داهر في معركته القادمة مع المسلمين، فإن المسلمين امتلكوا سلاحاً فريداً من نوعه، ويكاد لا يملكه أحداً سواهم في كل جيوش الأرض، ويعجز أغلب القادة الذين يواجهون المسلمين على نزعهم إياه، ألا وهو سلاح العقيدة القتالية، فالمقاتل المسلم يذهب إلى المعركة وكل مناه أن يستشهد، في حين أن المقاتلين في الطرف الآخر يبذلون قصارى جهدهم للمحافظة على حياتهم، وهنا تكمن الإجابة الحقيقية لسبب انتصارات المسلمين في العصور الإسلامية الأولى، وكسرهم لجيوش تفوقهم عدداً وعدةً.

---

(١)- فوزي(فاروق عمر): الخلافة الأموية دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام ٤١- ١٣٢هـ/٦٦١- ٧٥٠م، دار الشروق، ط١، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٤٠٧.

(٢)- شاكر(محمود): موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٨٧.

(٣)- ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص١٣٤؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٥، ص١٦٩- ١٧٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص٤٣، ٥١.

لقد عمل محمد بن القاسم على مفاجأة داهر، وذلك عن طريق إرسال كتيبتين من المقاتلين للالتفاف حول جيش داهر من الخلف، كانت إحداها بقيادة مروان بن أشحم اليمني(١)، والثانية بقيادة تميم بن زيد القيني(٢)، وقد استطاع هذان القائدان شق صف جيش داهر إلى قسمين(٣)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عبقرية القائد العظيم محمد بن القاسم، فقد رأى أنه من الصعوبة بمكان اختراق صفوف داهر من مقدمة الجيش، نظراً لوجود الفيلة في المقدمة، وبالتالي كان لزاماً على محمد القيام بهذه العملية.

لقد كانت الخطة تقتضي بهجوم المسلمين على جيش داهر عند نجاح مهمة اختراق الجيش من الخلف، وكان هجوماً سريعاً ومباغتاً، حيث كلف محمد بن القاسم أكثر من تسعمئة مقاتل وزعهم على ثلاث مجموعات، مهمتهم الرئيسة إخراج الفيلة من ساحة المعركة، وكانوا يتسلحون بمشاعل النفط بالإضافة إلى أسلحتهم الفردية(٤)، الأمر الذي أربك جيش داهر، وأحدث فوضى عارمة في صفوفه، وأدى إلى إحباط وإفشال كل الخطط والتنظيمات التي وضعها داهر قبل المعركة.

من خلال ما تم عرضه من مجريات لأحداث المعركة بين الجيشين، يبدو أن محمد بن القاسم عمل أثناء الأيام الأولى للمعركة إلى إكمال دراسته لجيش داهر، والتي بدأها قبل عبوره لنهر السند، حيث أصبح أكثر فهماً وإدراكاً لما يمتلكه جيش داهر من إمكانات، وما هي طرق قتاله، وما يتبعه من خطط واستراتيجيات في قتاله، وعلى هذا الأساس فقد استطاع محمد وضع خطة محكمة، تعاملت مع معطيات المعركة بشكل ذكي جداً، ودلت على حرفية هذا القائد العظيم، وذلك من خلال إيجاده لحلول سريعة أثناء المعركة، وفي بلاد يفصلها عن بلاد المسلمين أطول أنهار شبه القارة الهندية.

---

(١)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له، ولكن ذكره الكوفي: فتح السند، ص١٧٢.

(٢)- هو تميم بن زيد بن حمل بن معقل بن منبه، من بني قين، وقد غزا تميم بلاد السند مرتين، الأولى برفقة محمد ابن القاسم، والثانية تولى ولاية السند في عهد هشام بن عبد الملك، وتوفي في مدينة الديبل السندية. المباركبوري: العقد الثمين، ص١٥٤.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١٧٢.

(٤)- المصدر نفسه، ص١٦٩.

لقد أصبح جيش داهر محاصراً من كل الجهات، حيث تم استهداف ساقته، بالإضافة إلى بدء الهجوم الكبير من المقدمة، كما وجهت ضربة كبيرة لسلاح الفيلة، وبالتالي ولحسم الأمور كان لابد من استهداف داهر وقتله، ولا يستبعد أن يكون محمد بن القاسم قد كلف فرقة خاصة من المقاتلين هدفها الرئيس استهداف فيل داهر، ومحاولة إنزال داهر عن ظهره وقتله، لما لذلك من تأثير معنوي كبير على الجيش.

استطاعت فرق حملة المشاعل النفطية توجيه نيرانها باتجاه فيل داهر، فاشتعل الهودج على ظهر الفيل، الأمر الذي أدى إلى توجه الفيل إلى مياه نهر السند، وهناك اضطر داهر للنزول عن ظهر الفيل، وفي تلك اللحظة أمطره الرماة العرب بوابل من السهام، ولكن دروعه الحديدية التي كان يلبسها أنقذته، واستطاع الخروج من النهر إلى الضفة الشرقية، وهناك تمكن أحد المقاتلين المسلمين من توجيه ضربة محكمة بسيفه باتجاه رأس داهر، شقت رأسه إلى نصفين وأدت إلى مصرعه مباشرة(١).

لم يستطع المقاتلون المسلمون الحصول على جثة داهر، حيث تمكنت مجموعة من حراسه إخفاء الجثة عن أعين المسلمين، ولذلك فإن محمد بن القاسم عندما علم بأن داهر قد قتل، لم يأخذ الأمر في البداية على محمل الجد، حيث لم يتعرف أي مقاتل على جثته، ولكن بعد أن وضعت المعركة أوزارها، وانسحب بقية جيش داهر إلى حصن راور، جاء أحد رجال داهر إلى محمد بن القاسم، وطلب منه الأمان، وبعد ذلك أخبره بأنه تم وضع جثة داهر بين الأعشاب على ضفة نهر السند، فأرسل محمد بن القاسم كتيبة من المقاتلين ليستكشفوا الأمر، فعثروا عليه وجاؤوا بالجثة إلى محمد، الذي حمد الله وشكره، وأرسل رأسه إلى الحجاج، ففرح كثيراً وألقى خطبة في العراق، وقام بدوره بإرساله إلى قصر الوليد بن عبد الملك في دمشق، معلناً بذلك انتصار المسلمين على الجيش السندي(٢).

بمقتل داهر فقدت السند والهند الحاكم القوي، والذي تخضع لحكمه معظم البلاد، ولكن ابنه جيسيه تصدى للمهمة، وحاول أن يملأ الفراغ الكبير الذي تركه والده، وأن يعيد ترتيب صفوف الجيش، في محاولة لإيقاف تقدم الجيش الإسلامي في شرقي نهر السند.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٧٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص١٧٧، ١٨٧.

إن الباحث في تاريخ العرب والإسلام، ولاسيما في قضية الفتوحات الإسلامية، يجد أن معركة الضفة الشرقية لنهر السند لا تقل أهمية عن معركة القادسية أو معركة اليرموك، بل لا يبالغ المرء إن ذكر بأن هذه المعركة قد تفوق أهميتها تلك المعركتين في نواحٍ كثيرة، حيث أن المعركتين وقعتا في منطقتين جغرافيتين لم تكونا بعيدتين كثيراً عن شبه الجزيرة العربية موطن الإسلام الأول، في حين أن بلاد السند والهند كانت بعيدة نسبياً عن مركز الدولة الأموية، كما أن الجيوش الإسلامية التي فتحت العراق والشام لم تجتاز الصحارى القاحلة التي اجتازتها حملة السند والهند.

وهناك أمر آخر وهو الأهم من وجهة نظر متواضعة، حيث كان يوجد في العراق والشام قبائل عربية قبل الفتح الإسلامي، أما في السند والهند فقد اقتصر الوجود العربي على بعض الجاليات التجارية، ومن المعلوم أن العنصر العربي كان الحامل الأساسي لنشر رسالة الإسلام، بالإضافة إلى ذلك يمكن القول أنه إذا كانت معركة القادسية أحد الأسباب الرَّئيسة لانهيار الإمبراطورية الفارسية، فإن معركة اليرموك لم ينتج عنها انهيار الإمبراطورية البيزنطية، في حين أن معركة الضفة الشرقية لنهر السند كانت السبب الرئيس لانهيار أكبر ممالك السند والهند، ومن ثم انضمام أجزاء واسعة من هذه البلاد إلى الدولة الأموية، ونشر الإسلام فيها.

إن إدارة محمد بن القاسم لمعركة الضفة الشرقية لنهر السند، لا تقل كفاءة من الناحية العسكرية عن كفاءة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم سعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، كما لا يبالغ المرء إن قال بأن محمد بن القاسم من أعظم الفاتحين المسلمين، ومن أكثرهم أخلاقاً وإنسانيةً، ويعدّ بحق من أبرز القادة الذين مثلوا الإسلام أفضل تمثيل، وأوصلوا الإسلام إلى منطقة جديدة تعدّ قارة بحد ذاتها، بالإضافة إلى ذلك فقد ساهم بنشر الإسلام في منطقة تسودها عقيدتان كبيرتان هما الهندوسية والبوذية، وبالتالي فإن هذا القائد العظيم يستحق التقدير والاحترام، وهو موضع فخر لكل العرب والمسلمين.

رابعاً- فتح حصن راور ٩٣هـ/٧١٢م:

عمل جيسيه بن داهر على إعادة تجميع الجيش بعد هزيمته أمام المسلمين، ومقتل أبيه في معركة الضفة الشرقية، فتوجه إلى حصن راور مع كبار قادته، وكان إلى جانبه بائي، وقد حاول تنظيم أمور المدينة المحاطة بأسوار منيعة، وإدارة بقية المناطق الهندية شرقي النهر، وبدأ في التحضير لمواجهة جيش المسلمين، ولكن وزيره سياكر، ومحمد العلافي أشارا عليه بضرورة ترك حصن راور، والاتجاه نحو مدينة برهمناباد، وهذه المدينة هي مسقط رأس والده داهر، وفيها أقوى رجاله، ومخزن أمواله، وقد وافق جيسيه على هذا الاقتراح، بينما بقي حصن راور تحت قيادة بائي(١).

إن من يتابع سير الأحداث بعد العركة الشهيرة التي قتل بها داهر، لابد أن يخطر على باله سؤال في غاية الأهمية، وهو هل بدأ التنافس على الحكم في السند والهند بعد مقتل داهر بين بائي وجيسيه؟ وهنا لابد للباحث الموضوعي من تحليل ما بين يديه من روايات تاريخية، إن منطق الأمور يجعل المرء يفترض حصول تنافس على السلطة بين بائي من جهة، وجيسيه بن داهر من جهة أخرى، ولذلك يجب إعادة التذكير بالنبوءة التي جعلت من داهر يتزوج أخته، حيث تقول النبوءة بأن من يتزوج بائي سوف يحكم السند والهند، وبالتالي من الطبيعي أن تحاول بائي استغلال هذه النبوءة إلى أقصى حد ممكن، وفي الطرف الآخر يقف جيسيه كوريث شرعي لحكم أبيه، وقائد عسكري خاض عدة معارك ضد المسلمين، ولذلك لن يسمح لأي أحد أن ينافسه على عرش أبيه، وبالتالي ربما آثر ترك حصن راور لبائي، والتوجه ببقية الجيش إلى برهمناباد لتكون عاصمة لملكه الجديد، ولأن المرحلة لا تحتمل أي صراعات داخلية قد يستغلها المسلمون.

وهنا يمكن للمرء أن يتساءل هل جيسيه بن داهر، هو ابن بائي؟ وأمام غياب أي رواية تاريخية تذكر اسم أم جيسيه، يمكن للباحث القول أن جيسيه هو من أم أخرى، حيث يبدو أن زواج داهر من أخته بائي كان شكلياً، وبالتالي فإن بائي هي عمة جيسيه وليست أمه، ومن هنا يفهم المرء إمكانية حصول منافسة على السلطة بعد مقتل داهر.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٨٥.

لقد حشدت بائي قواتها في حصن راور، وقررت مواجهة الجيش الإسلامي، معتمدة على قوة أسوار الحصن، إضافةً إلى أكثر من خمسة عشر ألف مقاتل(١)، وبقاء هذا العدد من المقاتلين إلى جانبها يدل على أنها كانت تتمتع بمكانة مرموقة بين الجنود، بالإضافة إلى ذلك يبدو أنها امتلكت شخصية قوية أهلتها للقيام بهذا الدور، كما لابد أنها استعانت بمجموعة من المستشارين العسكريين لمساعدتها في مهمتها القادمة.

لم يكن أمام محمد بن القاسم إلا التوجه إلى حصن راور، وعندما رأى أسوار الحصن عمل على ضرب حصار شديد حوله، وأمر بنصب المنجنيقات، التي بدأت تدك أسوار الحصن، وكانت المنجنيقات تقذف الكتل النارية إلى داخل الحصن، والأحجار الكبيرة لضرب الأسوار، حيث لم تلبث أن انهارت، وبدأ المسلمون في التجهيز للدخول إلى الحصن، والتحضير لمواجهة المقاتلين في هذا الحصن، وسرعان ما اقتحم المسلمون الحصن، وانهارت مقاومة الهنود، ولاح في الأفق انتصار جديد للمسلمين(٢).

عندما رأت بائي أن المسلمين قاب قوسين أو أدنى من دخول الحصن، قامت بعمل قل نظيره، حيث جهزت الأخشاب والحطب والنفط وأشعلت ناراً عظيمة، وعند دخول المسلمين إلى الحصن رمت بنفسها مع مجموعة من نساء الحصن في النار المشتعلة(٣)، لكي لا تقع أسيرة في أيدي المسلمين، وعلى ما يبدو أنها اتبعت عادة هندوسية قديمة، تقضي بحرق المرأة لنفسها بعد وفاة زوجها(٤)، ولكن ظروف المواجهة مع المسلمين اقتضت التأخير بالتنفيذ.

بعد ذلك دخل المسلمون حصن راور، ولابد أن محمد بن القاسم عمل على تنظيم أموره الإدارية والاقتصادية على عادته في كل مدينة أو حصن يفتحه، ولكن الملاحظ أن المواجهة في حصن راور بدأت تختلف عن غيرها من الحصون، بحيث أصبحت المواجهات أقوى وأعنف، وأصبحت الدفاعات الهندية أكثر ضراوة، ولذلك يمكن للباحث الاستنتاج بأن سكان هذه المدن

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٨٥.

(٢)- المصدر نفسه: ١٨٦.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٦؛ الكوفي: فتح السند، ص١٨٦؛ العبد(محمد عبد المجيد): الإسلام والدول الإسلامية في الهند، مطبعة الرغائب، ط١، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ص٤.

(٤)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص٤٧٠.

والحصون كانوا من الهندوس المتعصبين، وأصحاب الامتيازات الذين خافوا على مصالهم، على الرغم من أن محمد بن القاسم عمل على إكرام من ينضم إلى المسلمين من الهنود.

خامساً- فتح برهمناباد ٩٤هـ/٧١٣م:

كانت الوجهة القادمة لمحمد بن القاسم هي مدينة برهمناباد، التي تحصن بها جيسيه، وعمل على زيادة تحصينها، وحشد أكبر عدد من المقاتلين فيها، كما عمل على إعاقة مسير القوات الإسلامية إلى المدينة، من خلال تعزيز الدفاعات في عدد من الحصون الواقعة بين راور وبرهمناباد، وأبرزها حصني بهرور، ودهليله(١)، وبالتالي فقد خطط لتأخير الجيش الإسلامي قدر المستطاع، وهذا ما يؤدي إلى استهلاك المسلمين لكميات كبيرة من المؤن، فضلاً عن أن خطوط الإمداد أصبحت طويلة، ولاسيما بعد عبور المسلمين لنهر السند، كما يمكن شن هجمات خاطفة على المسلمين انطلاقاً من هذين الحصنين، وانتظار الفرصة المناسبة للانقضاض عليهم.

يبدو أن محمد بن القاسم أدرك بنظره الثاقب غايات وأهداف جيسيه، ولذلك فقد عمل على ضرب حصار على الحصنين، وبدأ بدكهما بحجارة المنجنيقات والكتل النارية، ولاسيما بأنه انتهى إلى نتيجة مفادها أن سير المعارك في السند والهند بعد معركة الضفة الشرقية للنهر، ليست كما قبل تلك المعركة، حيث أن المقاتلين في شرقي النهر لا يجنحون إلى السلم، بل يقاتلون حتى آخر رمق، أو يؤثرون الانسحاب إلى المناطق الداخلية، ولكنهم غالباً لا يسلمون أنفسهم للمسلمين كما حصل في غربي النهر، ونتيجة شدة الحصار الذي فرضه المسلمون، وقوة ضربات المنجنيقات فقد انسحب المقاتلون إلى داخل شبه القارة الهندية، ودخل المسلمون إلى الحصنين، وعمل محمد ابن القاسم على تنظيم الأمور فيهما في مختلف المجالات(٢)، وقد اختار محمد بن القاسم أحد رجاله حاكماً على دهليله، وهو نوبة بن هارون(٣)، ومن ثم بدأ بتجهيز الجيش للتوجه لفتح برهمناباد.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٨٩.

(٢)- المصدر نفسه، ص١٨٩.

(٣)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم العربية والإسلامية، ولكن تم ذكره عند الكوفي: فتح السند، ص١٩١؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٧٤.

بعد وصول محمد بن القاسم إلى برهمناباد، قام بإرسال عدد من رجاله إلى جيسيه، عارضاً عليه تسليم المدينة والدخول في الإسلام، أو دفع الجزية، وإلا فإن الحرب ستقع بين الطرفين، ولكن جيسيه رفض هذا العرض، ويبدو أن رسل محمد بن القاسم أخبروه عند عودتهم، بأن جيسيه يمتلك جيشاً على درجة عالية من الجاهزية داخل مدينة برهمناباد، ولذلك قام محمد على عادته عند حصاره للمدن الكبرى بحفر خندق كبير لحماية المقاتلين المسلمين من أي هجوم مباغت قد يشنه جيش جيسيه في أية لحظة(١).

على الرغم من أن المصادر التاريخية لم تذكر العام الذي بدأ فيه حصار مدينة برهمناباد، يمكن للباحث أن يستنتج أن الحصار بدأ في عام ٩٤هـ/٧١٣م، وذلك بناءً على رواية الكوفي بأن حصار برهمناباد بدأ في الأول من شهر رجب/الأول من نيسان(٢)، ومن المعلوم أن معركة الضفة الشرقية لنهر السند كانت في رمضان- ٩٣هـ/حزيران- ٧١٢م، وبالتالي يبدو أن محمد بن القاسم احتاج إلى وقت ليس بقليل لفتح راور والحصون الموجودة في طريقه إلى برهمناباد، وتنظيم شؤونها المختلفة، وقد استغرق ذلك عاماً كاملاً تقريباً، وهذا يدل على أن محمد بن القاسم لم يكن يعتمد على استراتيجية التقدم غير المدروس، بل اعتمد على تنظيم المناطق المفتوحة، ومن ثم التحضير لفتح المنطقة التالية.

أمام متانة أسوار مدينة برهمناباد، أرسل محمد بن القاسم في طلب موكه بن بساية وشاوره في الأمر، فكان رأي موكه أن يتم استدعاء عدد إضافي من المقاتلين المسلمين، وفرض حصار أقوى وأشد على المدينة، وقد وقف محمد على رأي موكه، وبدأ باستدعاء المزيد من المقاتلين المسلمين(٣)، ولا يستبعد أن يكون محمد قد طلب من ولاته على المناطق السندية في غربي نهر السند إمداده بمزيد من المقاتلين، بالإضافة إلى منجنيقات أكبر، ولاسيما منجنيق العروس الضخم، بحيث يمكن نقله عبر نهر السند إلى الضفة الشرقية.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٩٢.

(٢)- المصدر نفسه، ص١٩٢.

(٣)- المصدر نفسه، ص١٩٣.

بالإضافة إلى ذلك فقد عمل محمد على استقطاب عدد من رجال جيسيه إلى صفوف المسلمين، وبالتالي توجيه ضربة معنوية كبيرة له ولجيشه، كما يمكن أن يكون لديهم معلومات مهمة قد تنفع المسلمين في مسيرة الفتوحات المظفرة، وعلى هذا الأساس فقد تم التواصل مع سياكر وزير جيسيه، الذي ذهب إلى محمد وطلب الأمان، فأكرمه محمد وجعله أحد مستشاريه، نظراً لخبرته الواسعة، وصحبته الطويلة لجيسيه(١).

أمام هذا الواقع الجديد أدرك جيسيه بأن المدينة لا محال ستسقط بيد المسلمين، لذلك فقد آثر الخروج من المدينة، وطلب المساعدة من أمراء وحكام السند الآخرين، وعلى رأسهم أخيه قوفي ابن داهر حاكم العاصمة أرور، ولكن الحادث الأبرز كان انفصال محمد العلافي عن جيسيه، وذهابه إلى إقليم كشمير في الشمال(٢)، وهذا إن دل على شيء فإنه يؤكد بأن تحضيرات المسلمين حول المدينة أرعبت المدافعين عنها، وجعلت ملكهم يترك المدينة وينطلق لطلب النجدة، عله يستطيع منع المسلمين من السيطرة على المدينة.

بعد حصار استمر أكثر من ستة أشهر، رأى أهالي المدينة أنهم تركوا لوحدهم في مواجهة المسلمين، وكان على رأسهم التجار الذين تعطلت مصالحهم بسبب الحصار، ولذلك اجتمع كبار التجار في المدينة، وقرروا الذهاب إلى محمد لطلب الأمان، فما كان من محمد إلى أن استشار موكه، الذي ارتأى أن يقبل محمد هذا العرض، لأنه سيمثل ضربة معنوية قاصمة للهنود بشكل عام، ولآل داهر بشكل خاص، فقبل محمد عرضهم، وما يلفت الانتباه أنهم أشاروا عليه بضرورة أن يكون التسليم بشكل غير مباشر، أي أن يكون فيه خدعة لكي لا يلحقهم العار أمام بقية سكان المدينة، وعلى هذا الأساس سوف يخرجون من أحد أبواب المدينة بحجة حرب المسلمين، ومن ثم ينسحبون ويدخلون إلى المدينة ويتركون أحد أبواب المدينة مفتوحاً خلفهم، ومن خلاله سوف يدخل الجيش الإسلامي إلى المدينة، وقد وضع محمد بن القاسم الحجاج في صورة المستجدات، وقد أبدى الحجاج موافقته، وسارت الأمور بحسب ما خطط لها على أكمل وجه(٣).

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٩٣.

(٢)- المصدر نفسه، ص١٩٣.

(٣)- المصدر نفسه، ص١٩٥- ١٩٦.

يبدو أن خطة دخول المسلمين إلى المدينة كانت من تخطيط موكه بن بساية، وذلك لأنه انضم إلى المسلمين بطريقة مشابهة، وكان هو من اقترح ذلك، كما انضم أخوه راسل إلى المسلمين بتخطيط منه كذلك الأمر، ومن خلال استدعاء محمد له عند قدوم وفد تجار مدينة برهمناباد، فإنه ليس ببعيد عن نسج هذه الفكرة، وهذا يدل على إخلاصه منذ انضمامه لحملة محمد، ودخوله في الإسلام.

لقد ظهرت عظمة الإسلام من جهة، وسمو الأخلاق التي امتلكها محمد بن القاسم من جهة أخرى، وبشكل واضح لا لبس فيه من خلال التعليمات التي أمر محمد بن القاسم المقاتلين بالالتزام بها، وكان على رأسها: "لا تقتلوا أحداً غير المسلح المحارب، أما من كان معه سلاح وهو هارب فلا تقتلوه، بل خذوه أسيراً، ومن أراد الأمان فأعطوه، ولا تدخلوا البيوت الآمنة"(١)، إنها قوانين إنسانية وأخلاقية عجزت جيوش جميع الدول على مر التاريخ عن تطبيقها، وطبقها المسلمون الفاتحون في السند والهند.

إن القواعد الأخلاقية التي وضعها وطبقها محمد بن القاسم في حملته إلى السند والهند بشكل عام، وعند فتحه لمدينة برهمناباد بشكل خاص، لا ترقى إليها أي وثيقة عالمية لحماية المدنيين وحقوق الإنسان أثناء الحرب، وبالتالي يمكن القول أن المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون صدق عندما قال: بأن العرب كانوا أرحم الفاتحين، وبأن العرب تمكنوا من جذب أمم كثيرة إلى دينهم ولغتهم فضلاً عن حضارتهم الجديدة(٢)، وبالتالي فإن كلمة جذب هي أصدق تعبير عن سياسة الفاتحين المسلمين في السند والهند، وهي على نقيض مع الفرض، وهي شهادة من مؤرخ لا يدين بالإسلام، ومن هنا فإن فتوحات السند والهند هي شاهد حقيقي على صدق ما ذهب إليه لوبون.

لقد شكل محمد بن القاسم محكمة لرد المظالم في برهمناباد، وعمل على تعويض كل من تم التعرض لماله أو بيته، وبالإضافة إلى ذلك فقد أنصف محمد بن القاسم سكان المدينة من ناحية أخرى، فمن دخل في الإسلام من أهالي المدينة ترك في حال سبيله، ولم يأخذ من أمواله إلا ما

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٩٦.

(٢)- لوبون: حضارة العرب، ص١٤٤- ١٤٥.

يؤخذ من المسلم، بينما من أراد أن يبقى على دين آبائه وأجداده، فكان عليه دفع الجزية، وهنا سار محمد بن القاسم على نهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في تقسيمه لأفراد المجتمع إلى ثلاث مستويات، الأول الأغنياء وعليهم دفع أربعين درهماً في العام، والمستوى الثاني كان عليهم دفع أربع وعشرين درهماً، والمستوى الثالث اثني عشر درهماً، ولا يختلف تقسيم محمد بن القاسم عن تقسيم الفاروق عمر إلا في المستوى الأول، حيث فرض الفاروق عليهم ثمانية وأربعين درهماً، بدلاً من أربعين(١).

كما عامل محمد بن القاسم رجال الدين الهندوسي معاملة إنسانية راقية، وخصص لهم مبالغ مالية تكفيهم في معاشهم، وحافظ على مكانتهم الاجتماعية، وسمح للهندوس بترميم معابدهم وذلك بعد مشاورة الحجاج في الأمر، حيث كانت إجابة الحجاج واضحة على رسالة محمد، وذلك بقوله: "وبعدما أن أصبحوا ذميين فإنه لا يحق لنا التصرف في دمائهم وأموالهم"، وذكر في موضع آخر من الرسالة أن الهندوس باستطاعتهم أن يقيموا طقوسهم الدينية، وأن يبيعوا ويشتروا مع المسلمين، وقد انعكست هذه المعاملة إيجاباً على الأوضاع العامة في برهمناباد، حيث كان لرجال الدين البرهمي مساهمة كبيرة في إقناع أهالي المدينة وما حولها بالتعامل مع الفتح الإسلامي بطريقة إيجابية(٢).

عدّ المسلمون الهندوس والبوذيين أهل ذمة، على الرغم من أنه ليس لديهم كتاب منزل من عند الله تعالى، وهناك حديث نبوي شريف يستدل من خلاله على ذلك، فحين تم فتح فارس، قال عمر بن الخطاب: كيف أصنع بالمجوس وليسوا بأهل كتاب، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب"(٣)، وبالتالي وبالقياس على هذا الحديث، فقد تعامل المسلمون مع الهندوس والبوذيين انطلاقاً من نفس القاعدة.

---

(١)- أبي يوسف: الخراج، ص٣٦؛ الكوفي: فتح السند، ص١٩٩.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٢٠٣- ٢٠٦.

(٣)- مالك بن أنس(ابن مالك بن عامر الأصبحي المدني ت ١٧٩هـ/٧٩٥م): الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، (د.ت)، ج١، ص٢٧٨؛ الشافعي(محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م): مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص٢٠٩؛ الصنعاني(أبو بكر عبد الرزاق=

لقد مارس الهندوس والبوذيون طقوسهم الدينية في السند والهند، كما يمارسها المسيحيون واليهود في العراق والشام(١)، وبالتالي فقد انطلق المسلمون من قول الله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾(٢)، حيث أن المسلمين أدركوا بأن فتح البلاد شيء، وفرض العقيدة على الناس شيء آخر، وهذه الفتوحات تؤكد أن الإسلام لم ينشر بالسيف كما يدعي بعض الحاقدين، بل طبق المسلمون قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(٣)، فهل يوجد فاتحون في التاريخ أكثر تسامحاً وعدلاً من المسلمين؟ في الحقيقة لقد قدم محمد بن القاسم صورة مشرقة عن الفتوحات الإسلامية، وأفعاله تشهد له على أنه من أعظم الفاتحين في التاريخ.

كما يمكن القول أن المسلمين انطلقوا في معاملتهم للطوائف المختلفة في شبه القارة الهندية، من أن الله عز وجل لابد أنه أرسل إليهم رسولاً، ليهديهم إلى جادة الحق، وذلك بالاستناد إلى الآية القرآنية الكريمة، قال تعالى: ﴿وإن من أمةٍ إلا خلا فيها نذير﴾(٤)، ومن هنا فقد عاملهم المسلمون

= ابن همام ت ٢١١هـ/٨٢٧م): مصنف عبد الرزاق، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ج٦، ص٦٨؛ ابن سلام(أبو عبيد القاسم ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م): الأموال، تح: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص٤٠؛ ابن أبي شيبة(أبو بكر عبد الله بن محمد ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م): مصنف ابن أبي شيبة، تح: محمد عوامة، الدار السلفية الهندية، (د.م)، (د.ت)، ج٣، ص٢٢٤؛ ابن زنجويه(حميد ت ٢٥١هـ/٨٦٥م): الأموال، تح: شاكر ذيب فياض، مركز الفيصل للبحوث، (د.ت)، ج١، ص١٣٦؛ البرتي(أحمد ابن محمد بن عيسى ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م): مسند عبد الرحمن بن عوف، تح: صلاح بن عايض الشلاحي، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٧٨؛ البزار: مسند البزار، تح: محفوظ عبد الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط١، المدينة المنورة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج٣، ص٢٦٤؛ الشاشي(أبي سعيد الهيثم بن كليب ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م): مسند الشاشي، تح: محفوض الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١، ص١٤٥؛ الطبراني: مسند الشاميين، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص١٠٠؛ البغوي(الحسين بن مسعود ت ٤٣٦هـ/٥١٦م): شرح السنة، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١١، ص١٦٩.

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٢٠٤.

(٢)- القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٣)- القرآن الكريم: سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤)- القرآن الكريم: سورة فاطر، الآية: ٢٤.

معاملة أتباع بقية الأديان السماوية.

من جهة أخرى فقد أولى محمد بن القاسم الشأن الاقتصادي أهمية بالغة، فقد عمل على إعادة النشاط التجاري إلى المدينة(١)، ويبدو من خلال موقع برهمناباد أنها كانت صلة وصل ومركز لتبادل المنتجات بين مدن الداخل وموانئ الساحل على بحر العرب، كما ساهم محمد بازدهار النشاط الزراعي من خلال إبقائه الأراضي بيد أهلها، ومن المعلوم أن الازدهار الاقتصادي بحاجة لفرض الأمن، وهو ما عمل محمد بن القاسم على تحقيقه.

بعد أن نظم محمد بن القاسم كافة المجالات في مدينة برهمناباد، تلقى رسالة من الحجاج مفادها بأنه لا يجب عليه أن يتوقف في برهمناباد، وإنما عليه تجهيز الجيش والتوجه لفتح مدينتي أرور والمولتان، على اعتبار أن هاتين المدينتين هما أكبر مدن شمال القارة الهندية، كما أن أرور هي العاصمة السياسية لمملكة السند والهند(٢).

إن هذه التفاصيل لا يجدها الباحث إلا عند الكوفي، بينما لم يذكر خليفة بن خياط، والبلاذري، وابن الأثير(٣) إلا النذر اليسير حول فتح مدينة برهمناباد، حيث ذكروا بأن محمد بن القاسم حاصر المدينة حتى استطاع فتحها، بينما لم يذكر اليعقوبي أي معلومة عن فتح المسلمين لهذه المدينة الهامة.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٩٨- ٢٠٤.

(٢)- المصدر نفسه، ص٢٠٥.

(٣)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٠٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١.

سادساً- فتح العاصمة أرور ٩٥هـ/٧١٣م:

بعد أن قام محمد بن القاسم بضبط الأمور في مدينة برهمناباد وما حولها، جهز الجيش وانطلق نحو العاصمة أرور، وقد حدد الكوفي تاريخ بدء الحصار في محرم-٩٤هـ/أيلول-٧١٢م(١)، ولكن منطق الأمور وبعملية حسابية بسيطة، يتبين للباحث أن الكوفي وقع في وهم، وأن الزحف باتجاه العاصمة أرور بدأ في شهر محرم- ٩٥هـ/أيلول- ٧١٣م، فقد ذكر الكوفي نفسه بأن حصار برهمناباد بدأ في شهر رجب- ٩٤هـ/أبريل- ٧١٣م، وبالتالي بعد حصار استمر ستة أشهر للمدينة، فإنه من المنطق أن يكون زحف المسلمين نحو العاصمة قد بدأ في بداية العام التالي.

وعلى عادة محمد بن القاسم فإنه قام بالسيطرة على الحصون والمدن الصغيرة المحيطة بالعاصمة أرور، لكي لا تشكل جيوباً خلفية يتم من خلالها شن الهجمات الغادرة على الجيش الإسلامي، ومن هنا فقد اتجه المسلمون في البداية إلى مدينتي ساوندري(٢)، وبسمد(٣)، وقد طلب سكان هاتين المنطقتين الأمان، ومنحوا الأمان من قبل محمد بن القاسم، وذلك بعد أن تشاور مع الحجاج في الأمر(٤)، وبالتالي يمكن القول أن محمد استفاد من المعلومات التي امتلكها هؤلاء القوم عن العاصمة أرور، وربما جرى تجنيد بعضهم في الجيش الإسلامي، قبل أن يتوجه الجيش لفتح العاصمة.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٢٠٨.

(٢)- لم يتم الوقوف على موقع هذه المدينة في كتب البلدان، ولكنها وردت على أنها تقع شرقي نهر السند، بالقرب من العاصمة أرور عند البلاذري، فتوح البلدان، ص٦١٦؛ الكوفي: فتح السند، ص٢٠٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١.

(٣)- مدينة صغيرة شرقي نهر السند. الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٧٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٢٢؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص١٧٥.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٦؛ الكوفي: فتح السند، ص٢٠٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٥.

كانت مدينة أرور محصنة بشكل جيد، فهي تقع على سفح جبل والطريق إليها وعر، ومن هنا فقد فرض محمد بن القاسم حصاراً قوياً على المدينة(١)، وقام ببناء مسجد في معسكر المسلمين، وكان يحكم المدينة قوفي بن داهر(٢)، وبالتالي قد يفهم الباحث من خلال ذلك أن الجزء الشرقي من مملكة السند والهند، قد تم تقسيمه بين أولاد داهر بعد مقتله في معركة الضفة الشرقية، ويبدو أن التقسيم تضمن أن تكون مدينة راور هي الحد الفاصل بين قوفي وجيسيه ابني داهر، على أن تكون المناطق التي تقع إلى الشمال من مدينة راور بما فيها العاصمة أرور من حصة قوفي بن داهر، بينما تشمل سلطة جيسيه كل المناطق الواقعة إلى الجنوب من راور ومركزها مدينة برهمناباد، حيث كان كلا الرجلين بجانب والدهم في معركة الضفة الشرقية، ومن هنا لا يمكن استبعاد حصول هكذا اتفاق.

لقد عمل قوفي على رفع معنويات المقاتلين والسكان في مدينة أرور في مواجهة المسلمين، فأشاع خبراً يقول أن داهر لم يمت، وبأنه سيعود بجيش جرار وعلى ظهر فيل ضخم لكي يهزم المسلمين(٣)، ويبدو أن قوفي أدرك أن الجيش الإسلامي سبقته إلى أرور سمعته العطرة في التعامل مع الخصوم، وفي صدق وعوده التي كان يطلقها للسكان، حيث أن المدن التي فتحها المسلمون أصبحت فيها الحياة الاقتصادية والاجتماعية أفضل من سابق عهدها، كما أن المسلمين احترموا عقائد السنديين على اختلاف مللهم وطوائفهم هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن قوة الجيش الإسلامي من حيث صلابة المقاتلين في أرض المعركة، أو في قوة تجهيزات الجيش ولاسيما المنجنيقات التي دكت الحصون في كل مناطق السند والهند، أدى إلى إضعاف معنويات الهنود في كل المدن وأصبحوا مدركين أنهم لن يستطيعوا الوقوف في وجه المسلمين، وكانوا يميلون إلى طلب الأمان في أي مدينة يتم حصارها من قبل المسلمين، ومن هنا يفهم المرء محاولة قوفي إشاعة نبأ بقاء داهر على قيد الحياة، علها تنفع في رفع معنويات المدافعين عن العاصمة.

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٥١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٥.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٢١٢.

(٣)- المصدر نفسه، ص٢١٢.

بعد أن طال حصار المسلمين للعاصمة، بدأ الأهالي يشككون برواية إمكانية رجوع داهر، وهنا لجؤوا إلى ما يؤمنون به، وهو السحر والتنجيم، فأخبرتهم إحدى الساحرات في المدينة أن داهر قد قتل، وبالتالي أدركوا أن المدينة ستقع تحت سيطرة المسلمين آجلاً أو عاجلاً(١)، إن تحليل هذه الرواية يجعل الباحث يقف أمام عدد من السيناريوهات، الأول يمكن أن يكون قوفي هو من أوحى لبعض رجاله بأن يقترحوا على السكان بأن يذهبوا إلى الساحرة، لأنه أصبح على قناعة تامة بأن المدينة ستسقط بيد المسلمين، وبالتالي عليه أن يسوغ للناس نيته المبيتة في الهرب من المدينة، والسيناريو الثاني يمكن أن يكون محمد بن القاسم قد استطاع أن يثبت من خلال تقديم البراهين المادية للسكان، بأن داهر قد قتل، وذلك من خلال عرض أي شيء يخص داهر، أو ربما أمر بجلب جسده بعد أن أرسل الرأس إلى العراق، وتم عرض كل ذلك خارج أسوار المدينة على مرأى من السكان، وبالتالي لجأ السكان للساحرة للتأكد من صحة ما ذكره قوفي من عدمه، كما لا يستبعد المرء سيناريو آخر وهو قدرة المسلمين على الاستعانة ببعض العناصر السندية المحلية في التواصل مع المنجمين والسحرة داخل المدينة، مستغلين إيمان السكان بالتنجيم والسحر، بهدف ثنيهم عن مقاومة الفاتحين.

كان على قوفي بن داهر أن يهرب من المدينة قبل أن يدخل المسلمون إليها ويقع أسيراً في أيديهم، ومن هنا فقد جمع أهله وهرب في جنح الليل من المدينة إلى قلعة جترور، حيث كان أخوه جيسيه، بينما أرسل أهالي المدينة إلى محمد بن القاسم في طلب الأمان، الذي لم يتأخر بدوره عن منحهم إياه، وعلى أثر هذا الاتفاق دخل المسلمون إلى العاصمة أرور دون قتال، الأمر الذي شكل ضربة قاصمة لأسرة داهر، لما لمدينة أرور من أهمية كبيرة كونها العاصمة السياسية للملكة(٢).

كان في العاصمة أرور معبد كبير، ويبدو أنه كان أحد شروط الصلح بين سكان المدينة ومحمد بن القاسم أن يُبقي الأخير على معبدهم، وأن يسمح لهم بحرية ممارسة طقوسهم الدينية(٣)،

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص٢١٤.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٧؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٢؛ الكوفي: فتح السند، ص٢١٥-٢١٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٥.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٧.

وقد ذكر البلاذري في هذا الشأن بأن محمد بن القاسم وافق على بقاء المعبد، وبأنه قال: " ما البد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس "(١)، ولكنه في الوقت نفسه قام ببناء مسجد كبير في المدينة، وعهد بالشؤون الشرعية والخطابة إلى الإمام موسى بن يعقوب بن طائي الثقفي(٢)، بينما عين والياً على المدينة رواح بن أسد(٣) أحد أحفاد الأحنف بن قيس(٤).

من خلال هذه الروايات يمكن للباحث أن يستنتج عدة أمور، أولها أن حملة محمد بن القاسم كانت تضم في صفوفها دعاة وأئمة على درجة عالية من العلم والمعرفة بالفقه والشريعة الإسلامية، والأمر الآخر أن المسلمين وجدوا أنفسهم ولأول مرة في منطقة تنتشر فيها الديانتان الهندوسية والبوذية على نطاق واسع، وبالتالي لابد من الاجتهاد للتعامل مع عدة قضايا لم تكن في زمن النبي الأكرم، ولاسيما قضية المعابد المنتشرة لتلك الطائفتين في السند والهند، ولذلك فإن أئمة العصر في العراق والشام، وجدوا أنهم أمام عدد كبير من السكان لا يؤمنون بأي كتاب سماوي، بل لديهم معتقداتهم ومعابدهم التي يمارسون فيها طقوسهم الدينية، وبالتالي لابد أن الفقهاء قدموا حلولاً عملية بالاستناد إلى روح الشريعة الإسلامية، وبما أن النتاج الفكري للعصر الأموي ضاع في معظمه، فيمكن للباحث الاعتماد على ما ورد في العصر العباسي في هذا الصدد، فقد قال أبو يوسف(٥): "وجميع أهل الشرك من المجوس وعبدة الأوثان وعبدة النيران والحجارة والصابئين والسامرة، تؤخذ منهم الجزية"(٦)، وهذا يدل ويؤكد على أن سماحة الإسلام لا تدانيها سماحة.

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٧؛ Maclean: Religion and Society in Arab Sind, p107.

(٢)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم العربية والإسلامية، ولكن ورد ذكره عند الكوفي، وقد لقبه "برهان الملة والدين سيف السنة ونجم الشريعة "، الكوفي: فتح السند، ص٢٢٥.

(٣)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم، ولكن ورد ذكره عند الكوفي: فتح السند، ص٢٢٥.

(٤)- هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، توفي في عام ٧٢هـ/٦٩١م. ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣، ص١٩٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٩٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٨٦؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٧٦.

(٥)- هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، صاحب الإمام أبي حنيفة، وأول من تلقب بقاضي القضاة، له العديد من المؤلفات، توفي سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م. وكيع(محمد بن خلف بن حيان ت ٣٠٦هـ/٩١٨م): أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج٣، ص٢٥٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٣٧٨.

(٦)- أبي يوسف: الخراج، ص١٢٨.

سابعاً-فتح المولتان ٩٥هـ/٧١٣م:

بعد إتمام السيطرة على العاصمة أرور، قرر محمد بن القاسم وبإيحاء من الحجاج في العراق، متابعة الفتوحات والمسير إلى المولتان كبرى مدن الشمال، وكان لزامٌ عليه قبل الوصول إلى هذه المدينة، فتح عدة حصون ومدن صغيرة وأبرزها سكة(١)، وبعد السيطرة عليها عبر الجيش الإسلامي نهر بياس، وفرض حصاراً على المولتان(٢).

اتفقت المصادر التاريخية على أن المسلمين عانوا أثناء حصارهم لمدينة المولتان، ويبدو أن ذلك يعود إلى أنَّ خطوط إمداد الجيش الإسلامي أصبحت طويلة، وربما كانت أسوار المدينة أقوى من بقية الحصون، على اعتبار أن هذه المدينة فيها معبد كبير يحج إليه كل الهنود، وقد سميت بفرج بيت الذهب بسبب هذا المعبد، وما يأتيه من تبرعات ضخمة من ذهب وفضة، ويمكن للباحث أن يطلق على هذه المدينة العاصمة الدينية لمملكة السند والهند، وبالتالي كان لابد من البحث عن طرق جديدة لفتح هذه المدينة الهامة، حيث نجح محمد بن القاسم نتيجة تعاون أحد السكان المحليين معه، في الكشف عن أحد الأنهار الذي يؤمن مياه الشرب للمدينة، وربما كان هذا النهر هو نهر بياس، حيث أن الحموي والبغدادي ذكرا بأن نهر بياس يدخل إلى المولتان(٣)، فتم تحويل مجرى النهر عن المدينة، وبالتالي فقد أجبر حاكم المدينة على الهرب إلى كشمير، وبدأ الأهالي في التفاوض مع محمد بن القاسم على تسليم المدينة، والتي أفضت إلى سيطرة الجيش الإسلامي على هذه المدينة الهامة(٤).

دخل المسلمون إلى المدينة، وعلى عادتهم في هذه البلاد حافظوا على وعودهم، ولاسيما

---

(١)- هي مدينة صغيرة قرب نهر بياس. البلاذري، فتوح البلدان، ص٦١٧.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٧؛ الكوفي: فتح السند، ص٢٢٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٥.

(٣)- الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥١٧؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٣٦.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٧؛ الكوفي: فتح السند، ص٢٢٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١١٦؛ كينيدي(هيو): الفتوح العربية الكبرى، تر: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٤٢٠.

المحافظة على أرواح السكان، وعدم التعرض لمعبد المدينة الكبير، ومن جهة أخرى أمر محمد ابن القاسم ببناء مسجد كبير في المدينة، ليكون منارة للدعوة الإسلامية في المولتان وما حولها، وعمل على تنظيم مختلف الشؤون في المدينة، كما قام بتعيين داود بن نصر بن وليد العماني(١) والياً عليها، وعين عكرمة بن ريحان الشامي(٢) على المناطق المحيطة بمدينة المولتان.

وهناك مسألة لابد من التطرّق إليها، حيث اختلفت حولها الروايات التاريخية، وهي قضية حصول المسلمين على الأموال من معبد المدينة، فذكر البلاذري والكوفي وابن الأثير، وابن خلدون، أن محمد بن القاسم سيطر على أموال المعبد وأرسلها إلى الشام، ووزع ما تبقى على المقاتلين الذين عانوا كثيراً في السيطرة على المدينة(٣)، بينما ذكر ابن الجوزي رواية مفادها بأن أهالي مدينة المولتان عقدوا اتفاقاً مع محمد بن القاسم، مضمونه أن يترك لهم محمد المعبد كما هو، مقابل أن يعطوا المسلمين ثلث التبرعات التي تأتي إلى المعبد(٤)، وهنا يحتاج الباحث إلى التدقيق والتمحيص في هذه الروايات، حيث تبين ضعف الرواية التي قدمها ابن الجوزي، فقد وقع في وهم، وذلك حين عدّ أن فتح المولتان حصل في عهد عبد الملك بن مروان، بالإضافة إلى اتفاق كبار المؤرخين على الرواية الأولى.

عمل محمد بن القاسم على إعادة تجهيز الجيش بعد ما عاناه في حصار المولتان، حيث وصل عدد الجيش الإسلامي إلى ما يقارب الخمسين ألف مقاتل بكامل عدتهم وعتادهم(٥)، إن إعادة تنظيم صفوف الجيش كان أمراً مهماً يقوم به محمد بعد كل معركة، وبالتالي يصبح الجيش أكثر استعداداً في المعارك القادمة.

---

(١)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم، ولكن ورد عند الكوفي: فتح السند، ص٢٣٣.

(٢)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له في كتب التراجم، ولكن ورد عند الكوفي: فتح السند، ص٢٣٣.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٧- ٦١٨؛ الكوفي: فتح السند، ص٢٣٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥١-٢٥٢؛ ابن خلدون: العبر: ج٣، ص٧٧.

(٤)- ابن الجوزي: تلبيس إبليس، تح: يحيى مراد، كتب عربية، (د.م)، (د.ت)، ص٧٤.

(٥)- الكوفي: فتح السند، ص٢٣٣.

بعد أن أتم محمد بن القاسم تجهيز الجيش، انتظر أوامر الحجاج لتحديد الوجهة القادمة للجيش، ولكن جاءه خبر نزل عليه كالصاعقة، فقد توفي الحجاج بن يوسف، وكان ذلك في رمضان- ٩٥هـ/أيار- ٧١٤م(١)، وعلى قول آخر في شوال/حزيران من العام نفسه(٢)، وبموته فقد محمد بن القاسم القائد والمعين والمرشد، بل يمكن القول أن جبهة السند والهند فقدت العقل المدبر الذي خطط لمعظم المعارك في تلك البلاد، وأحاط محمد برعايته واهتمامه، بحيث كان يعمل على تأمين كل ما تحتاجه هذه الجبهة، وقد تجلى ذلك في العديد من المواقف الصعبة التي مرت بها حملة السند والهند، فكان لا يتوانى عن إرسال المساعدات العاجلة، وكان مؤمناً بقدرة المسلمين على فتح تلك البلاد، ونشر الإسلام فيها، فرحم الله الحجاج بن يوسف، وهنا لابد من التأكيد على قضية هامة، وهي أنه يجب على المؤرخين والباحثين إعادة النظر في كل الروايات التاريخية المتعلقة بالحجاج، ودراستها بشكل موضوعي، لكي ينال هذا القائد العظيم حقه من التقدير في قلوب وعقول الأجيال العربية والإسلامية، فإدارة الدول والولايات الواسعة تحتاج إلى رجال من طينة الحجاج وحسب.

قرر محمد بن القاسم ترك المولتان، والعودة إلى العاصمة أرور، منتظراً تعيين والٍ جديد على العراق، وبالتالي لابد من وجوده في العاصمة أرور لمواكبة كافة التطورات، وكان أبرزها تعيين يزيد ابن أبي كبشة(٣) على ولاية العراق خلفاً للحجاج، كما تم إبقاء يزيد بن أبي مسلم(٤)

---

(١)- المرعشي: غرر السير، ص١١٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٢، ص١٩٩؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج٥، ص٢٠٩٥؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج١، ص١٩٢.

(٢)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٦.

(٣)- هو يزيد بن جبريل بن يسار، وهو من التابعين، توفي قبل سنة ١٠٠هـ/٧١٨م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦٥، ص٣٦٢؛ المزي(جمال الدين أبي الحجاج يوسف ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م): تهذيب الكمال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٣٢، ص٢٢٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٤٣.

(٤)- هو يزيد بن دينار الثقفي، عزل في عهد سليمان بن عبد الملك، وقتل في إفريقية في عام ١٠٢هـ/٧٢٠م في عهد يزيد بن عبد الملك. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٣٠٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٩٣؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج١، ص٢١٢؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص١٢٤.

على الخراج(١).

ثامناً- فتح الكيرج(١) ٩٥هـ/٧١٣م:

كان على محمد بن القاسم أن يتابع الفتوحات الإسلامية، على الرغم من غياب الداعم الرئيس للجبهة الشرقية الحجاج بن يوسف، وأدرك محمد بأنه حقق ما يريد في شمال البلاد بسيطرته على المولتان، وأن الحرب في كشمير لمطاردة فلول أسرة داهر مؤجلة، نظراً لصعوبة تضاريسيها، وبالتالي وجد أنه من الأفضل أن يسيطر على المدن والمناطق الجنوبية الواقعة شرقي نهر السند، وذلك على غرار ما فعله في منطقة غربي النهر، وكان يريد من وراء ذلك تحقيق هدف رئيس وهو الوصول إلى ساحل بحر العرب، لحماية طريق التجارة البحرية من العراق وشبه الجزيرة العربية إلى سواحل الهند الغربية، ومنها إلى الشرق عامةً، والتخلص من فلول القراصنة هناك، ولذلك قرر التوجه إلى مدينة الكيرج، التي كان يحكمها دوهر.

قبل التوجه إلى الكيرج، كان لابد للمسلمين من السيطرة على بعض المدن الصغيرة، ولذلك أرسل محمد جيشاً لفتح مدينة البيلمان(٢)، ولكن أهلها طلبوا الأمان فأمنهم، ومن ثم انطلق إلى الكيرج، فزحف إليها الجيش الإسلامي، وجرت معركة كبرى انتهت بانتصار المسلمين ومقتل دوهر(٣)، ويمكن القول أن فتح مدينة الكيرج كان له أهمية كبيرة، فمن جهة تم التأكيد على أن الفتوحات الإسلامية في هذه البلاد لن تتوقف بموت الحجاج، ومن جهة أخرى ساهمت في رفع معنويات المقاتلين المسلمين، بعد أن تأثرت سلباً بوفاته، كما أنها أمنت طرق الملاحة البحرية،

---

(١)- مسكويه(أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٨٠.

(٢)- تقع على بعد عشرين ميل غربي مدينة أحمد آباد في إقليم الكجرات. علي(سيد رضوان): تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة في كتاب فتوح البلدان للبلاذري، مجلة العصور، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مج٢، ج١، ص١٤١؛ عبد الرحمن: الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص٤٥.

(٣)- ناحية على الحدود السندية الهندية، اشتهرت بصناعة السيوف، التي سميت على اسمها السيوف البيلمانية. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٣٤؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج١، ص٢٤٥.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٦.

الأمر الذي انعكس إيجاباً على اقتصاد الدولة الأموية، وبالتالي فقد سيطر المسلمون على أجزاء واسعة من بلاد السند والهند، واستطاع محمد بذلك أن ينهي حكم أسرة جج بن سيلانج في تلك البلاد، والتي استمرت ما يقارب المئة عام.

تاسعاً- توقف حملة محمد بن القاسم ٩٦هـ/٧١٤م:

بعد فتح الكيرج، اتجه محمد بن القاسم لفتح مملكة قنوج، التي تمتد حتى خليج البنغال(١)، ومن المعلوم أن هذه المنطقة كانت غنية بزراعاتها، وبالتالي من الممكن أن تساهم في تأمين مؤونة الجيش، بعد أن طالت خطوط الإمداد للجيش الإسلامي، ولاسيما بعد وفاة الحجاج، الذي حمل قضية فتوح السند والهند على أكتافه، ولم يتأخر يوماً عن إرسال الإمدادات إلى الجيش هناك.

كان يحكم مملكة قنوج هرجندر بن جهتل، فأرسل إليه محمد بن القاسم وفداً يدعوه فيه إلى الإسلام، ولكن هرجندر رفض دعوة محمد، وأرسل رسالة مع الوفد إليه، يهدده فيها بأن الأمور ستحسم بالسيف، ولم يكن أمام محمد بعد ذلك إلا التحضير للمعركة، فجهز الجيش وانطلق باتجاه قنوج(٢).

لكنَّ حدثاً كبيراً حصل قلب مجرى الأمور رأساً على عقب، فقبل وصول محمد إلى قنوج، وصلته رسالة من العراق تفيد بوفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك، وذلك في شهر جمادى الآخرة من عام ٩٦هـ/٧١٤م(٣)، وعلى قول آخر في شهر ربيع الأول من العام نفسه(٤)، فتوقف محمد عن

---

(١)- الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٦٥.

(٢)- الكوفي: فتح السند، ص٢٣٤- ٢٣٥.

(٣)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٨؛ المرعشي: غرر السير، ص١٢٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٩١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٠٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٤٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١٦٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص١١١.

(٤)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤١٣.

التقدم منتظراً أوامر الخليفة الجديد، وبالتالي كانت وفاته ضربة كبيرة للجيش الإسلامي في بلاد السند بشكل عام، ولمحمد بن القاسم بشكل خاص، حيث كان السند الثاني له في هذه الحملة بعد الحجاج الذي خسره قبل عام.

عاشراً- وجهة نظر في موت الخليفة الوليد والحجاج:

لقد كانت خسارة الدولة الأموية كبيرة في منتصف العقد الأخير من القرن الأول الهجري/العقد الثاني من القرن الثامن الميلادي، تمثلت برحيل رجلين من عظماء هذه الأمة، فقد توفي الخليفة الوليد في عمر لم يتجاوز التاسعة والأربعين عاماً في أقصى التقديرات التي ذكرتها الروايات(١)، واثنين وأربعين عاماً في أقل التقديرات(٢)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى توفي الحجاج ابن يوسف الثقفي ولم يتجاوز عمره الخامسة والخمسين(٣)، وعلى قول آخر الرابعة والخمسين(٤)، والثالثة والخمسين عاماً في روايات أخرى (٥)، وعلى الرغم من الإيمان الراسخ بأن الأعمار بيد الله عز وجل، إلا أن وفاة هذين الرجلين في هذا العمر يترك لدى الباحث إشارات استفهام كبرى، وبالتالي لابد من منح هذه المسألة ما تستحقها من الاهتمام، نظراً لما تركه غياب هذين الرجلين من آثار كبيرة على الدولة الأموية الممتدة على ثلاث قارات.

---

(١)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٩٢؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٥؛ الكتبي: فوات الوفيات، ج٤، ص٢٥٤.

(٢)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٨.

(٣)- ابن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١١، ص٣٠٨.

(٤)- الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٢٨؛ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٩٩؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص١٠٦.

(٥)- ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص٣٥٩؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٤٠؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٤٧٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٢، ص٢٠٠؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج٥، ص٢٠٩٥؛ ابن أبي السرور البكري(أبي الحسن علي بن أبي عبد الله ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م): بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د.ت)، ص٦١.

هناك العديد من الأسئلة التي تخطر على بال أي باحث في التاريخ، ولكن قد لا يحصل على إجابات شافية في متون الكتب، وبالتالي لابد له من الاعتماد على بعض الإشارات التي توحي بها الروايات، بهدف الوصول ما أمكن للحقيقة التاريخية، وانطلاقاً من هذه القاعدة يمكن التعامل مع قضية وفاة الوليد والحجاج، لمعرفة أسباب وفاة الرجلين، فقد حاول الخليفة الوليد في أواخر أيامه أن يعزل أخاه سليمان من ولاية العهد، ويعين ابنه عبد العزيز، وكان من أشد المناصرين له في ذلك الحجاج بن يوسف(١)، وفي أثناء ترتيب أمر ولاية العهد مرض الرجلان ومن ثم التحقا بالرفيق الأعلى، ومن خلال الروايات التاريخية يتبين للباحث بأن أعراض المرض عند الرجلين كانت واحدة، فبالإضافة إلى آلام المعدة، فقد شعر الحجاج قبل موته بالبرد الشديد، فكانت توقد النار إلى جانبه حتى تكاد تحرق ثيابه وهو لا يحس بها، بالإضافة إلى ذلك فقد كان يغشى عليه(٢)، وهي الأعراض نفسها التي أصابت الوليد قبل موته(٣).

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل تعرض الرجلان للاغتيال عن طريق دس أحد أنواع السم لهما من قبل أتباع سليمان بن عبد الملك أو سواهم؟ حيث ورد في أحد الكتب المختصة بعلم السموم، بأن بعض أنواع السموم يسبب الأعراض نفسها التي حدثت للوليد والحجاج، ولاسيما الإصابة بالبرد الشديد، وآلام في المعدة، وحالة من فقدان الوعي(٤).

---

(١)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٨٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٣٠؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك، ج٧، ص١٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٠٤؛ حسين(بثينة): الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط١، سوسة، (د.ت)، ص٢٩٩- ٣٠٠.

(٢)- الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٢٩؛ ابن تمام التميمي(أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م): المحن، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٢٤٢؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٤٧٧؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج٥، ص٢٠٩٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٣؛ ابن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص٣٠٨- ٣٠٩؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج١، ص١٩٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص١٠٨.

(٣)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٧٧- ٧٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٩.

(٤)- ابن وحشية(أحمد بن الحسين ت ٣١٨هـ/٩٣٠م): السموم والترياقات، مكتبة قطر الوطنية، الدوحة، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، ص١٨٧.

لقد كانت العلاقة بين الحجاج بن يوسف، وسليمان بن عبد الملك، متوترة جداً زمن الخليفة الوليد، وقد ذكر المؤرخ الوثابي رواية هامة جداً، يمكن للمرء من خلالها أن يفهم طبيعة العلاقة بين الرجلين، ومدى الحقد والكره العميق الذي يكنه سليمان للحجاج، حيث أرسل سليمان إلى الحجاج رسالة قال فيها: "أما بعد فإن الله لو ولاني شيئاً من أمور المسلمين، لأعذبنك عذاباً، لم يُعذبه أحدٌ من العالمين، ثم لأدفعنك لأبغض الناس إليك، يزيد بن المهلب(١)، حتى يقطع يديك ورجليك ويصلبك"، ولم يكن رد الحجاج بأقل حدة من كلام سليمان، فقد رفع وتيرة التحدي وخاطبه قائلاً: " أما بعد فقد أتاني كتابك، وقد كتبه الشيطان، وأملاه الشيطان، ومعاذ الله أن يستخلفك، وفي قلبك مثل هذا للمؤمنين ..."، وعندما وصل رد الحجاج إلى سليمان، رد عليه بالقول: " أقسم لك بالحجة إن أمكنني الله منك، لأنشبن مخالبي في أضلاعك"(٢).

إن هذه الرواية تتضمن تهديداً صريحاً من سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف، وبالتالي يبدو أن سليمان عندما شعر بأن الوليد والحجاج يعملان بجد لإبعاده عن ولاية العهد، نفذ تهديداته التي أطلقها ضد الحجاج، وقام بإصدار أوامره إلى بعض أتباعه للقيام باغتيال الحجاج من خلال السم، وبالقياس على تشابه أعراض المرض لدى الرجلين، يمكن القول أن سليمان أمر باغتيال أخيه الوليد أيضاً، حيث من المعلوم بأن الملك عقيم، ولذلك لم يجد سليمان حرجاً في التخلص من أخيه.

ولكن وبعد دراسة معظم المصادر التاريخية(٣) التي تحدثت عن وفاة الحجاج، والخليفة

---

(١)- هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، من القادة الشجعان الأجواد، تسلم ولاية العراق في عهد سليمان بن عبد الملك، وتوفي في عام ١٠٢هـ/٧٢٠م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٧٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٠٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص١٨٩؛ الملحم(محمد بن ناصر بن أحمد): يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة ودوره في بلاد الشرق، نادي الإحساء الأدبي، ط١، الإحساء، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١١.

(٢)- الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٨٦٣.

(٣)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٧٧- ٧٨؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٢٨- ٣٢٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٦- ٢٩؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٣١٧؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٣١٤؛ القالي: ذيل الأمالي والنوادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص١٩١- =

الوليد، لابد من القول أنه لم يتم الوقوف على أية رواية تتعرض لفرضية اغتيال الرجلين، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن استبعادها، ولاسيما أن الروايات تؤكد بأن الوليد أصابته هذه الأعراض قبل وفاة الحجاج(١).

لقد انفرد المقدسي(٢) بذكر رواية مفادها أن الحجاج أصيب قبل وفاته بمرض السل الرئوي(٣)، وتوفي بسبب هذا المرض، ولكن هذه الرواية قد تبدو ضعيفة، وذلك لأنه من أبرز أعراض مرض السل الرئوي الحمى وارتفاع حرارة المريض(٤)، بينما شعر كلاً من الحجاج والوليد أثناء مرضهما بالبرودة الشديدة، ولكن على الرغم من ذلك، ومما يلفت انتباه أي باحث هو ذكر البلاذري(٥) لرواية مفادها، أن أحد الأطباء الذين عاينوا الخليفة الوليد قبل موته، كان قد شخص

= ١٩٢؛ المرعشي: غرر السير، ص١١٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٢، ص١٩٤- ٢٠٠؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك، مج٧، ص١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٩١؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج١٠، ص٩٢؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج٥، ص٢٠٩٥؛ ابن أبي صبيعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١٧٩- ١٨١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٣؛ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٩٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٠٣؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج١، ص١٩٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١٣٨- ١٣٩؛ ابن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص٣٠٨- ٣٠٩؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص١٠٧- ١١٠.

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٩٢.

(٢)- المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٣٩- ٤٠.

(٣)- السل الرئوي: هو مرض معدي، تسببه نوع من البكتريا، تنتقل عن طريق الهواء إلى رئتي الإنسان. العصيمي(هند بنت صالح بن بادي): دراسة العوامل الغذائية للمصابين بالسل الرئوي بمحافظة الطائف، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٧.

(٤)- حسن(رعد فاضل)، مهدي(نبأ نعيم): دراسة تحليلية لواقع مرض التدرن في العراق باستخدام التحليل التناظر، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد: ٣٦، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٢٢٧؛ العصيمي: دراسة العوامل الغذائية للمصابين بالسل الرئوي بمحافظة الطائف، ص٩.

(٥)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٩٢.

مرض الوليد بالسل، ولكن يمكن القول أنها رواية ضعيفة في ظل الأعراض التي عانى منها الوليد قبل موته، والتي لا تشبه أعراض مرض السل، ولاسيما من ناحية شعوره بالبرد.

لقد كانت المدة الفاصلة بين وفاة الحجاج، ووفاة الوليد تسعة أشهر فقط(١)، ولذلك يبدو أن عملية الاغتيال نفذت بتنسيق عالٍ، وبتوقيت متقارب، ولكن هنا لابد من طرح السؤال التالي: لماذا لم يُتوفَ الرجلان بالتوقيت نفسه، إذا كانت عملية الاغتيال للرجلين جرت بتوقيت متقارب؟ وللإجابة عن هذا السؤال، يمكن القول أنه ليس بالضرورة أن يحدث ذلك، فمن المعلوم أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وعندما انتهى من فتح خيبر ٧هـ/٦٢٩م، قدمت له امرأة يهودية لحماً مسموماً(٢)، وقد قال النبي الأكرم قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى عام ١١هـ/٦٣٢م: " ما زلت أَجِدُ من الأكلة التي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع الأبهر مني"(٣)، وهذا دليل على أن السم من الممكن أن يقتل مباشرة، وقد يأخذ وقتاً حتى يتملك من الشخص، ويبدو أن ذلك عائد إلى كمية السم الموضوعة.

وقد وقع عدد من الباحثين(٤) في وهم، وذلك عندما ذكروا بأن من بين الأطباء الذين أشرفوا على علاج الحجاج أثناء مرضه الأخير، الطبيب المشهور تياذوق(٥)، ولكن هذه الرواية تبدو

---

(١)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٧٨؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٨٦٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٢، ص١٩٢؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج١٠، ص٩١- ٩٢.

(٢)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص١٣٨؛ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٤١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص٢٣٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٤٣٥.

(٣)- الدارمي(أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م): مسند الدارمي، تح: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص٤٦؛ أبو داود: سنن أبي داود، ج٢، ص٥٨٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٤، ص٢٦٤.

(٤)- زيادة: الحجاج بن يوسف المفترى عليه، ص٤٠٩.

(٥)- تياذوق الحكيم، طبيب اشتهر وذاع صيته في العصر الأموي، أصبح الطبيب الخاص للحجاج، وتوفي في مدينة واسط بالعراق. الدينوري(أبو بكر أحمد بن مروان المالكي ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م): المجالسة وجواهر العلم، تح:=

ضعيفة، وذلك لأن المصادر التي ترجمت للطبيب تياذوق، ذكرت بأنه توفي قبل الحجاج بخمسة أعوام، وذلك في عام ٩٠هـ/٧٠٨م(١).

إن قضية اغتيال الوليد والحجاج لم ينتهِ البحث بها، ولذلك سوف يتم تكملة التعامل معها بعد استلام سليمان للخلافة، وبالتالي يصبح المرء أقدر على فهم شخصية سليمان، ولاسيما من خلال تعامله مع قادة الفتوحات الإسلامية في مختلف الجبهات، وهو ما سيتم التفصيل به في الفصل التالي.

= أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٧، ص٢١٧؛ القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت)، ص٧٤؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١٧٩– ١٨١؛ ابن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٤٤٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٦، ص٤٧؛ البغدادي(إسماعيل): هدية العارفين، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، (د.ت)، ج١، ص٢٤٦؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص٩٦.

(١)- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١٨١؛ ابن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٤٥٠؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص٩٦.

الفصل السادس: فتوحات السند والهند منذ وفاة الخليفة الوليد حتى نهاية العصر الأموي:

أولاً- فتوحات السند والهند في عهد سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م):

١ - عزل محمد بن القاسم الثقفي عن قيادة جبهة السند والهند:

٢ - تطورات الأحداث في جبهة السند والهند بعد عزل محمد بن القاسم:

٣ - تعيين حبيب بن المهلب على جبهة السند والهند (٩٧-هـ/٧١٥م):

ثانياً-فتوحات السند والهند في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م):

١- ولاية عمرو بن مسلم الباهلي على السند والهند:

ثالثاً- فتوحات السند والهند في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١- ١٠٥ هـ/٧١٩-٧٢٣م):

١ - استيلاء يزيد بن المهلب على ولاية العراق:

٢ - تغلب آل المهلب على السند:

٣ - أوضاع السند حتى نهاية عهد يزيد بن عبد الملك:

رابعاً- فتوحات السند والهند في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٣- ٧٤٣م):

١ - ولاية الجنيد بن عبد الرحمن على السند والهند (١٠٥- ١١١هـ/٧٢٣-٧٢٩م):

٢ - ولاية تميم بن زيد القيني على السند والهند ١١١- ١١٣ هـ/٧٢٩ - ٧٣٠م:

٣ - ولاية الحكم بن عوانة الكلبي على السند والهند ١١٣- ١٢١هـ/٧٣٠-٧٣٨م:

٤ - ولاية عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي على السند والهند ١٢١-١٢٥هـ/٧٣٨- ٧٤٣م:

ثالثاً- ولاية السند والهند منذ وفاة الخليفة هشام حتى سقوط الدولة الأموية ١٢٥-١٣٢هـ/٧٤٢- ٧٥٠م:

١ -ولاية السند والهند في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥- ١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٣م:

٢ -ولاية السند والهند في عهد خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأخيه إبراهيم ١٢٦- ١٢٧هـ/٧٤٤-٧٤٥م:

٣ -ولاية السند والهند في عهد الخليفة مروان بن محمد ١٢٧- ١٣٢هـ/٧٤٥- ٧٥٠م:

أولاً- فتوحات السند والهند في عهد سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م):

١- عزل محمد بن القاسم الثقفي عن قيادة جبهة السند والهند:

تسلم سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد أخيه الوليد، ويمكن القول أن الدولة الأموية في عهد الوليد وصلت إلى أقصى اتساعها، وبلغت قوتها الذروة، وقد سخر الله لهذه الدولة قادة عظام في كل الجبهات، وعلى رأسهم محمد بن القاسم الثقفي في جبهة السند والهند، ولكن ما حصل من محاولات عزل سليمان عن ولاية العهد، وتأييد الحجاج المطلق لهذه العملية، ترك آثاره على سياسة سليمان عند توليه الحكم، والتي تجلت بعدة قرارات حاسمة قام بإصدارها.

أصدر سليمان قراراً بعزل يزيد بن أبي مسلم، وتعيين يزيد بن المهلب على ولاية العراق، وبالتالي أصبح هو المتحكم بجبهة الشرق، بالإضافة إلى ذلك فقد عين صالح بن عبد الرحمن(١) على خراج العراق، والذي قام بدوره وبأمر من الخليفة سليمان بعزل محمد بن القاسم عن جبهة السند والهند، وتعيين يزيد بن أبي كبشة والياً جديداً على تلك البلاد(٢).

ولكن لم يكتفِ صالح بن عبد الرحمن بقرار العزل، بل أمر الوالي الجديد بالقبض على محمد ابن القاسم والسير به إلى العراق، وكأنه ارتكب جرماً بفتحه لهذه البلاد الواسعة وجعلها تحت سلطة خليفة المسلمين، إن كل ذلك لم يشفع لمحمد بن القاسم، بل وضع في سجن مدينة واسط، حيث تم تعذيبه حتى مات في سجنه(٣).

---

(١)- هو أبو الوليد صالح بن عبد الرحمن التميمي، توفي عام ١٠٣هـ/٧٢٢م. الصولي(أبي بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م): أدب الكتاب، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ص١٩٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٣، ص٣٤٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٩٢؛ المرصفي: رغبة الأمل، ج٥، ص١٦٨.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٢٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٣٤؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص١٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١٦٦.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٨- ٦١٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٦- ٢٨٧.

وهنا تتحدث الروايات عن أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان قد قتل آدم، وهو أحد أشقاء صالح ابن عبد الرحمن، وبالتالي فإن صالح قتل محمد بن القاسم ثأراً لأخيه آدم، لأنه عندما تسلم ولاية العراق كان الحجاج قد مات(١).

لقد قام الخليفة سليمان بن عبد الملك بإصدار أوامره بقتل قائد جبهة بلاد ما وراء النهر قتيبة ابن مسلم الباهلي، وذلك بسبب تأييده للخليفة الوليد بمسألة عزل أخيه سليمان عن ولاية العهد(٢)، ومن جهة أخرى عزل موسى بن نصير، وطارق بن زياد عن جبهة الأندلس، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها الرجلان في هذه الجبهة، كما قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي عينه أبوه على ولاية الأندلس بعد عودته إلى دمشق(٣)، وبالتالي كان الأمر أكثر من عملية ثأر، أو تغيير قائد أو والي هنا أو هناك لسبب أو للآخر.

لابد للباحث أن يبحث عن تفسير منطقي وعلمي للأحداث على ضوء ما ذكرته الروايات التاريخية، ومن ثم محاولة الوصول إلى نتائج هامة وجديدة، تمثل إجابات منطقية عن كل الأسئلة التي قد لا يجد الباحث لها إجابات شافية وواضحة إلا بين السطور، وهنا تظهر مهمة الباحث الحقيقي والموضوعي، وانطلاقاً من هذه القاعدة وتأكيداً لفرضية قيام سليمان بن عبد الملك بتدبير اغتيال أخيه الوليد، ووالياه على العراق الحجاج بن يوسف، ومن خلال قوة الاستنتاج يمكن القول أن سليمان بن عبد الملك قام باغتيال الوليد والحجاج، وبعد تسلمه الحكم أكمل خطته بالتخلص من كل أتباعهما ورجالهما المخلصين، ولاسيما قادة الجبهات العسكرية في مختلف الاتجاهات،

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٨٤؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٤٣.

(٢)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٣٤؛ المرعشي: غرر السير، ص١٢٥؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٨٦٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص١٨؛ فياض(عبد الله): محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، مطبعة الإرشاد، ط١، بغداد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص٩٩.

(٣)- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، تح: علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٢، ص١١٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٤٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٠٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١٧٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٣٢.

حيث كان كلٌّ منهم على رأس جيش كبير، وبالتالي لابد من تعيين قيادات جديدة تتصف بالولاء للخليفة الجديد، ولاسيما أن هؤلاء القادة أظهروا إخلاصهم للخليفة الوليد، ويبدو أن معظمهم كانوا لا يرغبون برؤية سليمان في سدة الحكم، ويميلون إلى عبد العزيز بن الوليد، ولذلك خاف من أن يوجه هؤلاء القادة جيوشهم ضده في العاصمة دمشق، ومن هنا كان لابد من التخلص منهم، وعلى رأسهم محمد بن القاسم، نظراً لصلة القرابة بينه وبين الحجاج.

يمكن للباحث القول في ضوء هذا التحليل لمجريات الأحداث، أن وصول الخليفة سليمان إلى سدة الحكم مثل انقلاباً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى على عهد أخيه الوليد، وكل رجاله الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، ضارباً مصلحة الإسلام والمسلمين بعرض الحائط، بحيث تعامل مع قادة الأمة بعصبية بغيضة، تقوم على الولاءات الشخصية، متناسياً ما قدمه هؤلاء من تضحيات وجهود قل نظيرها، وكان بوسعه أن يحتضنهم ويجعلهم يستمرون في الفتوحات على الوتيرة نفسها، ولكن ربما أدرك أن عملية الانقلاب لن تكتمل إلا بالتخلص من هؤلاء القادة، ومن هنا فإن ما فعله سليمان علناً مع قادة الفتوحات الإسلامية في الأندلس وبلاد ما وراء النهر وبلاد السند، من قتل وتشريد وعزل، قام بارتكابه سراً مع الخليفة الوليد، والحجاج بن يوسف.

إن قيام سليمان بقتل محمد بن القاسم ترك آثاراً سيئة جداً على جبهة السند والهند، وعلى سير الفتوحات فيها، نظراً لأن محمد كان قد عرف هذه البلاد، بالإضافة إلى قدرته الفائقة على التعامل مع سكانها على اختلاف طوائفهم وأعراقهم، فبعد أن كان محمد بن القاسم يتجهز لفتح مملكة قنوج، ومن ثم الوصول إلى السواحل الشرقية لشبه الجزيرة الهندية، توقفت الفتوحات بانتظار الوالي الجديد، ومن هنا يشعر المرء بالحزن الشَّديد على انتهاء مصير قائد أدى خدمات جليلة للأمة الإسلامية بهذه الطريقة، كما يشعر بالحزن على انتصارات جديدة كانت ستتحقق في هذه الجبهة على يد هذا القائد الشاب، ولكن كان لسليمان رأيٌ آخر، وهو ما يصعب فهمه وتصديقه على أي عربي أو مسلم.

٢- تطورات الأحداث في جبهة السند والهند بعد عزل محمد بن القاسم:

في الحقيقة وقبل البدء بذكر الأحداث التي حصلت بعد عزل محمد بن القاسم عن ولاية السند والهند وقتله، لابد من الإشارة إلى أن المرء لا يجد تفاصيلَ كثيرة في كتب التاريخ العربية والإسلامية عن هذه الحقبة التاريخية، وذلك يعود لسبب رئيس وهو توقف كتاب فتح السند للكوفي وللأسف الشديد عند عزل ومقتل محمد بن القاسم، ولذلك وإذا ما أراد الباحث التوسع في معرفة مجريات الأحداث في جبهة السند والهند بعد محمد، فلابد له من أن يتصف بملكة القراءة الناقدة، والتي تقوم بشكل أساسي على الاستنتاج والتحليل لما ورد من روايات مقتضبة في أمهات الكتب التاريخية.

لقد تم تعيين يزيد بن أبي كبشة على ولاية السند بعد محمد بن القاسم، ولكن تتفق معظم الكتب التاريخية على أن يزيد لم يلبث في هذه الولاية أكثر من ثمانية عشر يوماً، فمات هناك دون ذكر كيفية حصول الوفاة(١)، وهنا لابد من الإشارة أن عدد من المصادر التاريخية تؤكد أن يزيد بن أبي كبشة هو من قام بعملية اعتقال محمد بن القاسم وتسييره إلى العراق(٢)، باستثناء اليعقوبي(٣) الذي ذكر بأن من قام بعملية اعتقال محمد بن القاسم هو حبيب بن المهلب(٤)، وليس يزيد بن أبي كبشة، وبالتالي وانطلاقاً من ذلك هل قام أتباع محمد بن القاسم بقتل يزيد بن أبي كبشة انتقاماً لاعتقاله وقتله في العراق؟ لا يمكن استبعاد مثل هذه الفرضية، بل يمكن القول أنها الأقرب إلى الواقع في ظل محبة الجنود والقادة في السند والهند، سواءً من المسلمين أو الهنود لمحمد بن القاسم، لمعاملته الإنسانية الراقية لهم، والتي تدل على سمو أخلاقه، وعظم المكانة التي وصل إليها في

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٩- ٦٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٨٤.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٨٣؛ الخضري بك(محمد): تاريخ الأمم الإسلامية، مطبعة الاستقامة، ط٤، جمهورية مصر العربية، ١٣٥٤هـ/١٩٢٦م، ص١٧٧؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٤٢.

(٣)- هو حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، أحد شجعان العرب وأشرافهم في العصر الأموي، قتل أثناء خروجه مع أخيه يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٢هـ/٧٢٠م. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٦٦.

تلك البلاد، وبالتالي لم يستطيعوا تحمل وجود قائد آخر مكان محمد، ولهذا السبب ربما قتلوه باعتباره ممثلاً للخليفة سليمان، ووالیه على الخراج في العراق صالح بن عبد الرحمن، الذي نفذ عملية قتل محمد بن القاسم.

لقد تدهورت الأوضاع في السند والهند بعد ذلك، وانتفضت العديد من المدن الهندية في وجه المسلمين، وعاد عدد من قادة السند والهند إلى مدنهم، ولاسيما من أسرة داهر، وعلى رأسهم ابنه جيسيه الذي لجأ إلى كشمير، ولكنه استغل اضطراب الأوضاع فعاد إلى مدينة برهمناباد، واستعصى بها وحاول إعادة بناء قوته العسكرية، وتحصين المدينة أفضل من سابق عهدها(١)، وبالتالي فقد انقلبت الأوضاع في السند والهند رأساً على عقب، وانتقل المسلمون فيها من الهجوم إلى الدفاع، فبعد وضع الخطط لفتح بقية شبه القارة الهندية قبل وفاة الوليد، انتقلت السيطرة في بعض المدن من المسلمين إلى الهنود.

٣- تعيين حبيب بن المهلب على جبهة السند والهند (٩٧-هـ/٧١٥م):

أمام الواقع الجديد في السند والهند، وتطورات الأحداث المتسارعة والتي لا تصب في صالح المسلمين، كان لابد للخليفة سليمان أن يتدارك الموقف، ويقوم بتعيين والٍ جديد على تلك البلاد، ليقوم بضبط الأوضاع فيها، وإعادة سير الفتوحات كما كانت في عهد محمد بن القاسم، فوقع اختياره على حبيب بن المهلب(٢).

وصل حبيب بن المهلب إلى ولايته، واتجه مباشرة نحو العاصمة أرور، فعبر نهر السند واصطدم مع الهنود، واستطاع تحقيق الانتصار عليهم، حيث طلب أهالي المدينة الأمان، ودخل

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٦؛ الكريطي(جابر رزاق غازي)، المسعودي(حسين كريم حميدي): بلاد الهند فترة التبعية للخلافة حتى العام (٢٤٧هـ/٨٦١م) في المصنفات العربية الإسلامية، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العدد: ٢، العراق، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، مج١٢، ص٢٣٩.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٠؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٦.

حبيب بن المهلب إلى العاصمة(١)، وقد انفرد خليفة بن خياط بذكر رواية مفادها أنه بعد موت يزيد ابن أبي كبشة، أصبح أخوه عبيد الله بن أبي كبشة(٢) والياً على السند والهند، وبعد ذلك عزل وتم تعيين عمران بن النعمان الكلاعي(٣) على هذه الولاية، ومن ثم عين حبيب بن المهلب، ولكن تبدو هذه الرواية ضعيفة، وذلك لعدم ورودها في أي مصدر عربي أو إسلامي آخر، أو ربما تم تعيينهم لمدة قصيرة.

وفي سياق آخر وبما أن جيسيه عاد إلى برهمناباد، لابد من طرح السؤال التالي: هل عاد قوفي بن داهر إلى العاصمة أرور قبل مجيء حبيب بن المهلب؟ لا يمكن استبعاد هذه الفرضية، فقد كان قوفي حاكماً على هذه المدينة بعد مقتل أبيه، ومن المعلوم أنه هرب أثناء حصار المسلمين للمدينة، وبالتالي ربما استغل فرصة عزل محمد بن القاسم، واضطراب الأوضاع في البلاد، وعاد لحكم العاصمة أرور، قبل أن يستردها حبيب مرة أخرى.

استطاع حبيب بن المهلب إخضاع معظم المناطق في السند والهند، باستثناء مدينة برهمناباد التي عاد إليها جيسيه، ولم يستطع حبيب استعادتها طيلة ولايته على السند والهند، والتي استمرت إلى نهاية عهد سليمان بن عبد الملك ٩٩هـ/٧١٧م(٤)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تراجع قوة الجيش الإسلامي في هذا الإقليم من جهة، وافتقاد هذه الجبهة لقدرات القائد الفذ محمد بن القاسم، وغياب من دعم وساند بكل قوة محمد في فتوحاته العظيمة في هذه الجبهة، وهو الحجاج بن يوسف، ومن خلفه الوليد بن عبد الملك من جهة أخرى، الأمر الذي جعل أبناء داهر يتنفسون الصعداء، ويعودون للظهور مجدداً، وعلى رأسهم جيسيه بن داهر، الذي استعصى على المسلمين في برهمناباد.

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٠؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٨٤.

(٢)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة لهذه الشخصية في كتب التراجم العربية والإسلامية، ولكن ورد ذكره عند ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٣٠.

(٣)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة لهذه الشخصية في كتب التراجم العربية والإسلامية، ولكن ورد ذكره عند ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٣٠.

(٤)- الحسين: انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في السند، ص٩٣.

انفرد الطبري بذكر رواية هامة جداً، قد تفيد الباحث في فهم أوضاع المسلمين في بلاد السند والهند في عهد سليمان بن عبد الملك، حيث ذكر: أن سليمان أرسل لوالي السند والهند رسالة يقول فيها: "ازرعوا واحرثوا فلا شأم لكم"(١)، وبالتالي فإن سليمان يصرح بأنه لن يقدم أي دعم للجيش الإسلامي في السند والهند، وأن العاصمة دمشق لديها اهتمامات أخرى، وبالتالي فإنه يتوجب على المسلمين في السند والهند أن يعتمدوا على أنفسهم، وأن يقوموا بتأمين ما يحتاجونه من مؤن من خلال زراعة المنتجات هناك، وأن لا ينتظروا أي مساعدة من العراق أو الشام.

ومن خلال هذه الرواية يدرك الباحث السبب الحقيقي لتراجع قوة الجيش الإسلامي في بلاد السند، وتوقف الفتوحات في عهد سليمان بن عبد الملك، فهو لم يبدِ أي استعداد لدعم الجيش الإسلامي هناك، على عكس أخيه الوليد الذي عمل على تأمين كل مطالب الحجاج لتجهيز حملة محمد بن القاسم، على الرغم من كلفتها العالية.

كما يصل المرء إلى نتيجة هامة أخرى، وهي أن سيطرة المسلمين على المناطق الواقعة غربي نهر السند كانت كاملة، وذلك حتى بعد عزل ومقتل محمد بن القاسم، على عكس المناطق الواقعة شرقي النهر، حيث لم تذكر المصادر التاريخية قيام أي مدينة غربي النهر بالثورة أو العصيان في وجه المسلمين، ويبدو أن تفسير ذلك يعود لعدة أسباب، أولها: أن المسلمين رسخوا وجودهم في غربي النهر بشكل أفضل من المناطق الواقعة شرقي النهر، حيث لم ينتقل محمد بن القاسم على رأس جيشه إلى الضفة الأخرى من النهر، إلا بعد أن نظم كافة أشكال الحياة في هذه المناطق، وثاني الأسباب: يعود لهروب عدد من قادة المدن الهندية إلى بعض المناطق شرقي النهر، ولاسيما إلى إقليم كشمير، الذي يتصف بتضاريس جبلية صعبة، وبالتالي لم يجد هؤلاء صعوبة تذكر في العودة إلى المناطق الشرقية عندما سنحت لهم الفرصة، بينما لم يحاول هؤلاء عبور النهر لمواجهة المسلمين في الضفة الغربية، نظراً لصعوبة المهمة، حيث لم يجرؤ داهر وهو في ذروة قوته أن يقدم على هذه الخطوة، ولذلك اكتفوا بالسيطرة على بعض المدن شرقي النهر.

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٣٠.

ثانياً- فتوحات السند والهند في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م):

قبل وفاة سليمان بن عبد الملك، نصحه رجاء بن حيوة(١) بتعيين عمر بن عبد العزيز بولاية العهد، وقد سمع سليمان نصيحة رجاء، وبالتالي فقد تولى عمر بن عبد العزيز خلافة المسلمين بعد وفاة ابن عمه سليمان، وهناك إجماع بين معظم المؤرخين بأن عمر لم يسعَ للوصول إلى السلطة، فقد كان رجلاً متديناً زاهداً وعلى درجة عالية من الأخلاق، وسيرته تشهد له بذلك(٢).

قام عمر بن عبد العزيز بعد توليه الحكم بإجراء عدة تغييرات في بعض الولايات، وكان أبرزها تعيين عبد الحميد بن عبد الرحمن(٣) والياً على الكوفة، وعدي بن أرطأة(٤) على البصرة، وذلك بعد عزل يزيد بن المهلب عن ولاية العراق(٥)، وبالتالي أصبح عدي هو المسؤول عن ولاية

---

(١)- هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندي، كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز قبل وبعد خلافة عمر، توفي عام ١١٢هـ/ ٧٣٠م. الأصفهاني(أبي نعيم أحمد بن عبد الله ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م): حلية الأولياء، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٥، ص١٧٠؛ الشيرازي(أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م): طبقات الفقهاء، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط١، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٧٥؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج١، ص١١٨؛ السيوطي: طبقات الحفاظ،، ص٥٢.

(٢)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٥٩؛ المرعشي: غرر السير، ص١٤٨؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٨٧٩، ٨٨٣؛ ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٥٩- ٦٠؛ الأصفهاني(أبي حامد محمد بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٣١- ١٣٢؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٧٧.

(٣)- هو عبد الرحمن بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب العدوي، ولد في المدينة، وتوفي عام ١١٥هـ/٧٣٣م. الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٨٦؛ المرصفي: رغبة الأمل، ج٤، ص١٧٩.

(٤)- هو أبو وائلة عدي بن أرطأة الفزاري، من أهل دمشق، توفي عام ١٠٢هـ/٧٢٠م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٥٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢١٩.

(٥)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣٥؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٦١؛ المرعشي: غرر السير، ص١٥٠؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٨٩٤- ٨٩٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٢١٧.

السند والهند، فقام بعزل حبيب بن المهلب عن هذه الولاية، وتعيين عبد الملك بن مسمع(١)، ولم يذكر البلاذري أو ابن الأثير أو غيرهما ولاية عبد الملك على السند والهند، ولكن ذكرها كلٌّ من ابن خياط(٢)، وابن منظور(٣)، ويبدو أن ولاية عبد الملك على السند والهند لم تستمر طويلاً، حيث تم تعيين عمرو بن مسلم الباهلي(٤) على هذه الولاية.

١- ولاية عمرو بن مسلم الباهلي على السند والهند:

بدأ عمرو ولايته على السند والهند بمحاولة فرض الأمن في أرجاء البلاد، والقيام بإعادة فتح بعض المناطق التي خرجت من سيطرة المسلمين، وعاد إليها بعض القادة الهنود، وعند قيامه بتجهيز الجيش الإسلامي في هذه الولاية للقيام بعمليات عسكرية كبرى، جاءته الأوامر من العاصمة دمشق بعدم القيام بأية عمليات عسكرية في السند والهند، والعمل على تغليب الجانب الدعوي على الجانب العسكري(٥).

بعد ذلك قام الخليفة عمر بإرسال رسالة إلى كافة الحكام الهنود، تضمنت دعوتهم إلى الإسلام، مع ضمان بقائهم في مناصبهم، كما تعهد بأن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم(٦)،

---

(١)- هو عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع، توفي عام ١٠٢هـ/٧٢٠م. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج١، ص٢٣٥.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٦٣.

(٣)- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج١، ص٢٣٥.

(٤)- هو عمرو بن مسلم بن بن عمرو بن الحصين بن ربيعة، فهو أخو القائد وفاتح بلاد ما وراء النهر قتيبة بن مسلم الباهلي. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٤٦؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٨١.

(٥)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٤٣؛ زكريا(ماجدة فيصل): عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، مكتبة الطالب الجامعي، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٢٨٥؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٨٠- ١٨١.

(٦)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٣؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٢، ص٤٠٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٨٤؛ خليل(عماد الدين): ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، =

وكان جيسيه بن داهر من أبرز القادة الهنود الذين استجابوا لدعوة الخليفة عمر، حيث أعلن إسلامه وأصبح والياً للخليفة عمر على مدينة برهمناباد(١)، وبالتالي ونتيجة لهذه السياسة التي اتبعها الخليفة عمر في بلاد السند والهند، فقد دخل جزء كبير من الهنود في الإسلام، وكان هؤلاء ممن تعنت ورفض الدخول في الإسلام منذ حملة محمد بن القاسم، ويبدو أن سمعة الخليفة الجديد قد سبقته إلى تلك البلاد، ومن هنا فقد ساد الهدوء والاستقرار في بلاد السند والهند في عهد الخليفة عمر، ولم تشهد قيام أي حركة أو تمرد ضد المسلمين في تلك البلاد، والفضل في ذلك بعد الله عز وجل، يعود للخليفة العادل عمر.

لقد كان عمر بن عبد العزيز خليفة من طراز نادر، فقد راقب عماله وحاسبهم عند قيامهم بأي تجاوز لصلاحياتهم، وطبق القوانين على نفسه قبل أن يطالب الولاة بتطبيقها، فقد رفض الهدية على اعتبار أنها رشوة، وعندما حاججه أحدهم بأن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كان قد قبل الهدية، فرد عمر على ذلك بقوله: "إن الهدية كانت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية، وهي لنا اليوم رشوة"(٢)، كما بعث عمر كتاباً إلى عدي بن أرطاة واليه على البصرة يقول فيه: "ليكن أومناؤك أوساط الناس، فهم خيار الناس لا يَدَعون حقاً، ولا يكتسبون باطلاً"(٣)، وبالتالي وأمام قلة الروايات

= مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٨٥؛ الصلابي: عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٦٣؛ محمد(قطب إبراهيم): السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص٨٨.

(١)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٨٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٦٨؛ شلبي(محمود): حياة عمر بن عبد العزيز، دار الجيل، ط٣، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٢٧٢.

(٢)- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٤٥، ص٢٢٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٢٠١؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٨٦.

(٣)- ابن عبد الحكيم(أبي محمد عبد الله ت ٢١٤هـ/٨٢٩م): الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، تح: أحمد عبيد، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت)، ص١٦٦.

التي تتحدث عن أوضاع بلاد السند والهند في عهد الخليفة عمر، يمكن للباحث ومن خلال التعرف على سياسة عمر في إدارة الدولة الأموية، من تفسير الاستقرار الذي ساد في السند والهند في عهده، فالروايات التي تتحدث عن زهد هذا الخليفة وورعه تكاد لا تعد ولا تحصى، ولذلك فاح عطر سمعته الزكية في كل أرجاء الأرض، ولاسيما في السند والهند.

هناك أمر هام جداً قام به عمر بن عبد العزيز في عهده، وهو أنه كان يعطي المال لمن يستألف على الإسلام(١)، وهو بذلك يسير على منهاج النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام من جهة، ويرد على كل من يعمل على تشويه صورة الفتوحات الإسلامية، والقول بأن الهدف الرئيسي منها هو جمع الغنائم من جهة أخرى، وبالتالي فإن ما حصل هو أن المسلمين كانوا يصرفون أحياناً من بيت المال على الفتوحات، أكثر مما يحصلون عليه من أموال عبر فرض الجزية أو الخراج أو غيرها من الضرائب الإسلامية، وهذا الأمر يلمسه الباحث في سيرة المسلمين العطرة في السند والهند منذ بدء الفتوحات.

وفي عام ١٠٠هـ/٧١٨م قام عمر بن عبد العزيز بعزل واليه على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي(٢)، وذلك بسبب قيامه بأخذ الجزية من الذين دخلوا في الإسلام حديثاً، بحجة أنهم دخلوا في الإسلام تهرباً من دفع الجزية، وليس إيماناً منهم بالدين الإسلامي، فقام بعزله بعد أن قال قولته الشهيرة: "إن الله إنما بعث محمداً داعياً، ولم يبعثه جابياً"(٣)، وبالقياس على ولاية السند والهند، يمكن للباحث القول أن الهنود على اختلاف مللهم ونحلهم دخلوا في الإسلام أفواجاً، حيث وجدوا في أن العدالة الاجتماعية التي مثلها الإسلام، لا لنظير لها في أي عقيدة أخرى، وهذا بدوره أسهم بترسيخ الإسلام في تلك البلاد.

---

(١)- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج١٩، ص٧٨؛ زكريا: عمر بن عبد العزيز، ص١٧٤؛ الصلابي: عمر ابن عبد العزيز، ص٢٦٤.

(٢)- هو أبو عقبة الجراح بن عبد الله الحكمي، ولد في مدينة دمشق، وكان من القادة الشجعان، وتوفي عام ١١٢هـ/٧٣٠م. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٩٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص١٨٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١١٥.

(٣)- ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١٨٨؛ الصلابي: عمر بن عبد العزيز، ص٢٧٧.

ثالثاً- فتوحات السند والهند في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١- ١٠٥ هـ/٧١٩-٧٢٣م):

توفي الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز في شهر رجب من عام ١٠١هـ/٧١٩م، وبالتالي لم تدم خلافته سوى سنتين وخمسة أشهر، وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك قد أوصى بأن تكون الخلافة لأخيه يزيد بعد عمر، وقد حافظ عمر على عهده، وبذلك وصل يزيد بن عبد الملك إلى سدة الخلافة(١).

١- استيلاء يزيد بن المهلب على ولاية العراق:

من المعلوم أن يزيد بن المهلب كان قد تولى ولاية خراسان في عهد سليمان بن عبد الملك(٢)، ولكنه سجن في عهد عمر بن عبد العزيز، حيث طالبه عمر بإرسال الأموال التي كانت لديه منذ عهد سليمان، والتي كان يزيد قد أرسل إلى سليمان يعلمه بها، ولكنه تمنع عن إرسالها بعد وفاة سليمان، بحجة أنه أخبر سليمان بهذه الأموال كنوع من التفخيم والتعظيم، حتى يسمع الناس بها ويعلموا مدى عظمة الفتوحات في خراسان، حيث قال يزيد لعمر بن عبد العزيز: " إنما كتبت إليه لأسمع الناس به، وقد علمت أنه لم يكن ليأخذني بشيء مما سمعت به ولا بأمر أكرهه"، ولكن عمر لم يصدقه وأمر بسجنه(٣).

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٧٢؛ المرعشي: غرر السير، ص١٦٥؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٩٠٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٣١؛ ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط١، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٥٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢١٩؛ مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، تح: عبد العزيز الدوري، دار الطليعة، بيروت، (د.ت)، ص٤١١.

(٢)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٩٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٠٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص١٨٩.

(٣)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٦٣؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٨٩٤- ٨٩٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣١٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٩٥.

وحين علم يزيد بمرض عمر بن عبد العزيز، هرب من سجنه، حيث أدرك أن الخليفة القادم حسب وصية سليمان هو يزيد بن عبد الملك، وكان يزيد بن المهلب قد عذب أصهار يزيد ابن عبد الملك من آل أبي عقيل أقرباء الحجاج بن يوسف، وذلك أيام سليمان بن عبد الملك، وحينها قال يزيد بن عبد الملك: "لئن وليت من الأمر شيئاً، لأقطعن منك عضواً"، ومن هنا فقد خاف يزيد أن يقع بين يدي الخليفة الجديد، فأغرى الحراس ببعض الدنانير وهرب من سجنه في حلب إلى العراق(١).

٢- تغلب آل المهلب على السند:

استطاع يزيد بن المهلب الانتصار على والي الأمويين في البصرة عدي بن أرطاة، ومن ثم قبض عليه وسجنه في مدينة واسط، وقام بتعيين وداع بن حميد الأزدي على السند، الأمر الذي أدى إلى هروب عمرو بن مسلم الباهلي من السند، وقد اتخذ وداع من قندابيل مقراً له، ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى رغبة يزيد بإبقاء وداع على مسافة قريبة من العراق، ولتكون قندابيل ملجأً لآل المهلب في حال هزموا في العراق(٢).

بعد ذلك أراد يزيد بن المهلب السيطرة على الكوفة، ولكن الخليفة يزيد أرسل أخاه مسلمة ابن عبد الملك، وابن أخيه العباس بن الوليد على رأس جيش استطاع الانتصار على يزيد بن المهلب وقتله في معركة العقر(٣)، وعلى أثر ذلك قام معاوية بن يزيد بن المهلب بإخراج عدي بن أرطاة من السجن وقتله، وجمع أهله وركب البحر باتجاه السند، وكان قد حمل معه أموال بيت المال في البصرة، ونزل في كرمان، وانتقل منها إلى قندابيل(٤).

---

(١)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٢٨٧- ٢٩٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٦٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٩٦- ٩٧.

(٢)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣٥؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٧٥؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ج٨، ص٢٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ٣٣٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٩٧- ٩٩.

(٣)- تقع بالقرب من مدينة كربلاء في العراق. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٣٦؛ الحميري: الروض المعطار، ج١، ص٤١٨.

(٤)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٨٢؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ج٨، ص٢٢٥- ٢٢٨؛ =

بعد أن أصبح مسلمة بن عبد الملك والياً لأخيه يزيد على العراق، قام بإرسال هلال بن أحوز المازني(١) للقضاء على آل المهلب في السند، وإعادتها إلى كنف الدولة الأموية، وقد تعرض آل المهلب إلى نكسة كبيرة، حيث انضم وداع بن حميد إلى هلال بن أحوز، وبالتالي جرت الأمور على غير ما يشتهي آل المهلب، فتعرضوا لهزيمة كبرى، وقتل معظم أفراد هذه الأسرة في قندابيل، وأُرسل البقية كأسرى إلى الخليفة يزيد في دمشق، وبذلك انتهت سيطرة آل المهلب على ولاية السند(٢).

٣- أوضاع السند حتى نهاية عهد يزيد بن عبد الملك:

بعد القضاء على نفوذ آل المهلب في السند، تسلم هلال بن أحوز الولاية، ولابد أن فتنة آل المهلب في العراق، وضمهم السند إلى سيطرتهم، قد ترك أثراً سلبياً على الأوضاع العامة في تلك الولاية، حيث أصبحت خارج سيطرة الخليفة الأموي في دمشق لأول مرة منذ بداية الفتوحات الإسلامية في تلك البلاد، ولكن العملية العسكرية الخاطفة التي نفذها مسلمة بن عبد الملك في العراق، وإرساله هلال إلى السند، أعادت الأمور إلى نصابها.

= المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٦٤؛ المرعشي: غرر السير، ص١٧٦؛ الوثابي: تاريخ الخلفاء، ص٩١٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٣٩؛ ابن أبي الحديد(عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م): شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت)، ج١، ص٢٤٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٩٩؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٨١.

(١)- هو هلال بن أحوز بن أربد المازني المالكي التميمي، توفي بعد عام ١٠٢هـ/٧٢٠م. الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٩٠؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٨٥؛ المرصفي: رغبة الأمل، ج٧، ص١٥٧- ١٥٩.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٨٤؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٣٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٨٨؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ج٨، ص٢٣١- ٢٣٢؛ المرعشي: غرر السير، ص١٧٦؛ الحصري: جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص١٩٦؛ أبو عبيد الله البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج٣، ص١٠٩٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٤٣- ٣٤٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص١٠٠.

لم تدم ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق طويلاً، حيث قام الخليفة يزيد بعزله، وتعيين عمر بن هبيرة الفزاري(١) بدلاً منه، وذلك في عام ١٠٢هـ/٧٢٠م(٢)، ولم يذكر أي مصدر تاريخي حصول أي تغيير في ولاية السند طيلة عهد يزيد بن عبد الملك، باستثناء تاريخ خليفة بن خياط، حيث ذكر قيام عمر بعزل هلال بن أحوز عن ولاية السند والهند، وتعيين عبيد الله بن علي السلمي(٣)، وبعد ذلك حصل تغيير آخر، تمثل بعزله وتعيين عبد الحميد بن عبد الرحمن(٤) مكانه، الذي استمر حتى نهاية عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ١٠٥هـ/٧٢٣م(٥)، ولا يستطيع المرء أن يعطي رأياً حاسماً حول ولاية كلٌّ من عبيد الله، وعبد الحميد، وذلك نظراً لعدم ذكرهما عند أي مؤرخ آخر، ولكن ربما تسلموا الولاية لمدة وجيزة.

على الرغم من أن المصادر التاريخية لم تذكر أية رواية تاريخية عن الأوضاع في مدن السند وحصونها، باستثناء قضية آل المهلب في قندابيل، ولكن الباحث ومن خلال الاضطرابات التي حصلت في العراق من جهة، وما تبعها من معارك بين آل المهلب وهلال بن أحوز في قندابيل من جهة أخرى، يمكن القول أن الأوضاع في السند والهند كانت سيئة في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، ومن هنا يتبين للباحث أن الأوضاع في السند والهند كانت بشكل دائم انعكاساً للأوضاع في ولاية العراق.

---

(١)- هو أبو مثنى عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري، توفي عام ١١٠هـ/٧٢٨م. ابن سلام الجمحي(محمد ابن سلام بن عبد الله بن سالم ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت)، ج٢، ص٣٤٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٥٨.

(٢)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٩٦؛ الجهشياري(أبي عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ/٩٤٣م): الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، ط١، القاهرة، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ص٥٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٥١؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص١٠٣.

(٣)- لم يتم الوقوف على أي ترجمة له، ولكن ذكره ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٨٤.

(٤)- هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي، كان والياً لعمر بن عبد العزيز على الكوفة، توفي عام ١١٥هـ/٧٣٣م. الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٨٦؛ المرصفي: رغبة الأمل، ج٤، ص١٧٩.

(٥)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٤٨٤.

رابعاً- فتوحات السند والهند في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٣- ٧٤٣م):

تولى هشام بن عبد الملك خلافة المسلمين في شهر شعبان- ١٠٥هـ/حزيران- ٧٢٣م، واستمر في الحكم عشرين عاماً(١)، حاول خلالها تثبيت أركان الدولة، والاهتمام بولاياتها الواسعة، ولاسيما ولاية العراق، التي يشرف واليها على جميع ولايات الشرق الإسلامي، ومنها ولاية السند والهند.

١- ولاية الجنيد بن عبد الرحمن(٢) على السند والهند (١٠٥- ١١١هـ/٧٢٣-٧٢٩م):

هناك خلاف بين المؤرخين حول تاريخ ولاية الجنيد على السند والهند، فالبلاذري(٣) ذكر بأن عمر بن هبيرة هو من عين الجنيد، ومن المعلوم أن الخليفة هشام عزل عمر بن هبيرة عن ولاية العراق في عام ١٠٥هـ/٧٢٣م(٤)، وولى مكانه خالد القسري(٥)، أما ابن الأثير فقد ذكر بأن الخليفة هشام هو من عين الجنيد على ولاية السند والهند عام ١٠٧هـ/٧٢٥م(٦)، ولكن يبدو أن ما ذكره

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص١١١؛ المرعشي: غرر السير، ص١٨٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢٦١.

(٢)- هو الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث المري الدمشقي، وهو أحد الأجواد الشجعان، تولى السند، ومن ثم خراسان، توفي عام ١١٥هـ/٧٣٣م. ابن حزم: جمهرة أنساب الأشراف، ج١، ص٢٥٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٤٠.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٠.

(٤)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص١١١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٤٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢٦١.

(٥)- هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، أحد خطباء العرب وأجوادهم، تولى ولاية مكة، ومن ثم ولاية العراق لمدة خمسة عشر عاماً، توفي عام ١٢٦هـ/٧٤٣م. الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٢٩٧.

(٦)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧٧.

البلاذري أقرب إلى الحقيقة، حيث أن أوضاع السند والهند كانت مضطربة، وبالتالي لا يمكن للخليفة هشام أن يترك البلاد تغرق في الفوضى لمدة عامين في خلافته، بالإضافة إلى ذلك فإن تعيين خالد القسري عام ١٠٥هـ/٧٢٣م على العراق، يجعل تعيين الجنيد في العام نفسه أمراً أقرب إلى المنطق والموضوعية.

توجه الجنيد إلى السند والهند، وكانت محطته الأولى مدينة الديبل، ومنها تابع مسيره إلى الضفة الغربية لنهر السند، واستطاع عبوره والانتقال إلى الضفة الشرقية، ومن ثم قصد مدينة برهمناباد، التي كانت تحت سيطرة جيسيه بن داهر منذ أن أقره عمر بن عبد العزيز عليها، ولكن ما حصل أن جيسيه منع الجنيد من دخول برهمناباد، ويبدو أن جيسيه لم يأمن جانب الجنيد، وبالتالي فإن العلاقة بين الرجلين بدت متوترة منذ البداية، الأمر الذي جعل الطرفين يتحضران للقتال، مما أدى إلى نشوب معركة بين الجانبين(١).

جرت المعركة بين المسلمين بقيادة الجنيد، والهنود بقيادة جيسيه على الضفة الشرقية لنهر السند، وقد انتهت المعركة بانتصار كبير للمسلمين، وأسر في هذه المعركة جيسيه، ويبدو أن الجنيد استفاد من تجارب المسلمين في المعارك البحرية في تلك البلاد منذ ولاية محمد بن القاسم، وهذا ما ظهر جلياً في هذه المعركة.

اتخذ الجنيد قراراً هاماً بعد المعركة، تمثل بقتل أسيره جيسيه، ونتيجة لذلك قرر صصه بن داهر الذهاب إلى العاصمة دمشق لكي يشكو الجنيد إلى الخليفة هشام، وعندما وصلت أخبار صصه إلى الجنيد، استعمل دهاءه وما يمتلكه من خبرة سياسية في كسب ثقة صصه، وعندما وثق به الأخير، قام بقتله كما قتل أخاه جيسيه(٢).

وهنا لابد للباحث من طرح سؤال في غاية الأهمية، وهو ما الذي دعا الجنيد لقتل جيسيه وأخيه صصه؟ حيث يبدو أن القرار اتخذ من العاصمة دمشق بإنهاء حكم أسرة داهر بن جج،

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧٧؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص١٣١.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧٧؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٩٢.

نظراً لما تسببوا فيه من أذية للمسلمين في السند والهند، وإدراكهم بأنهم لن يوفروا جهداً حتى يقضوا على وجود المسلمين في تلك البلاد، كما يمكن أن يكون هدف الجنيد من قتل أولاد داهر هو التخلص مما تتمتع به هذه الأسرة من شرعية سياسية في نظر الهنود.

بعد ذلك استطاع الجنيد الدخول إلى برهمناباد وقام بترتيب أوضاعها، وانطلق على رأس جيشه إلى مدينة الكيرج، ولكن المدينة استعصت على الجنيد، حيث خرجت الجيوش من المدينة لمواجهة المسلمين، وجرت معركة حاسمة بالقرب منها، انتهت بهزيمة ساحقة للهنود، ومن ثم هروبهم إلى داخل المدينة ليتحصنوا خلف أسوارها، ولكن المسلمين فرضوا حصاراً على المدينة، وبدأوا بضرب أسوارها بالمنجنيقات، كما استعملوا الكباش لهدمها أيضاً، وهذا ما أدى إلى إحداث فجوات كبيرة في أسوار المدينة، وتم دخول الجيش الإسلامي إليها، حيث حصلت معركة أخرى داخلها، انتهت بانتصار المسلمين، حتى أن حاكم المدينة وقع في الأسر، وبالتالي عادت المدينة إلى سيطرة المسلمين(١).

كانت خطة الجنيد تقضي بالسيطرة على كامل إقليم الكجرات، فجهز جيشه واستطاع السيطرة على هذا الإقليم، ومدنه الهامة(٢)، حيث أن هذا الإقليم كان يمثل قاعدة خلفية للجيوش الهندية، وبالتالي كان لابد من تصفية كل الجيوب الهندية في هذا الإقليم من جهة، والسيطرة عليه والاستفادة من موقعه الهام على ساحل بحر العرب من جهة أخرى، وبالتالي تأمين الطريق التجاري بين العراق وشبه الجزيرة العربية، والسواحل الغربية والشرقية لشبه القارة الهندية، وقد استمر الجنيد في حملاته المتواصلة على كل الجيوب والحصون السندية الثائرة، حتى أعاد بسط سيطرة المسلمين على أرجاء واسعة من السند والهند، وأعاد إلى الذاكرة بطولات محمد بن القاسم الثقفي، وبعد ذلك عاد الجنيد إلى مدينة برهمناباد، حيث يبدو أنه اتخذها مقراً لحكم البلاد.

---

(١)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٤٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧٧؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ج٢، ص٦٨.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢١؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٩٢؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص١٣٢- ١٣٣.

كانت نجاحات الجنيد في ولاية السند والهند سبباً في نقله إلى ولاية خراسان في عام ١١١هـ/٧٢٩م(١)، ويبدو أن سبب هذا النقل يعود إلى أن الدعوة العباسية بدأت تقوى وتشتد في خراسان، ولكن ومن وجهة نظر متواضعة فإن قرار نقله إلى خراسان كان خطأً فادحاً، نظراً لأهمية بلاد السند والهند في تطويق خراسان من ناحية الجنوب، بالإضافة إلى أن الجنيد أصبح يملك خبرة واسعة في السند والهند، وبالتالي كان بالإمكان تعيين قائد آخر على جبهة خراسان، ومن المعلوم أن الدولة الأموية كانت تزخر بالعديد من رجال الدولة القادرين على التعامل مع مختلف التطورات السياسية والعسكرية.

٢- ولاية تميم بن زيد القيني(٢) على السند والهند ١١١- ١١٣ هـ/٧٢٩ - ٧٣٠م:

بعد نقل الجنيد من ولاية السند والهند إلى ولاية خراسان، قام خالد القسري بتعيين تميم بن زيد القيني والياً على السند والهند(٣)، ولم يكن تميم يتمتع بالقدرات العسكرية والإدارية التي كان يتمتع بها سلفه الجنيد، وهذا ما ظهر جلياً من خلال دخوله في صراعات قبلية لا طائل منها، وكان من الأفضل له أن يترفع عن الدخول بها، وأن يعمل على تقريب وجهات النظر بين اليمانية والمضرية، ولكنه قرب اليمانية على حساب خصومهم، ولذلك دخل العرب والمسلمون في صراعات داخلية، وتركوا الباب واسعاً أمام القادة الهنود لكي يستعيدوا قوتهم، ومن ثم استطاعوا أن يسيطروا على مناطق واسعة من السند والهند(٤).

لم يكد يصل تميم إلى ولاية السند والهند، حتى بدأت الثورات تعم أرجاء البلاد، وبدأت الأقاليم تخرج من أيدي المسلمين الواحد تلو الآخر، وكان أول هذه الأقاليم الكجرات، وتبعه بقية الأقاليم

---

(١)- المرعشي: غرر السير، ص١٨٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٩٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص١١٠.

(٢)- هو تميم بن زيد بن منبه بن معقل بن حارثة بن أمية، من بني قين. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص٤٥٤.

(٣)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٥٣٨؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٩٤؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٩٣.

(٤)- الحسين: انتشار الثقافة الإسلامية، ص٩٨؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص١٣٤.

والمدن والحصون، حيث اضطر تميم أن يتخذ قراراً حاسماً بالعودة إلى العراق، وذلك بهدف تجهيز حملة عسكرية، يكون هدفها استعادة ما خسره المسلمون في السند والهند، ولكن تميم توفي عند وصوله إلى الديبل(١).

من خلال هذا العرض للأحداث في السند والهند أثناء ولاية تميم، يمكن القول أن نقل الجنيد إلى خراسان قد ترك أثراً سلبياً واضحاً على الأوضاع في تلك البلاد، وما زاد الأوضاع سوءاً أن تميم لم يكن رجل دولة، لذلك انحدرت أوضاع المسلمين في السند والهند إلى درجة لم تشهدها منذ حملة محمد بن القاسم الثقفي، ومن جانب آخر يبدو أن بعض القادة الهنود، كانوا ما يزالون يتحينون الفرصة للإيقاع بالمسلمين، وحين لمسوا الضعف والتفرقة في صفوفهم أثناء ولاية تميم، انتقلوا من الأطراف إلى السيطرة على داخل البلاد، ولابد أنهم تلقوا مساعدة من بعض الخلايا النائمة في المدن الداخلية.

كما أن هناك مسألة أخرى تستحق المناقشة، وهي قضية وفاة تميم في الديبل، فأمام عدم وجود ترجمة وافية لتميم بن زيد، وعدم معرفة عمره الحقيقي أثناء وفاته، يمكن للباحث أن يتساءل عن سبب وفاة تميم، في ظل الظروف السياسية والعسكرية التي استجدت في السند والهند، فهل تعرض تميم لعملية اغتيال من قبل الهنود، أو من قبل خصومه المضرية؟ وعلى الرغم من عدم ذكر أي مصدر من المصادر(٢) التي ذكرت ولاية تميم على السند والهند لفرضية اغتياله، إلا أنه لا يمكن استبعاد تلك الفرضية.

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٢- ٦٢٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٨٤؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٩٣.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٥٣٨؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٢؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٩٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص١١٠.

٣- ولاية الحكم بن عوانة الكلبي(١) على السند والهند ١١٣- ١٢١هـ/٧٣٠- ٧٣٨م:

أمام تطور الأحداث في السند والهند، قام والي العراق خالد القسري بتعيين الحكم بن عوانة الكلبي والياً على تلك البلاد، ولم تكن مهمة الحكم سهلة، حيث عمت الاضطرابات والفوضى أرجاء البلاد، ولكن الحكم كان لديه خبرة إدارية وعسكرية كبيرة، لأنه كان من القادة الذين رافقوا الفاتح الكبير محمد بن القاسم، ومن ثم تم تعيينه والياً على خراسان(٢)، وبالتالي يمكن القول أن اختياره والياً على السند والهند كان في مكانه.

بدأ الحكم ولايته على السند والهند بإصلاح البيت الداخلي، حيث قام بتعيين عمرو بن محمد ابن القاسم الثقفي ليتولى الشؤون الإدارية في الولاية، ومن المعلوم أن عمرو من المضرية، وكان له سمعة حسنة بين العرب جميعاً، نظراً لمكانة والده محمد الكبيرة في قلوبهم، ومن جانب آخر كان الحكم من اليمانية(٣)، وبالتالي شعر كلا الجانبين أنهما ممثلين في الحكم، وهذا انعكس إيجاباً على الأوضاع في الولاية.

وعلى صعيد آخر عمل على الاهتمام بالجيش، واستعاد ما فقده المسلمون من مدن وحصون(٤)، وبعد ذلك عمل الحكم على ترسيخ الوجود العربي والإسلامي في السند والهند، فقام ببناء أول مدينة عربية وإسلامية في تلك البلاد، واختار أن يكون موقعها شرقي نهر السند، بجانب مدينة برهمناباد، لتكون موطناً للعنصر العربي في السند والهند، وقاعدة تنطلق منها الجيوش الإسلامية لمواجهة أي خطر طارئ، وقد استشار الحكم بعض رجاله في تسمية المدينة الجديدة، فاقترح أحدهم اسم دمشق،

---

(١)- هو الحكم بن عوانة بن عياض بن وزر بن عبد الحارث بن أبي حصن. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص٤٥٨- ٤٥٩.

(٢)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص١٢٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢٥٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٦٤.

(٣)- الحسين: انتشار الثقافة الإسلامية، ص٩٩؛ أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين، ص١٣٥.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٧.

بينما قال آخر: حمص، في حين اقترح رجل آخر اسم تدمر، فرد عليه الحكم بقوله: "دمر الله عليك يا أحمق"، وأطلق عليها اسم المحفوظة(١).

ولابد أن المسجد ودار الإمارة كانا من أهم العناصر المعمارية في مدينة المحفوظة، بالإضافة إلى أسوار المدينة لتفادي أي هجمات معادية، كما يمكن للباحث القول أن الحكم أحسن اختيار موقع المدينة على الضفة الشرقية لنهر السند، فهي من جهة قاعدة للمسلمين في المناطق الشرقية للنهر، ومن جهة أخرى يسهل على المسلمين إمدادها بالمقاتلين والمؤن عبر نهر السند، في حال تعرضت لأي حصار.

لقد تفاجأ خالد القسري بمقدار النجاح الذي حققه الحكم في ولاية السند والهند، ويظهر ذلك من خلال قوله: "وا عجباً وليت فتى العرب فرُفض، يعني بذلك تميم بن زيد، ووليت أبخل الناس، فرُضي به"(٢)، وبالتالي ومن خلال ذلك يبدو أن الأمور استقامت للمسلمين في السند والهند، وعاد الهدوء والأمن ليعم أرجاء البلاد.

في عام ١٢٠هـ/٧٣٧م قام الخليفة هشام بعزل خالد القسري عن ولاية العراق(٣)، وعين مكانه يوسف بن عمر الثقفي(٤)، وقد بدأ يوسف ولايته بعزل عمال خالد، ولذلك توقع الحكم أن الأمر سيسري عليه، لذلك جهز جيشاً وأراد الاستمرار بالفتوحات، وقد قال في في ذلك: " إما فتح يرضى به يوسف، وإما شهادة أستريح بها منه"، وقد اختار القدر له الشهادة، حيث نالها في عام ١٢١هـ/٧٣٨م(٥).

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٧.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٣.

(٣)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٥١٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص١٨٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٣٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٧٤.

(٤)- هو أبو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، قتل عام ١٢٧هـ/٧٤٤م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص١٠١- ١١١.

(٥)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٤.

٤- ولاية عمرو بن محمد بن القاسم على السند والهند ١٢١- ١٢٥هـ/٧٣٨- ٧٤٣م:

بعد مقتل والي السند والهند الحكم بن عوانة، حصل نزاع على من يخلفه، بين عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي، وبين محمد بن غزان(١)، وعلى أثر ذلك قام يوسف بن عمر والي العراق باستشارة الخليفة هشام فيمن يولي على السند والهند، فوقع اختيار الخليفة هشام على عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي(٢).

بدأ عمرو بن محمد ولايته على السند والهند ببناء مدينة جديدة في تلك البلاد، لتكون على غرار مدينة المحفوظة ملجأً للعرب والمسلمين في شرقي نهر السند، حيث اختار موقعها بالقرب من مدينة برهمناباد، وأطلق على المدينة اسم المنصورة(٣)، ولابد أن هذه المدينة كانت محصنة بأسوار قوية، بالإضافة إلى بقية العناصر المعمارية التي تميز المدن الإسلامية.

وقد تعرضت مدينة المنصورة لأول اختبار عسكري، وذلك عندما قام أحد القادة الهنود بمحاصرة المدينة، فما كان من عمرو إلا أن طلب إمدادات عسكرية من العراق، فأمده والي العراق يوسف بن عمر بأربعة آلاف مقاتل، وقد قسم عمرو جيشه إلى قسمين، قسم لحماية المدينة، وقسم آخر لمهاجمة الهنود، وكلف معن بن زائدة الشيباني(٤) بقيادة الجيش الإسلامي لمهاجمة معسكر الهنود، واستطاع المسلمون تحقيق نصر عظيم في هذه المعركة(٥).

---

(١)- لم يتم الوقوف على ترجمة لهما في كتب التراجم، ولكن ورد ذكره باسم يزيد بن عرار عند اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٤؛ أما الطبري فذكره باسم محمد بن غزان، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٥٧.

(٢)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٥٧؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٩٤.

(٣)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٦٩.

(٤)- هو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك، من أجواد العرب، كان موصوفاً بالشجاعة والكرم، وأصبح فيما بعد من أمراء الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، قتله الخوارج عام ١٥٢هـ/٧٦٩م. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٥٠٣؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج١، ص٢٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٦٣١.

(٥)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٤؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص١٩٥.

لقد أعاد عمرو بن محمد بهذا الانتصار الهيبة للمسلمين في تلك البلاد، كما أنه ذكر بفتوحات أبيه المظفرة، ولكن ما أن استتبت الأمور له في السند والهند، حتى خرج عليه مروان بن زيد بن المهلب(١)، وأراد السيطرة على ولاية السند والهند، ولكن عمرو تحرك بسرعة وأفشل مخططه، ومنح الأمان لاتباع مروان دونه، وهذا ما أدى إلى انفضاض الناس من حوله، كما أن بعضهم انقلب عليه ودل عليه رجال عمرو، فأمر بقتله(٢).

استقرت الأوضاع بعد ذلك في ولاية السند والهند، واستمر عمرو في ولايته حتى وفاة الخليفة هشام ابن عبد الملك في عام ١٢٥هـ/٧٤٢م، ولكن ما يلفت انتباه أي باحث في تاريخ الهند والسند، هو قلة الروايات التاريخية عن هذه الولاية في تلك الحقبة، حيث لا يجد المرء روايات مفصلة عن الأوضاع في كبرى مدن السند والهند، في أمهات الكتب الإسلامية، ولاسيما الطبري، والبلاذري، وخليفة، وغيرهم من كبار المؤرخين، ولكن ومن خلال الشذرات القليلة التي ذكرها البلاذري واليعقوبي، حول ولاية عمرو بن محمد بن القاسم، يمكن للباحث أن يستنتج أن عمرو بن محمد استطاع ضبط الأوضاع في السند والهند، ولاسيما في المناطق الجنوبية الواقعة شرقي نهر السند، ويظهر ذلك جلياً من خلال بناء مدينة المنصورة بالقرب من برهمناباد، علاوة على المناطق الغربية من نهر السند، ولكن في ظل سكوت جميع المصادر الإسلامية عن ذكر أية رواية عن المناطق الشمالية شرقي نهر السند، والمقصود هنا المدن الواقعة شمال مدينة أرور، وأبرزها مدينة المولتان، يحق للباحث طرح سؤال بديهي، وهو هل زالت سيطرة المسلمين عن أرور والمولتان وما جاورهما من المدن والحصون؟ وهنا يمكن القول: يبدو أن عدد من قادة السند والهند تمكنوا من العودة إلى تلك المدن، والدليل على ذلك حصارهم لمدينة المنصورة في الجنوب، في حين أن استهداف مدينة بعيدة عن إمدادات المسلمين مثل المولتان، أسهل بالنسبة للهنود، ولكن وبقوة الاستنتاج يبدو أنها كانت تحت سيطرة الهنود، وبالتالي شكلت مع مدينة أرور قاعدة لانطلاق الحملات ضد المسلمين.

---

(١)- لم يتم الوقوف على ترجمة له في كتب التراجم، ولكن ورد ذكره عند اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٢)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٥؛ المباركبوري: العقد الثمين، ص٢٠٤.

خامساً- ولاية السند والهند منذ وفاة الخليفة هشام حتى سقوط الدولة الأموية ١٢٥-١٣٢هـ/٧٤٢-٧٥٠م:

١- ولاية السند والهند في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥- ١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م:

بعد وفاة الخليفة هشام، تولى الخلافة ابن أخيه الوليد بن يزيد عام ١٢٥هـ/٧٤٢م(١)، وتختلف الروايات التاريخية حول من تولى السند والهند في عهد الوليد، حيث ذكر ابن خياط: أن عمرو بن محمد استمر في ولايته على السند والهند طيلة عهد الوليد بن يزيد(٢)، بينما ذكر اليعقوبي: أنه تم عزل عمرو عن السند والهند، وتعيين خصمه اللدود محمد بن غزان(٣)، ولكن يبدو أن ما ذكره ابن خياط أقرب إلى الحقيقة، حيث يتبين ذلك من خلال ترجمة يوسف بن عمر الثقفي التي وردت عند ابن خلكان(٤)، حيث ذكر: بأنه استمر على ولاية العراق طيلة عهد الخليفة الوليد، وبالتالي لا يستبعد أن يكون يوسف أبقى عمرو بن محمد على ولاية السند والهند، وذلك نظراً لتبعية ولاية السند والهند لولاية العراق في العصر الأموي.

في الحقيقة لا يجد الباحث أية رواية عن ولاية السند والهند في عهد الوليد، ولكن يبدو أن الأوضاع في تلك الولاية استمرت على حالها، دون تحقيق أي تقدم يذكر للمسلمين في السند والهند، وبالتالي لم يجد المؤرخون أي جديد لذكره.

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٢٢؛ ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٦٢؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تح: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص١٠٠؛ الكندي(محمد بن يوسف بن يعقوب ت ٩٦١هـ/١٥٥٣م): ولاة مصر، تح: حسين نصار، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص١٠٥.

(٢)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٥٥٣.

(٣)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٤.

(٤)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص١٠٩.

٢- ولاية السند والهند في عهد يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأخيه إبراهيم ١٢٦- ١٢٧هـ/٧٤٤-٧٤٥م:

بدأت الأوضاع تضطرب في مركز الدولة الأموية، وتجلى ذلك بمقتل الخليفة الوليد عام ١٢٦هـ/٧٤٤م، وتسلم الخلافة بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك(١)، ولكن لم تدم خلافته أكثر من ستة شهر، حيث تسلم بعده أخوه إبراهيم، الذي كان تارة يسلم عليه بالخلافة، وتارة أخرى بالإمارة، ولم تدم خلافته أكثر من شهرين ونيف، حيث عزل عن الخلافة عام ١٢٧هـ/٧٤٥م، وتولى الخلافة بعده مروان بن محمد بن مروان بن الحكم(٢).

قام الخليفة يزيد بن الوليد بعزل يوسف بن عمر عن ولاية العراق، وعين مكانه منصور ابن جمهور الكلبي(٣)، وبدوره قام منصور بعزل عمرو بن محمد عن ولاية السند والهند، وعين مكانه محمد بن غزان(٤).

ما أن وصل محمد بن غزان إلى ولايته، حتى أمر بسجن عمرو بن محمد، ولكن عمرو تناول سيفاً من أحد الحراس، وضرب به بطنه، فلم يعش أكثر من ثلاثة أيام حيث مات على أثرها(٥)، وبالتالي لم تكن نهاية عمرو أفضل من نهاية والده محمد.

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٣٥؛ ابن الأثير، ج٤، ص٤٧٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٧؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص٢٩١.

(٢)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٧٣؛ ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٥٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٩٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٣٤؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٢٤.

(٣)- هو منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو الكلبي. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص٤٥٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٩٨.

(٤)- ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص٣٦٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٨٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٤.

(٥)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٥٨.

قام الخليفة يزيد بعد مدة وجيزة بعزل منصور بن جمهور عن العراق، وعين مكانه عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز، وقد أبقى الأخير محمد بن غزان والياً على السند والهند، على الرغم من أنه عين من قبل سلفه منصور(١).

٣-ولاية السند والهند في عهد الخليفة مروان بن محمد ١٢٧- ١٣٢هـ/٧٤٥- ٧٥٠م:

اختار الخليفة مروان بن محمد والياً جديداً على العراق، حيث وقع اختياره على يزيد بن عمر بن هبيرة(٢)، وقد استطاع يزيد الانتصار على الخوارج الذين ثاروا في العراق، وكان معهم منصور بن جمهور، وبسبب هذه الهزيمة هرب منصور إلى السند(٣)، ولكن وبالإضافة إلى ذلك فقد ذكر مؤرخون آخرون(٤): بأن منصور بن جمهور شارك في الحركة التي قادها عبد الله بن معاوية بن عبد الله(٥) ضد الدولة الأموية، ولكن هذه الحركة انتهت بالفشل الذريع، ونتيجة لذلك لجأ منصور إلى والي السند والهند محمد بن غزان.

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٦٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٩٣؛ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٢٠٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص١٣٦.

(٢)- هو أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة، من بني فزارة، توفي عام ١٣٢هـ/٧٥٠م. البغدادي: أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٧٤- ١٧٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٠٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص١٨٥.

(٣)- ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٦١٧؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٩- ٢٧١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٢٠.

(٤)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٢٧٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص١٤٤؛ مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص٢٥١.

(٥)- هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قتل عام ١٢٩هـ/٧٤٦م. أبو الفرج الأصفهاني(علي ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م): مقاتل الطالبيين، تح: أحمد الصقر، مطبعة أمير، قم، ١٤١٦هـ/١٣٧٤م، ص١٥٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٣٩.

من خلال ما تقدم، ومن وجهة نظر متواضعة، يمكن القول أن منصور بن جمهور اتخذ من السند والهند قاعدة ينطلق منها للمشاركة في الحركات المناوئة للدولة الأموية في العراق وخراسان، وبالتالي لم يكن هدفه الاستقرار والسيطرة على السند والهند فحسب، حيث كان يعتبر السيطرة على السند والهند بمتناول اليد، كونه هو من عين محمد بن غزان على تلك الولاية، ولذلك فقد كان هدفه السيطرة على العراق، وإخراجها من السيطرة الأموية، ومن هنا وعندما فشلت مخططات منصور بن جمهور في إحداث أي خرق على الجبهة الأموية في العراق، أراد أن يستقر في ولاية السند والهند، ولكنه تفاجأ بموقف سلبي اتجاهه من محمد غزان، الذي يبدو أنه خشي من منصور من جهة، ورأى أن الخليفة مروان بن محمد سيعيد أمجاد الدولة الأموية من جهة أخرى، فاختار الوقوف ضد منصور بن جمهور.

بعدما أدرك منصور بن جمهور نوايا والي السند والهند محمد بن غزان، سار بمحاذاة الضفة الغربية لنهر السند، وسيطر على سيوستان، ومن ثم قرر عبور نهر السند، حيث استخدم أخشاب بعض السفن في عبور الجيش، ولم يكن أمام محمد بن غزان إلا أن خرج لملاقاته، حيث جرت معركة بين الطرفين، انتهت بانتصارٍ كبيرٍ لمنصور، ولجأ على أثر ذلك محمد إلى المنصورة، ففرض منصور عليها حصاراً شديداً، حتى اضطر محمد إلى الاستسلام، فقبض عليه منصور، وأمر بقتله بطريقة غريبة، حيث أمر جنوده بوضعه في أسطوانة والبناء عليه، وبذلك سيطر منصور ابن جمهور على ولاية السند والهند(١).

أراد منصور أن يمتن سيطرته على السند والهند، وينظم أمور الولاية، فأرسل أخاه منظور ابن جمهور إلى الديبل، وقندابيل(٢)، ولابد أن الهدف من إرسال أخيه إلى المناطق الغربية من البلاد، تحصينها في مواجهة أي خطوة عسكرية تقوم بها الدولة الأموية لاستعادة ولاية السند والهند، والقضاء على تمرد منصور، وكذلك التأثير على التجارة البحرية للدولة الأموية مع شبه الجزيرة الهندية، من خلال الضغط على السفن التجارية انطلاقاً من الديبل.

---

(١)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٧١.

(٢)- المصدر نفسه، ص٢٧١.

سقطت الدولة الأموية عام ١٣٢هـ/٧٥٠م، وذلك بعد هزيمة آخر خلفائها مروان بن محمد في معركة الزاب أمام العباسيين، وبذلك انطوت صفحة من صفحات المجد التي يجب أن يفتخر بها العرب والمسلمون على حد سواء، وبدأ عصر الخلافة العباسية، الذي دام قرابة خمسة قرون ونيف(١).

استمرت سيطرة منصور بن جمهور على السند والهند بعد انتهاء الدولة الأموية، وبقي فيها حتى عام ١٣٤هـ/٧٥٢م، حيث وجهت الدولة العباسية حملة للسيطرة على السند والهند، وكانت بقيادة موسى بن كعب التميمي(٢)، وقد استطاع موسى الانتصار على منصور، الذي اضطر إلى الهرب، ولكن جنود موسى تتبعوه واستطاعوا قتله، وبهذا أصبحت السند والهند تابعة للخلافة العباسية، حيث أصبح موسى بن كعب أول والٍ عباسي على تلك البلاد(٣).

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٣٥٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٤٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص١٦٣.

(٢)- هو موسى بن كعب التميمي المروزي، أحد نقباء العباسيين الاثني عشر، وتوفي عام ١٤١هـ/٧٥٨م. الذهبي: العبر في خبر من غير، ص١٤٨؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج١، ص٢٩٣.

(٣)- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٩٣.

الفصل السابع: الآثار والنتائج العامة للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند.

أولاً- الآثار والنتائج السياسية والإدارية والعسكرية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:

١ - الآثار والنتائج السياسية والإدارية:

٢ - الآثار والنتائج العسكرية:

ثانياً- الآثار والنتائج الدينية والاجتماعية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:

ثالثاً- الآثار والنتائج الاقتصادية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:

رابعاً- الآثار العمرانية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:

أولاً- الآثار والنتائج السياسية والإدارية والعسكرية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:

١ - الآثار والنتائج السياسية والإدارية:

لقد استطاع الأمويون أن يفتحوا جزءاً هاماً من شبه القارة الهندية، وأن يقضوا على مملكة داهر، التي كانت تضمر العداء للإسلام والمسلمين، وتقوم بأعمال عدائية تجاههم، ومن هذه الأعمال قيامها باستقبال بعض المعارضين للدولة الأموية، واستخدامهم من قبل الملك داهر لتوجيه هجمات ضد المناطق التابعة للدولة الأموية، وبالتالي فقد اتسمت العلاقات بين الجانبين بالعدائية، ومن هنا بذل الأمويون جهوداً جبارة لفتح تلك البلاد.

جرت عمليات الفتح بتنظيم ودقة قل نظيرهما، مما يدل على ما وصلت إليه الدولة الأموية من تطور في كافة المجالات السياسية والإدارية والعسكرية، فقد كان محمد بن القاسم يعمل على تنظيم المدينة التي يقوم بفتحها ويعين عليها والياً، وهذا ما جرى في مدينة الديبل التي عين عليها وداع ابن حميد البحري(١)، وهو ما فعله في بقية المدن في السند والهند، ومن خلال ذلك يمكن القول أن الأمويين باشروا بناء المؤسسات والدواوين في مملكة السند والهند، وعملوا على إدارة هذه البلاد بكفاءة عالية، تعكس ما توصلوا إليه من تطور في المجال الإداري.

إن أول نتائج فتح السند والهند في العصر الأموي على الصعيد السياسي، كان إقصاء عائلة داهر عن حكم تلك البلاد، حيث أصبحت ولاية السند والهند تابعة لوالي العراق، الذي يشرف على ولايات الشرق عامة، ويحكمها باسم الخليفة الأموي بدمشق، وبالتالي زادت رقعة الدولة الأموية، ووصل حكم المسلمين لأول مرة إلى حدود كشمير.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٠٨.

لقد استطاع الأمويون أن يصلوا إلى مناطق في بلاد السند والهند، عجز كبار الفاتحين في التاريخ أن يصلوا إليها وعلى رأسهم الإسكندر المقدوني، كما أن الأمويين تفوقوا على الإسكندر بقدرتهم على تنظيم البلاد والاستقرار فيها، وبالتالي ومن خلال ذلك يمكن للباحث أن يجد الفرق واضحاً بين الفتح الإسلامي للسند والهند، والغزو المقدوني بقيادة الإسكندر لتلك البلاد، حيث لم يترك الغزو المقدوني أي أثر حضاري، على عكس دخول المسلمين إلى تلك البلاد، الذي رافقه نهضة سياسية وحضارية شاملة، وأسس لوجود المسلمين في تلك البلاد حتى يوم الناس هذا، وهنا لابد من القول أن على الباحث الموضوعي أن يدرك بأن محمد بن القاسم تفوق على الإسكندر المقدوني في فتوحاته في الهند والسند، وتفوق عليه مرة أخرى في قدرته على إدارة البلاد، على الرغم من أن الرجلين لم يكتب الله لهما العمر المديد، وتوفاهما عز وجل في بداية العقد الرابع من عمرهما.

إن المسلمين لم يقوموا بممارسة الاضطهاد السياسي ضد الهنود، بل قام الولاة المسلمون وعلى رأسهم محمد بن القاسم بتعيين الهنود في عدد من المناصب القيادية، ولاسيما أصحاب الخبرة منهم، ومن هؤلاء الوزير سياكر، الأمر الذي أدى إلى انخراط الهنود في مؤسسات الولاية، وتعاونهم مع القائمين عليها بمسؤولية عالية.

كان للسياسة التي اتبعها محمد بن القاسم في استقطاب الهنود، ومعاملتهم معاملة إنسانية راقية، أكبر الأثر في نجاح العمليات العسكرية في السند والهند، وترسيخ نفوذ الأمويين في تلك البلاد البعيدة، حيث كان إذا عاهد صدق في عهده، وإذا وعد وفى، فكان قائداً من طينة الكبار، عمل بما حتمه عليه دينه وضميره، فلم تكن السياسة بالنسبة إليه فن الكذب والاحتيال، بل استطاع أن يمثل الفروسية العربية بأصدق معانيها، وهو القادم من أرض الطائف منبت القادة والرجال، الذين شاركوا بالفتوحات الإسلامية بكل شجاعة، ولذلك فقد انضم إليه العديد من القادة والأمراء الهنود، لأنهم أدركوا أن هذا الرجل يملك قاعدة أخلاقية راسخة، وينتمي إلى أمة عظيمة، وإلى دولة بدأ نفوذها يمتد في ثلاث قارات، ولم يكن تعامل محمد بن القاسم مع الهنود حالة فريدة في العصر الأموي، بل كانت استراتيجية اتبعها معظم الخلفاء والقادة المسلمين، وعلى رأسهم عمر ابن عبد العزيز، الذي ذاع صيته في أنحاء شبه الجزيرة الهندية.

كما أنه من المعلوم أن القارة الهندية محاطة بالمياه من ثلاث جهات، بينما تحدها جبال صعبة المسالك في الشمال، وبالتالي فإن المناطق الشمالية، تعد منطقة منغلقة على كل المؤثرات الحضارية التي تحصل في مناطق العالم المختلفة، وعند دخول المسلمين إليها أدخلوا معهم ما توصلوا إليه من أنظمة وقوانين في مختلف المجالات، وبالتالي بدأت رياح الحضارة تهب على هذه البلاد، بعد أن فتح المسلمون الباب لها على أوسع نطاق.

ويمكن للباحث في تاريخ الفتوحات الإسلامية في السند والهند، أن يقوم بعمل إحصائية تبين مصير الولاة والقادة الذين جاؤوا إلى تلك البلاد، حيث بلغ عددهم بعد الأخذ بكافة الروايات في المصادر التاريخية، تسعة وثلاثين والياً وقائد حملة، فكانت الشهادة من نصيب تسعة منهم، بالإضافة إلى ذلك فقد تعرض عدد من القادة والولاة إلى القتل بيد أبناء جلدتهم، وبلغ عددهم أربعة، وهم محمد بن القاسم، وابنه عمرو بن محمد، ومحمد بن غزان الكلبي، ومنصور بن جمهور الكلبي، لذلك يشعر كل عربي ومسلم بالأسف الشديد عندما يعلم أن الولاة والقادة المسلمين الذين قتلوا بأيدي إخوانهم، يقارب نصف عدد الذين استشهدوا وقدموا أرواحهم في سبيل أمتهم، أما بقية الولاة والقادة فقد توفي بعضهم وفاة طبيعية، أو كانت حملاتهم حملات استكشافية أو تمهيدية لحملات أكبر إذا صح القول، وبالتالي كان هؤلاء يعودون إلى مراكزهم بعد انتهاء مهمتهم، كما تم عزل ونقل عدد منهم.

إن غياب الخليفة الوليد بن عبد الملك، ووالية القوي على الشرق الحجاج بن يوسف الثقفي، وما تبعه من عزل محمد بن القاسم الثقفي، قد ترك أثراً كارثياً على متابعة الفتوحات في شبه القارة الهندية، حيث يبدو أن مشروع الحجاج ومحمد بن القاسم، كان يقضي بفتح شبه القارة الهندية والصين، وبالتالي يرقى إلى أن يكون مشروعاً عالمياً، أراد إيصال الحضارتين العربية والإسلامية إلى أقصى الشرق.

لقد شكل بقاء عدد من المقاطعات في شبه القارة الهندية خارج السيطرة الإسلامية، ملجأً لبعض القادة الهنود المتعصبين والرافضين للوجود العربي والإسلامي في القارة الهندية، ومنطلقاً للهجمات ضد المسلمين في تلك البلاد، حيث كانوا يستغلون المدة التي تعقب استشهاد أي والٍ

في السند والهند، أو أي اضطراب سياسي يحدث في العراق، ليقوموا بشن الغارات لاستعادة عدد من الحصون والمدن.

كما يمكن القول أنه من خلال استعانة المسلمين بعدد من الشخصيات الهندية في الحكم والإدارة في عدد لا يستهان به من المدن في تلك البلاد، واستخدامهم من جهة أخرى لعدد من المترجمين، وهذا ما ظهر جلياً أثناء عمليات التفاوض التي كانت تجري عند تسليم أي مدينة هندية، فإن العرب والمسلمين ربما وضعوا هدفاً مستقبلياً يتمثل بأسلمة ومن ثم تعريب تلك البلاد، على اعتبار أن الدولة الأموية كانت عربية الهوى والهوية، ويمكن للمرء أن يستدل على ذلك من خلال بناء المساجد في كل مدينة يتم فتحها، ومن المعلوم أن مهمة المسجد لا تقف عند أداء الصلاة فحسب، بل تتعدى إلى أمور أخرى، حيث يمثل الجانب التعليمي أحد أركانها الأساسية، فضلاً عن أنه يعد أحد المؤسسات التي تمثل سلطة خليفة المسلمين في العاصمة دمشق، ولكن يبدو أن تدهور الوضع السياسي في العراق والشام في آواخر العصر الأموي، والذي انتهى بسقوط الدولة الأموية من جهة، وظهور الدولة العباسية، التي لم تولِ حركة التعريب أهمية بالغة من جهة أخرى، قد حال دون إتمام هذا المشروع الحضاري، الذي كان سيؤدي إلى زيادة الأثر الحضاري للعرب والمسلمين في السند والهند.

في بداية الفتوحات التي قادها محمد بن القاسم، اتخذ المسلمون من مدينة الديبل مركزاً لحكم المناطق الواقعة غربي نهر السند، ولكن بعد الانتقال إلى الضفة الأخرى من النهر بعد هزيمة جيش داهر في معركة الضفة الشرقية لنهر السند، عمل المسلمون على اتخاذ مدينة برهمناباد عاصمة لولاية السند والهند، واستمرت تتمتع بمكانتها السياسية، حتى قام والي السند والهند الحكم ابن عوانة الكلبي ببناء مدينة جديدة وهي المحفوظة، واتخذها عاصمة جديدة للولاية، حيث بنيت على الطراز الإسلامي في إنشاء المدن، ولتكون مدينة إسلامية خالصة، ولكن بعد قيام عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي ببناء مدينة المنصورة، أصبحت هذه المدينة عاصمة جديدة للمسلمين في ولاية السند والهند.

إن أوضاع الفتح الإسلامي في شبه القارة الهندية، كانت صورة تعكس إرادة الخليفة الأموي في دمشق، ووالياه علي العراق، ومن هنا يمكن للباحث أن يفهم سبب توقف الفتوحات بعد وفاة الخليفة الوليد، ووالياه الحجاج بن يوسف، حيث تدنى مستوى الدعم المقدم من مركز الدولة لدعم حركة الفتوحات في شبه القارة الهندية منذ عهد الخليفة سليمان، باستثناء الفتوحات التي قادها الجنيد.

لقد اتضح من خلال فتوحات المسلمين في السند والهند بشكل عام، وحملة محمد بن القاسم الثقفي بشكل خاص، أن المسلمين كان لديهم جهاز بريد متطور للغاية، وهذا ما ظهر جلياً من خلال المراسلات التي كانت تجري بين الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق، ومحمد بن القاسم في السند والهند، حيث كانت المراسلات قائمة على قدم وساق بين الرجلين بمعدل كل ثلاثة أيام تقريباً، بالإضافة إلى ذلك فقد تبين من خلال حملة محمد بن القاسم، امتلاك الدولة الأموية، ولاسيما الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق، جهاز استطلاع متطور للغاية، بحيث كانت مهمته تقوم على نقل كل أخبار السند والهند إلى الحجاج في العراق، وبالتالي كان لا يعتمد فقط على ما يتم نقله إليه من قبل والي السند والهند، ومن هنا يمكن القول أن الهنود تأثروا بهذا الجانب، بالإضافة إلى ذلك لا يمكن استبعاد فكرة أن الحجاج استخدم عدداً من الهنود في عمليات الاستطلاع داخل تلك البلاد، وهو ما يعكس تطور المؤسسات في الدولة الأموية، ويدل على تميز الحجاج في الجانب السياسي والإداري.

بعد تسلم سليمان بن عبد الملك منصب الخلافة، وإصداره الأوامر بعزل محمد بن القاسم عن ولاية السند والهند، واعتقاله ومن ثم قتله، وردة فعل محمد بن القاسم، التي تمثلت بإطاعة الأوامر، والانصياع لرغبة الخليفة، على الرغم من أنه كان يدرك المصير الذي كان ينتظره من جهة، وقدرته على التمرد على الخليفة، والاستقلال بولاية السند والهند لو أراد ذلك من جهة أخرى، لابد أن هذه الأحداث قد تركت أثراً كبيراً لدى الهنود، من خلال إدراكهم لمدى التزام المسلمين بأوامر الخليفة الأموي في دمشق.

٢ - الآثار والنتائج العسكرية:

لقد ترك المسلمون أثراً كبيراً في شبه القارة الهندية على الصعيد العسكري، وذلك من خلال تعرف الهنود على آلات الحصار التي استقدمها المسلمون معهم أثناء عمليات الفتح، ولاسيما المنجنيقات، بالإضافة إلى الأسلوب الذي اتبعوه في عمليات الحصار، وإجبار الخصوم على التفاوض دون إراقة الدماء، كما استفاد الهنود من الخطط العسكرية التي اتبعها كبار القادة العسكريين المسلمين، وأبرزهم الفاتح الكبير محمد بن القاسم الثقفي، والجنيد بن عبد الرحمن وغيرهم من القادة.

كما كان لسياسة محمد بن القاسم الثقفي أثرٌ كبيرٌ في انضمام المقاتلين الهنود مع قادتهم إلى الجيش الإسلامي، ومن خلال ذلك استطاع محمد ضرب التفوق الهندي في العنصر البشري، حيث من المعلوم أنه لا يمكن مقارنة جيوش الفتح الإسلامي، بعدد المقاتلين في تلك البلاد، وبالتالي لابد أن المسلمين استفادوا من خبرة المقاتلين الهنود في معرفة أفضل الممرات في السند والهند، بالإضافة إلى معرفة هؤلاء المقاتلين بأسلوب القتال الذي تتبعه الجيوش الهندية، وأبرز الأسلحة التي كانوا يستخدمونها.

لابد أن الهنود تأثروا بطريقة قتال الجنود المسلمين، حيث اشتهر المقاتل المسلم بشجاعته واندفاعه إلى العدو دون خوف، بالإضافة إلى مهارته في ركوب الخيل، وقدرته على التحكم به في ساحة المعركة، بينما تأثر المسلمون بالهنود في كيفية التعامل مع الفيلة، واستخدامها في ساحات القتال، فضلاً عن استفادة العرب من صناعة السيوف الهندية، وبالتالي تأمين حاجة الجيش الإسلامي من الأسلحة في السند والهند، وربما تم إرسال عدد من الصناع الهنود إلى العراق والشام، للاستفادة منهم في دور صناعة الأسلحة هناك، من خلال الاستفادة من خبرتهم، بالإضافة إلى إمكانية استيراد الحديد من شبه القارة الهندية، لإمداد دور صناعة الأسلحة بما تحتاجه من هذه المادة الهامة، حيث تعد شبه القارة الهندية بشكل عام، وإقليم السند من أغنى مناطق العالم في الحديد(١).

---

(١)- ابن صراي(حمد محمد): العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوبي شرقي آسيا، الجمعية التاريخية السعودية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٩٣.

لقد وجه المسلمون حملات بحرية إلى شبه القارة منذ العصر الراشدي، وكانت أولى تلك الحملات بقيادة عثمان بن أبي العاص الثقفي، كما أن حملة محمد بن القاسم الثقفي رافقها أسطول بحري لا يستهان به، وقد شغل دوراً مهماً في نجاح الحملة، ولاسيما في حصار المدن البحرية مثل الديبل، ومن ثم استخدم في نقل معدات الحصار الثقيلة والمنجنيقات إلى داخل السند والهند، وذلك من خلال الاستفادة من صلاحية نهر السند للملاحة إلى مسافة بعيدة داخل السند والهند، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تطور صناعة السفن في شبه الجزيرة العربية قبل وبعد الإسلام، ومن ثم وصلت هذه الصناعة إلى مزيد من التطور أبان العصر الأموي، حيث بنيت دور لصناعة السفن في الشام ومصر، ولابد أن الحجاج بنى دوراً لصناعة السفن في العراق، حيث نسبت إليه السفن المقيرة(١)، والتي تم دهن أرضها بالقار، وربما تم استخدام هذا النوع من السفن في حملة محمد بن القاسم إلى السند والهند، وبالتالي ونتيجة أن القارة الهندية هي شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات، فلابد أن الهنود استفادوا من تطور صناعة السفن عند المسلمين، ومن الأساليب الجديدة المبتكرة التي توصلوا إليها لتحديث السفن، لكن وبالمقابل أخذ المسلمون عن الهنود صناعة البوارج التي اشتهروا بها، ولكن المسلمين استطاعوا تطويرها واستخدامها في الأعمال العسكرية في المحيط الهندي(٢).

من خلال ذلك يستطيع الباحث أن يخلص إلى نتيجة هامة، وهي أن المسلمين اهتموا بصناعة السفن منذ ما قبل الإسلام، وكان لديهم أسطول تجاري في المحيط الهندي والخليج العربي، وسفن حربية للدفاع عن السواحل العربية، وحماية السفن من القراصنة، وبالتالي فقد ترك المسلمون أثرهم على الصعيد العسكري لدى الهنود برياً وبحرياً، ومن هنا يمكن القول أن العرب والمسلمين خبروا البحر قبل فتوح الشام بمئات السنين.

ومن أهم آثار ونتائج الفتح الإسلامي للسند والهند، كان فرض السيادة الإسلامية على جزء كبير من السواحل الواقعة على ضفتي المحيط الهندي، وبالتالي فقد أصبح الطريق البحري بين سواحل شبه الجزيرة الهندية الغربية والشرقية من جهة، وبين سواحل شبه الجزيرة العربية والعراق

---

(١)- الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٣٦٤؛ ابن رسته: الأعلاق النفيسة، مج٧، ص١٩٥- ١٩٦.

(٢)- إبراهيم(سفيان ياسين): القرصنة في بحر الهند خلال العصر العباسي، مجلة جامعة كركوك، العدد: ٢، جامعة الموصل، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، مج١١، ص٤٦؛ عبادة: سفن الأسطول الإسلامي، ص٢٢، ٢٤.

من جهة أخرى، يتمتع بقدر كبير من الأمن والسلام، وذلك بعد أن استطاع المسلمون القضاء على القراصنة الهنود، الذين كانوا يتخذون من مدينة الديبل منطلقاً لشن غارات بحرية على السفن التجارية ونهب محتوياتها.

من خلال تتبع سير الحملات العسكرية إلى السند والهند منذ العصر الراشدي حتى الفتح الكبير، فإن الباحث يستنتج أن هدف المسلمين في البداية كان يتمثل بالسيطرة على مدينة الديبل، وعند إخفاقهم في تحقيق هدفهم، ركزوا جهودهم في السيطرة على إقليم مكران، لتصبح منطلقاً لشن الهجمات البرية ضد مملكة السند والهند، ومن هنا يفهم المرء إرسال الحجاج بن يوسف الثقفي حملتين برية وبحرية للسيطرة على مدينة الديبل، حيث يبدو أنه كان من الصعوبة في مكان السيطرة عليها بغير تلك الاستراتيجية، نظراً لموقع هذه المدينة الهام، مما يثبت مرة أخرى على امتلاك الحجاج لفكر عسكري متقدم.

على الرغم من وجود أطول أنهار شبه القارة الهندية في إقليم السند، وعبوره لتلك البلاد من شمالها حتى الجنوب، فإن العرب والمسلمين استطاعوا الانتصار على داهر في معركة الضفة الشرقية لنهر السند، حيث تعامل محمد بن القاسم مع جغرافية المنطقة بحنكة وذكاء، ومن خلفه الحجاج في العراق الذي كان يمده بكل الخطط والتكتيكات اللازمة لأي معركة، بعد القيام بدراسة جغرافية المنطقة، والأدوات المناسبة للتعامل معها بأفضل شكل، حيث استطاع المسلمون عبور النهر دون أن يخسروا الكثير من المقاتلين، ومن هنا فقد خاض المسلمون جميع أنواع المعارك في شبه القارة الهندية، سواءً البرية أو البحرية أو النهرية، وأثبت المقاتلون المسلمون أن لديهم الكفاءة القتالية في مختلف أنواع التضاريس، الأمر الذي لابد أنه ترك أثراً كبيراً في الفكر العسكري لدى الهنود.

من خلال كل ذلك وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي فصلت بين الفتح الكبير للسند والهند بقيادة محمد بن القاسم، وبين سقوط الدولة الأموية، والتي لا تتجاوز الأربعين عاماً، إلا أن الأثر السياسي والإداري والعسكري للمسلمين في السند والهند كان كبيراً، نظراً لتفوق الحضارة العربية والإسلامية على نظيرتها في السند والهند، وكونها استفادت من إرث الحضارتين الفارسية والبيزنطية بعد فتوح الشام والعراق.

ثانياً- الآثار والنتائج الدينية والاجتماعية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:

مما لا شك فيه أن الشريعة الإسلامية تحمل في طياتها مبدأ التعايش السلمي بين جميع شعوب الأرض، ومن هنا يمكن القول أن أحد أهدافها إقامة نظام عالمي إنساني، شعاره المحبة والسلام، ومتجاوزاً كل الفروقات العنصرية، سواءً من حيث العرق أو الجنس أو غير ذلك، حيث يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾(١)، وبالتالي فقد شعر المسلمون الأوائل أنه يقع على عاتقهم إيصال رسالة الإسلام السمحاء إلى كافة أصقاع الأرض، ولاسيما إلى شبه القارة الهندية، التي لا يفصلها الكثير عن موطن الإسلام الأول.

من المعلوم أن داهر بن جج كان ينتمي إلى طائفة الهندوس، وفي هذه الطائفة يقسم المجتمع إلى طبقات متفاوتة، فهناك طبقات تتمتع بمزايا عظيمة، في حين يوجد طبقات مسحوقة، ومهمتها تقديم الخدمات للطبقات الأعلى، وبالتالي فقد غابت العدالة الاجتماعية في جزء كبير من القارة الهندية، ولاسيما في المناطق الخاضعة لسيطرة داهر، وتحولت حياة الطبقات المعدومة إلى ما يشبه الجحيم، ولذلك كانت في حالة جهوزية تامة للتعاون مع أي قوة في المنطقة، تستطيع إخراجهم مما هم فيه، ونظروا إلى الإسلام على أنه تلك القوة، التي تتسم بطابع العالمية، وتقوم على مبادئ إنسانية لا نظير لها في بقية الأديان في السند والهند.

يمكن القول أن أول النتائج الدينية والاجتماعية للفتوحات الإسلامية في شبه الجزيرة الهندية، تمثلت بدخول أعداد كبيرة من السكان في الدين الإسلامي، بعد أن شاهدوا بأم العين أن الدين الإسلامي لا يفرق بين البشر، حيث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: " أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم "(٢)، فهل يوجد قانون

---

(١)- القرآن الكريم: سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢)- ابن حنبل: المسند، ج٥، ص٤١١.

على وجه الأرض أكثر عدلاً ومساواةً من هذا القانون، وكان المسلمون يحرصون على تنفيذ وصايا القرآن الكريم، وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم بحذافيرها، ومن هنا فقد شكلت هذه المبادئ عوامل جذب للهنود من مختلف الأديان والطبقات، لكي يدخلوا في الدين الإسلامي.

لم تسجل المصادر التاريخية على الإطلاق، قيام العرب والمسلمين عند فتح السند والهند، بحرق أي كتاب مقدس لأي طائفة في تلك البلاد، أو أي مكتبة مهما كان نوعها، وهذا دليل آخر على أن الفتح الإسلامي لهذه البلاد كان فتحاً حضارياً، لم يعمل على طمس الحضارة الهندية، بل عمل المسلمون على نقل منجزات الحضارة العربية والإسلامية في كل المجالات، ولاسيما في المجال الاجتماعي، فضلاً عن نقل رسالة الله تعالى التي أرسلها إلى خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم.

لم يكن هدف المسلمين هدم معابد الطوائف الهندية المختلفة من هندوس أو بوذيين أو غيرهم، باستثناء ما استخدم منها لأغراض عسكرية، أو كان يشكل رمزية معينة، وبالتالي تم التعامل معه عسكرياً لضرب الروح المعنوية للمدافعين، وهذا ما حصل في مدينة الديبل، بينما لم يمس محمد بن القاسم الثقفي المعبد الكبير في العاصمة أرور بسوء، وحافظ على عهده للسكان بأن يُبقي على معبدهم، وأن يسمح لهم بحرية ممارسة طقوسهم الدينية، ولا يمكن لمحمد بن القاسم أن يتبع هذه السياسة دون الرجوع إلى قيادته في العراق والشام، والملفت أن المسلمين تعاملوا مع أبناء هذه الطوائف على أنهم أهل ذمة، وبأن معابدهم لا تختلف عن كنائس اليهود والنصارى، حيث قال محمد بن القاسم مقولته الشهيرة في هذا الصدد: " ما البد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس "(١)، ولكنه في الوقت نفسه قام ببناء مسجد كبير في المدينة، لكي يكون منارة لنشر الدعوة الإسلامية بين أهل تلك البلاد بالكلمة الطيبة، كما أن محمد بن القاسم سمح بإصلاح معبد مدينة برهمناباد(٢).

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٧.

(٢)- أرنولد(توماس): الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٣٠٦.

كانت طبقة البراهمة من أشد الطبقات في الديانة الهندوسية مقاومة للجيش الإسلامي، مدفوعة بتعصب ديني بغيض، كانت هذه الطبقة تمارسه على أبناء جلدتها من الهنود، فكيف بالمسلمين القادمين من العراق والشام، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت هذه الطبقة حريصة على الاحتفاظ بالميزات الكبيرة التي كانت تتمتع بها قبل الفتوحات الإسلامية، وإلى جانب طبقة البراهمة فقد كانت طبقة الجند بمثابة القاعدة التي اعتمد عليها داهر في مقاومته للفتوحات الإسلامية، حيث كانت هذه الطبقة تحصل على امتيازات كبيرة قبل الفتوحات الإسلامية.

أما بالنسبة للطبقات التي انضمت إلى جانب المسلمين، فكان أبرزها المنبوذين، حيث لم يكن لهؤلاء أية حقوق في نظام الطبقات الهندوسي، في حين أنهم وجدوا في الإسلام ملجأً لا يحلمون به، حيث شعر أتباع هذه الطبقة بإنسانيتهم، بعد أن جردوا منها على مدار مئات الأعوام، وعوملوا معاملة لا ترقى إلى معاملة البشر، بالإضافة إلى المنبوذين، فقد انضم أفراد طبقة الشودر، وهم طبقة الخدم والعبيد والأسرى، بأعداد كبيرة إلى المسلمين، حيث كانوا يعيشون حياة بائسة قبل دخول المسلمين إلى شبه القارة الهندية.

أما طبقة الزراع والتجار، فعلى الرَّغم من أنهم كانوا يحتلون المرتبة الثالثة في نظام الطبقات الهندوسي، إلا أنهم كانوا أقرب إلى الطبقة الرابعة منها إلى الطبقة الثانية، وبالتالي كانوا يشعرون بالاضطهاد والظلم، فلا يحصلون على امتيازات توازي دورهم الكبير الذي كانوا يشغلونه في الحياة الاقتصادية لشبه الجزيرة الهندية، ومن جانب آخر يستنتج الباحث أن محمد بن القاسم اهتم بهذه الطبقة، وحاول استقطابها إلى جانب المسلمين، حيث عمل على إنشاء محكمة لرد المظالم بعد فتح مدينة الديبل، وقام بتعويض الفلاحين والتجار عن كل ضرر أصابهم من جراء حصار المدينة(٢)، بالإضافة إلى ذلك فبعد فتح مدينة برهمناباد، عمل محمد بن القاسم على إعادة النشاط التجاري إلى المدينة(٣)، وكان قد سبق دخول المسلمين إلى المدينة، وأثناء حصارهم لها، خروج

---

(١)- الدجيلي: مظاهر الحياة الاجتماعية في الهند في العصور الإسلامية، ص٧٩.

(٢)- أبو خليل: فتح الديبل، ص١٠٨- ١٠٩.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١٩٨- ٢٠٤.

مجموعة من التجار إلى محمد بن القاسم، طالبين منه منحهم الأمان، وعارضين عليه التعاون لفتح المدينة، وهو ما حصل بالفعل(١)، وبالتالي يمكن للباحث أن يستنتج رغبة طبقة التجار والزراع بالتعاون مع المسلمين، ولاسيما أنهم أدركوا بأن ما سيدفعونه في ظل النظام الإسلامي، أقل بكثير مما كانوا يدفعونه لداهر وأبنائه من بعده، في حين أن مكانتهم ستصبح أعلى مما كانت عليه في ظل نظام الطبقات الهندوسي، وبالتالي فقد دخل التجار والزراع إلى الإسلام بأعداد كبيرة، مدفوعين بالحفاظ على مصالحهم، أو مقتنعين بمبادئ الدين الإسلامي، التي مثلها محمد بن القاسم خير تمثيل.

من خلال هذا الاستعراض للتغيرات التي طرأت على طبقات المجتمع الهندوسي، بعد الفتوحات الإسلامية، يمكن للباحث أن يستنتج أن طبقة البراهمة تقلص تأثيرها ونفوذها في السند والهند، واقتصر عملها بعد دخول المسلمين إلى البلاد على ممارسة الطقوس الدينية، والإشراف على المعابد الهندوسية، دون أن يكون لها أية امتيازات طبقية على غيرها من السكان، باستثناء أنها كانت تحصل على جزء من الأموال التي يقدمها أتباع هذه الديانة للمعابد.

أما بالنسبة لطبقة الجند، فبعد الهزائم العسكرية التي تعرضت لها الجيوش الهندية أمام محمد بن القاسم، فإنها خسرت حيزاً كبيراً من مكانتها المعنوية في عيون بقية طبقات الشعب الهندوسي، ونتيجة لذلك فقد ترك عدد كبير من أفراد هذه الطبقة ميادين القتال، واتجهوا للمشاركة في الحياة الاقتصادية، والعمل في التجارة أو الزراعة، وبالتالي لم تعد هذه الطبقة غير منتجة كما كانت قبل الفتوحات، الأمر الذي لا بد أنه ساهم في تطور الحياة الاقتصادية في البلاد.

كما أن طبقتي الخدم والعبيد، والمنبوذين، انخرطوا في الحياة الاقتصادية من جهة، وفي الجيش الإسلامي من جهة أخرى، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء قد تسلموا بعض المناصب الإدارية في البلاد، أو قيادة بعض الكتائب العسكرية، أو تم منحهم أراضٍ ليقوموا باستثمارها في إنتاج بعض الزراعات، أو العمل في التجارة، وبالتالي أصبح لديهم دخل مالي كفيل بأن يعيشوا حياة كريمة.

---

(١)- الكوفي: فتح السند، ص١٩٥- ١٩٦.

أما البوذيون ونتيجة الاضطهاد الذي كانوا يعانونه من الهندوس، فقد انضم عدد كبير منهم إلى المسلمين، حيث نظروا إليهم نظرة المخلص، ولاسيما بعد أن شاهدوا تسامح المسلمين، وتطبيقهم لمبدأ الحرية الدينية، فمن أراد منهم أن يبقى على دينه، فما عليه إلا أن يدفع الجزية فحسب، ويمارس طقوسه الدينية في المعابد بحرية تامة، وبالتالي فقد استفاد البوذيون من الحكم الإسلامي في البلاد، لإعادة حقوقهم التي سلبهم إياها الهندوس على مدى قرن من الزمان، وهي المدة التي حكم فيها جج بن سيلانج وأبناؤه في السند والهند، ومارسوا ضد البوذيين كافة أشكال القمع الديني، وحرموهم من أبسط الحقوق.

من خلال ذلك يمكن للباحث القول أن من أهم نتائج الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند، إحداث ثورة اجتماعية، وحصول تغيرات جذرية في المجتمع، أدت إلى تقوية النسيج الاجتماعي بين السكان، بعد أن كان مجتمعاً مفككاً، بحيث تعيش كل طبقة بمعزل عن بقية الطبقات الأخرى، بالإضافة إلى عزل معظم السكان الذين يمثلون الطبقات الدنيا عن القيام بأية فاعلية اجتماعية تسهم في تطور المجتمع، كما تم العمل على تقييد هذه الطبقات بقيود اجتماعية واقتصادية وتغليفها بطابع ديني، وبالتالي أصبح من الصعب تجاوزها، ومن هنا يصح القول أن التغيرات التي طرأت على النظام الاجتماعي في هذه البلاد ترقى إلى الثورة الاجتماعية، ولم تكن هذه الثورة لتحدث مع دخول قوة غير قوة المسلمين إلى شبه الجزيرة الهندية، نظراً لأنها تستند في سلوكها على تعاليم إلهية مقدسة، تأمر المسلمين بالعدل والمساواة بين البشر على اختلاف أعراقهم، ولا يطالب الفرد بالعبودية لأحد غير الله تعالى، ومن هنا لاحظ الهنود على اختلاف أديانهم، الفرق الشاسع بين مبادئ الدين الإسلامي العظيمة، وبين مبادئ أديانهم التي تقوم على الطبقية والعبودية والاستغلال.

كما أنه لا يستبعد أن تكون مبادئ الإسلام قد أثرت في المناطق التي لم يصل إليها المسلمون في فتوحاتهم، وبالتالي ربما أحدثت خللاً في نظام الطبقات المتبع في تلك الأنحاء، ومن هنا يصح القول أن نتائج الفتوحات الإسلامية في السند والهند على الصعيدين الاجتماعي والديني، كانت أكبر وأشمل منها على الصعيد العسكري.

إن الأوضاع الاجتماعية المزرية في شبه القارة الهندية، والتي تميزت بتفكك المجتمع وعدم الانسجام بين طبقاته، كانت إحدى نقاط الضعف الأساسية التي استغلها المسلمون، ودخلوا من خلالها إلى تلك البلاد، ولم يكن عليهم إلا اتباع ما أمرهم الله به في القرآن الكريم، حتى يكسبوا إلى جانبهم أعداد هائلة من السكان المحليين.

هناك أمر آخر في غاية الأهمية في الجانب الاجتماعي أيضاً، وهو حصول زيجات بين المسلمين والهنود(١)، الأمر الذي لابد أنه ترك أثراً إيجابياً على العلاقات بينهما، بحيث تعززت وأصبحت أكثر متانة، وأدت إلى زيادة احتكاك الهنود من مختلف الطبقات بالمسلمين، والتعرف أكثر على عاداتهم وتقاليدهم، وشعائرهم الدينية، ومن هنا فقد شكل هذا الزواج فرصة لدى كل طبقة من طبقات الشعب الهندي للخروج من عزلتها وتقوقعها.

من ناحية أخرى فقد نتج عن الفتوحات الإسلامية في شبه الجزيرة الهندية، زيادة حركة الهجرة العربية إلى تلك البلاد، والتي كانت موجودة منذ ما قبل الفتوحات، ولكنها كانت عبارة عن جاليات تجارية، في حين أنها أصبحت أكثر تنظيماً في مرحلة ما بعد الفتوحات، كما ازدادت الهجرات الهندية إلى شبه الجزيرة العربية، والعراق، وغيرها من الحواضر الإسلامية بعد الفتوحات(٢)، ويبدو أن ذلك يعود إلى أن جزءاً مهماً من القارة الهندية أصبح تابعاً للدولة الأموية، الأمر الذي سهل حركة الهجرة المتبادلة بين الجانبين، على اعتبار أن العرب والهنود أصبحوا من رعايا الدولة الأموية على حد سواء.

أما بالنسبة إلى تأثير الفتوحات الإسلامية على واقع المرأة في بلاد السند والهند، والتي كانت تعاني من الاضطهاد والقمع، بل يمكن القول أن ما عاشته المرأة في شبه الجزيرة الهندية يكاد يكون الأسوأ بين كل المجتمعات في العالم، ولاسيما قضية حرق المرأة لنفسها بعد وفاة

---

(١)- الدجيلي: مظاهر الحياة الاجتماعية في الهند في العصور الإسلامية، ص٧٩؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٧٦.

(٢)- حبيب(عرفان): الهند في العصور الوسطى، تر: أحمد العباسي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط١، أبو ظبي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، ص٥١؛ علي: الهجرات العربية الهندية وآثارها الاجتماعية، ص١٣٧، ١٤٧.

زوجها(١)، وحرمانها من الميراث(٢)، بالإضافة إلى ذلك فقد انتشرت في شبه الجزيرة الهندية، عادة وأد البنات(٣)، والتي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وبالتالي لم تكن مهمة المسلمين في بلاد السند والهند من الناحية الاجتماعية، تختلف عمَّا أنجزوه في شبه الجزيرة العربية، حيث يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾(٤)، وقد وردت العديد من الآيات التي أكدت على حقوق المرأة، ولذلك يمكن القول أن تغييراً جذرياً حصل في واقع المرأة في بلاد السند والهند، ولاسيما من دخل منهن في الإسلام، حيث تمتعت المرأة الهندية بما تتمتع به المرأة المسلمة، من حقوق في الميراث، واختيار الزوج، وغير ذلك من الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة.

بالإضافة إلى ذلك فقد تبين من خلال مجريات الفتوحات الإسلامية في شبه القارة الهندية، أن علم الفلك لدى الهنود كان يعتمد على السحر والشعوذة، وكان المنجمون يحظون بمكانة رفيعة لدى مختلف فئات الشعب الهندي(٥)، ومن هنا فقد عمل العرب والمسلمون على تصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة في هذا المجال، وجعلوا علم الفلك علماً متكاملاً، يخضع للنظريات الرياضية، معتمداً على الرصد لتعليل الظواهر الفلكية والكونية(٦)، ولاسيما أن القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى التفكر في الكون، حيث يقول تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾(٧).

---

(١)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص٤٧٠.

(٢)- الدجيلي: مظاهر الحياة الاجتماعية في الهند في العصور الإسلامية، ص٨٠.

(٣)- علي(أمير سيد): روح الإسلام، تر: أمين محمود الشريف، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ج١، ص٢٠.

(٤)- القرآن الكريم: سورة التكوير، الآية: ٨- ٩.

(٥)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص٢٢٠.

(٦)- الرفاع(علي عبد الله): رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة، ط٢، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٨؛ فرشوخ(محمد مرسين): موسوعة عباقرة الإسلام في الفلك والعلوم البحرية وعلم النبات وعلم الميكانيكا، دار الفكر العربي، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٥، ص٢٧.

(٧)- القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

ثالثاً- الآثار والنتائج الاقتصادية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:

من أهم نتائج الفتوحات الإسلامية في السند والهند على الصعيد الاقتصادي، تأمين التجارة البحرية للدولة الأموية مع الشرق بشكل عام، ومع شبه الجزيرة الهندية بشكل خاص، وذلك بعد السيطرة على أهم معاقل القراصنة في بحر العرب والمحيط الهندي، والمتمثل في مدينة الديبل، والتي تحولت بعد الفتوحات الإسلامية إلى ميناء إسلامي، ومركز رئيس للأسطول الإسلامي للسيطرة على تجارة المحيط الهندي، وذلك لأن الديبل كانت تشكل العقبة الرئيسة في وجه السفن العربية والإسلامية، في حين أن بقية الساحل الغربي لشبه القارة الهندية، ولا سيما ساحل المليبار الغني بالعديد من المنتجات، كان يضم جاليات تجارية عربية منذ ما قبل الفتوحات(١)، وهذا الأمر ينسحب على جزيرة سرنديب(٢)، ومن هنا فإن حجم التجارة بين شبه الجزيرة الهندية، وسواحل شبه الجزيرة العربية والعراق، قد تضاعف عدة مرات، ووصل إلى ما يمكن أن يطلق عليه بالتكامل الاقتصادي، فضلاً عن ذلك فقد تعززت سيطرة التجار العرب والمسلمين على تجارة المحيط الهندي، حيث أسهموا بدور الوسيط التجاري بين موانئ الصين شرقاً، وموانئ سواحل إفريقيا الشرقية، وأوروبا غرباً عبر البحر الأحمر(٣).

بالإضافة إلى ازدهار الطريق التجاري البحري، فقد اهتم الأمويون بالطرق البرية في بلاد الهند والسند، وعملوا على إشعال النار ليلاً في المناطق المرتفعة كإشارات يهتدي بها التجار، واهتموا بتأمين الطرق التجارية وحمايتها من قطاع الطرق(٤)، الأمر الذي لابد أنه ساهم بتنشيط

---

(١)- ابن بطوطة: تحفة النظار، ٥٦٩-٥٧٠.

(٢)- عبد الرحمن: الوجود العربي، ص١٣؛ علي: الهجرات العربية الهندية، ص١٣١.

(٣)- أبو حجير(إياس سليم سلمان): المسلمون في الصين، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٨؛ كوبيشفانوف(يوري ميخايلوفتش): الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية "من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع"، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٨٨- ٢٨٩.

(٤)- حافظ(فيصل سيد طه): مراكز التجارة في بلاد السند من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، ص٣٢.

التجارة البرية داخل البلاد، بالإضافة إلى ذلك فإن ابن خرداذبه(١) ذكر رواية هامة تفيد بوجود طريق تجاري معظمه بري بين الأندلس والصين، يمر عبر شمال إفريقيا، ومصر، ودمشق، والكوفة، وبغداد، والبصرة، وفارس، وكرمان، والسند، والهند، ومنها إلى الصين، وإذا ما نظر الباحث في البلاد التي يمر بها هذا الطريق، لوجد أنها في معظمها أصبحت تحت سيطرة الدولة الأموية، وبالتالي يمكن القول أن هذا الطريق التجاري أصبح جزءاً من طريق الحرير الذي ينقل المنتجات الصينية إلى أوروبا، وأصبحت الدولة الأموية تتحكم في الاقتصاد العالمي، وتهيمن على الطرق التجارية البرية والبحرية العالمية على حد سواء، الأمر الذي عزز مكانتها لتصبح أعظم دولة في عصرها.

إن فتح السند والهند، وازدهار الحركة التجارية في المحيط الهندي، لابد وأنه أدى إلى ازدهار وتطور الموانئ التجارية العربية في سواحل شبه الجزيرة العربية، والعراق بشكل كبير، ولاسيما ميناء البصرة في العراق(٢)، فضلاً عن ازدياد أهمية المدن الداخلية في العراق والشام ومصر الواقعة على الطريق التجاري البري.

لم يكن اهتمام المسلمين بالتجارة في بلاد الهند والسند أقل من اهتمامهم بالزراعة والصناعة، فقد سيطروا على وادي السند، والذي يعدّ أطول أنهار شبه الجزيرة الهندية، وبالتالي فالمياه متوفرة، لذلك قاموا بشق القنوات إلى الأراضي الزراعية، وبنوا الجسور لتسهيل الحركة بين ضفتي النهر الشرقية والغربية، كما قاموا ببناء السدود(٣)، لتأمين المياه اللازمة للزراعة على مدار العام، وبالتالي فقد ازدهرت الزراعة، وزاد الإنتاج الزراعي، نتيجة المشاريع المائية التي قام بها المسلمون، واهتمام الولاة المسلمين وعلى رأسهم محمد بن القاسم بالمزارعين(٤)، ومحاولتهم إنعاش الحياة الاقتصادية في البلاد بشكل عام، لتأمين مستلزمات السكان المحليين من جهة، والقبائل العربية التي استوطنت

---

(١)- المسالك والممالك، ص١٥٤- ١٥٥.

(٢)- الندوي: العلاقات العربية الهندية، ص٦٤.

(٣)- حافظ: مراكز التجارة، ص٣٢.

(٤)- أبو خليل: فتح الديبل، ص١٠٨- ١٠٩.

بعد الفتح في هذه البلاد، وما يحتاجه الجيش الإسلامي من مؤونة غذائية من جهة أخرى، ولا سيما في العهود التي تلت عهد الوليد بن عبد الملك، حيث قال سليمان بن عبد الملك لواليه على السند والهند حبيب بن المهلب: "ازرعوا واحرثوا فلا شأم لكم"(١)، وبالتالي فهي دعوة للاعتماد على موارد السند والهند.

كما اشتهرت بلاد السند والهند بالعديد من الصناعات، والتي حاول المسلمون تطويرها، ومن أهم هذه الصناعات صناعة السيوف، حيث استخدم الهنود علم الكيمياء في صهر الحديد(٢)، ولابد أن المسلمين عملوا على تقديم كل وسائل الدعم للعاملين في هذه المهنة، نظراً لحاجتهم إلى هذا السلاح الهام، ولا يستبعد أن يكون الأمويون قد نقلوا عدداً من الصناع الماهرين إلى العراق والشام، وعملوا على إحداث مصانع جديدة لإنتاج السيوف الهندية، لإمداد الجيش الإسلامي المنتشر في معظم أنحاء العالم آنذاك.

ومن الصناعات الأخرى التي تطورت بعد الفتوحات الإسلامية وتم تصديرها إلى العراق والشام، صناعة السجاد والبسط، بالإضافة إلى صناعة الأقمشة، وقد نشطت هذه الصناعات بالقرب من مدينة المنصورة والديبل، كما تميزت هذه البلاد بصناعة الورق، بالإضافة إلى صناعة الأقلام من القصب والريش(٣).

هناك روايات تؤكد صلاحية نهر السند للملاحة من كشمير حتى المصب عند مدينة الديبل(٤)، وبالتالي فقد تم استخدامه لنقل منتجات المناطق الداخلية في البلاد إلى الساحل ليتم تصديرها عبر ميناء الديبل، وكذلك ليتم تزويد هذه المناطق بما تحتاجه من منتجات مستوردة عبر البحر، وهنا يجول في خاطر الباحث سؤال هام، هل كان هدف محمد بن القاسم من فتح مملكة قنوج، الوصول من خلالها إلى الصين، لتفعيل خط تجاري جديد بين الصين والدولة الأموية، من

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٤، ص٣٠.

(٢)- البيروني: تحقيق ما للهند، ص١٤٩-١٥٠؛ ديورانت: قصة الحضارة، ج٣، ص٢٤٠.

(٣)- حافظ: مراكز التجارة، ص٨١- ٨٢.

(٤)- ابن شهريار: عجائب الهند، ص١٠٤؛ الطحطوح: المنصورة قصبة السند، ص١٢١؛ الندوي: العلاقات التجارية، ص١٢٧.

خلال الاستفادة من صلاحية نهر السند للملاحة؟ إن هذه الفرضية تبدو قريبة من الواقع وذلك لعدة أسباب، أول هذه الأسباب هو صعوبة الوصول إلى الصين من إقليم السند مباشرة، وذلك بسبب صعوبة تضاريس جبال الهيمالايا، ووجود ممر باتجاه الأراضي الصينية في نهايتها في الجنوب الشرقي(١)، ومن هنا كان لابد من السيطرة على قنوج، ومن ثم متابعة الفتوحات إلى البنغال، ومن ثم إلى الصين، ومما يجعل الباحث يأخذ هذا المنحى في التحليل أن الإسكندر المقدوني كان يخطط بعد سيطرته على السند والهند، السيطرة على دلتا نهر الغانج(٢)، وبالتالي فإن الفائدة التي سيحققها المسلمون بسلوك هذا الطريق كبيرة، حيث يمكن الاستفادة من منتجات هذين الإقليمين بالإضافة إلى منتجات الصين، كما أن ذلك يمكن المسلمين من الوصول إلى الساحل الشرقي لشبه الجزيرة الهندية، أما السبب الثاني فيكمن في أن هذا الطريق تضاريسه سهلة ولا توجد أية عوائق أمام النشاط التجاري فيه.

بالإضافة إلى ذلك فقد كان ميناء الديبل من بين الموانئ القليلة التي تتسع للسفن الكبيرة(٣)، وانطلاقاً من أن هذا الميناء كان قبل الفتح الإسلامي للسند والهند ملجأً للقراصنة، وبالتالي لم تكن هناك حركة ملاحة تجارية نشطة في الميناء، فهل يمكن القول أن المسلمين عملوا على توسعة هذا الميناء بعد الفتح؟ في الحقيقة لا يمكن استبعاد مثل هذه الفرضية، وذلك لأن المسلمين أحكموا قبضتهم على مدينة الديبل منذ بدء حملة محمد بن القاسم على البلاد، وقضوا على نفوذ القراصنة في بحر العرب، كما أنه أصبح من المعلوم أهمية هذا الميناء في تصدير واستيراد المنتجات المختلفة، ومن هنا فقد بات يشكل عصب الحياة الاقتصادية لبلاد السند والهند، فضلاً عن أهميته في تعزيز حركة الملاحة الإسلامية في المحيط الهندي بشكل عام، كل ذلك يسمح للباحث بأن يستنتج أن المسلمين قاموا بتطوير ميناء الديبل، لكي يتسع للسفن الكبيرة، مما ساهم بتحويله إلى واحد من أهم موانئ المحيط الهندي.

---

(١)- موسى: جغرافية القارات، ص٢٦٧.

(٢)- سارة: تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، ص٧٧؛ موسى: الإسكندر الأكبر، ص١٠٥- ١١١.

(٣)- إبراهيم(محمود محمد): التراث العمراني لمدينة الديبل إبان العصر الإسلامي، جامعة بني سويف، جمهورية مصر العربية، (د.ت)، ص٦؛ حافظ: مراكز التجارة، ص٥٢.

إن الفتوحات الإسلامية في السند والهند، ساهمت بإحداث نقلة نوعية في الحياة الاقتصادية في البلاد، وذلك نتيجة اهتمام المسلمين بالزراعة والصناعة، فضلاً عن الجانب التجاري الذي أولوه أهمية بالغة، وبالتالي تحولت البلاد من مكان تنطلق منه أعمال السلب والنهب التي يقوم بها القراصنة، إلى مقصد للتجار من جميع أنحاء العالم، حيث أطلق ابن حوقل على مدينة الديبل "مجمع التجارة"(١)، في دلالة على عظمة النشاط التجاري في المدينة، وبالتالي فإن كل ذلك يؤكد من جديد على أن مشروع الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند، كان مشروعاً حضارياً بامتياز، هدف إلى القضاء على أعمال القرصنة، وتأمين طرق التجارة العالمية البحرية والبرية على حد سواء.

رابعاً- الآثار العمرانية للفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند:

اشتهر المسلمون ببناء المدن والمنشآت العمرانية أينما حلوا، ولاسيما في العراق حيث بنوا عدة مدن، وأهمها البصرة والكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢)، وواسط أثناء ولاية الحجاج على العراق(٣)، فضلاً عن مئات المدن والمنشآت العمرانية في سائر أنحاء البلاد التي دخلوها، ومنها السند والهند.

كانت سياسة محمد بن القاسم الثقفي تقوم على بناء مسجد في كل مدينة يفتحها المسلمون، مدفوعاً بقوله تعالى: ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم**

---

(١)- ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٤.

(٢)- ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٣٩؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١١٦؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١١٩.

(٣)- الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م): الجبال والأمكنة والمياه، مطبعة بريل، ليدن، ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م، ص١٥٧؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٧؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص٣٤٥.

﴿يخشَ إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾(١)، فالمسجد يعدّ النواة الأساسية لأي مدينة يفتحها أو يبنيها المسلمون، لذلك فقد أمر محمد بن القاسم ببناء مسجد في مدينة الديبل(٢)، كما بنى مسجداً في مدينة نيرون بعد فتحها مباشرةً(٣)، وبنى مسجداً آخر في العاصمة أرور(٤)، وكذلك الأمر في كبرى مدن شمال السند المولتان(٥)، وبالتالي كان انتشار هذه المساجد في السند والهند من أعظم نتائج الفتوحات.

ومن أهم الآثار العمرانية التي نتجت عن الفتوحات الإسلامية في شبه القارة الهندية، بناء مدينتين جديدتين، الأولى مدينة المحفوظة التي بناها الحكم بن عوانة الكلبي بجانب مدينة برهمناباد(٦)، والتي لابد أنها بنيت على الطراز الإسلامي، فاحتوت على دار للإمارة، ومسجد، وأسواق، بالإضافة إلى بيوت العامة.

أما المدينة الثانية فهي مدينة المنصورة، التي بناها عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي(٧)، وأصبحت عاصمة البلاد، ولحسن الحظ فقد قدم المقدسي وصفاً للمدينة، حيث ذكر أنها تشبه مدينة دمشق، وتم الاعتماد في بنائها على الخشب والطين، في حين بُني مسجدها من الحجر والآجر، وكان للمدينة أربعة أبواب أهمها باب البحر في الجنوب، وباب المولتان في الشمال، بالإضافة إلى وجود سوق كبير(٨)، ومن المعلوم وبحسب الطراز الإسلامي في بناء المدن وجود

---

(١)- القرآن الكريم: سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٢)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٠.

(٣)- الكوفي: فتح السند، ص١١٦.

(٤)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٧.

(٥)- الكوفي: فتح السند، ص٢٣٣.

(٦)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٨٧.

(٧)- البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ج١، ص٦٩.

(٨)- المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٠١.

دار للإمارة أيضاً، كما أنه وفي ظل التهديدات العسكرية التي تمثلت ببعض القادة الهنود، لابد وأن المسلمين عملوا على بناء سور قوي حول المدينة، وأبراج فوق الأسوار، لكي تقيهم من أية هجمات غادرة.

من خلال ذلك يتبين للباحث أن المسلمين تركوا آثاراً حضارية في كل المجالات، ولاسيما في المجال العمراني، فبناء مدينتين في مدة زمنية وجيزة ليس أمراً سهلاً، فضلاً عن بناء عدة مساجد في المدن الهندية، وترميم عدد من أسوار المدن الأخرى، وغير ذلك من المنشآت العمرانية التي كانت تقتضيها إدارة الولاية، وبالتالي فإن ذلك يؤكد مرة أخرى على أن الفتح الإسلامي للسند والهند، لم يكن فتحاً عسكرياً فحسب، بل ساهم بنقل المنجزات الحضارية للعرب والمسلمين إلى شبه القارة الهندية.

خاتمة:

لم يعكر صفو العلاقات العربية الهندية، الضاربة جذورها في أعماق التاريخ، سوى وصول أسرة جج بن سيلانج، المتعصبة لانتمائها للدين الهندوسي إلى سدة الحكم في شمال شبه الجزيرة الهندية، ومحاولتها توسيع نفوذها على حساب كل الشعوب والطوائف الأخرى، سواءً في شبه الجزيرة الهندية، أو في المناطق المجاورة لها، مستخدمةً كل الوسائل الممكنة في سبيل تحقيق هذا الهدف.

لقد كان العرب أسياد الملاحة البحرية في المحيط الهندي منذ مئات السنين قبل الميلاد، وكانت شبه الجزيرة الهندية بما تحتويه من منتجات غنية، تمثل المحطة الأولى والأهم بالنسبة للتجار العرب، فأقاموا على سواحلها، ولاقوا ترحيباً قل نظيره من الهنود، ونقلوا منتجات السند والهند إلى كافة أنحاء العالم آنذاك، في دلالة على التآلف والمحبة بين العرب والهنود، ووحدة المصالح الاقتصادية بينهما.

من جانب آخر فقد استفاد العرب من التقدم في مجال العلوم البحرية، حيث استطاعوا معرفة مواعيد هبوب الرياح الموسمية، التي كانت تؤدي إلى تحطم السفن في عرض المحيط، بالإضافة لمعرفتهم أماكن وجود الدوامات البحرية، واستعمالهم للخيوط المصنوعة من ألياف النارجيل في جمع ألواح السفن، بدلاً من المسامير، وهو ما يعطي السفينة مرونة أكبر، وبالتالي يمكن القول: إنَّ ترحيب الهنود بالتجار العرب لما يمتلكونه من منظومة أخلاقية عالية في معاملاتهم التجارية من جهة، وتقدم العرب في العلوم البحرية من جهة أخرى، أدى إلى تحكم العرب بتجارة المحيط الهندي، ولاسيما تجارة بلاد السند والهند، الأمر الذي انعكس خيراً على كافة شعوب المنطقة.

كما وجد الهنود بأعداد كبيرة في شبه الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام، وكانوا يتمتعون بكامل حقوقهم، ولاسيما الدينية منها حيث كان لهم أصنامهم التي يعبدونها في مكة، وغيرها من مدن الجزيرة العربية، وبالتالي يمكن القول: إنّ العلاقات بين الطرفين كانت علاقات سلمية على مر التاريخ، بحيث كان العرب والهنود يتنقلون على أراضي الجزيرتين العربية والهندية بحرية تامة.

لقد تزامنت هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وتأسيس دولته هناك، مع وصول جج بن سيلانج إلى سدة الحكم في شمال شبه الجزيرة الهندية ١هـ/٦٢٢م، وبالتالي فإن تغييرات جذرية بدأت تلوح في الأفق في الجزيرتين العربية والهندية، مع الفارق الشاسع بين شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والمرسلين، ورسالته السماوية القائمة على مبادئ أخلاقية سامية، وبين شخصية جج بن سيلانج العنصرية، الذي عمل على فرض العقيدة الهندوسية على سائر شعوب القارة الهندية، ومن هنا فإن صراعاً حتمياً لابد أن يحصل في قادم الأيام، نتيجة الفوارق الشاسعة في القواعد الناظمة للدولة والمجتمع في كلا الجزيرتين.

إذاً فبذور الصراع تعود إلى ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، كون مبادئه في المساواة والعدالة الاجتماعية، وغير ذلك من القيم الإنسانية، تتعارض مع بعض العقائد الأساسية للهندوسية السياسية التي مثلتها أسرة جج بن سيلانج، وانطلاقاً من ذلك كان عنوان هذه الأطروحة "الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند منذ قيام الإسلام حتى نهاية العصر الأموي"، وذلك على الرغم من أن الحملات العسكرية الإسلامية إلى تلك البلاد، لم تبدأ قبل عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث تمثلت بثلاث حملات بحرية، أشرف عليها عثمان بن أبي العاص الثقفي، والتي من خلالها يستنتج الباحث أن العلاقات بين الطرفين كانت متوترة للغاية منذ زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وعهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، ولكن الأولويات كانت مختلفة لدى الرجلين، فلم يكد الرسول صلى الله عليه وسلم يضبط الأوضاع في شبه الجزيرة العربية، حتى صعدت روحه الشريفة إلى بارئها، في حين أن حروب الردة من جهة، وفتوحات الشام والعراق من جهة أخرى، كانت تمثل أولوية بالنسبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولذلك عندما سنحت الظروف في عهد عمر رضي الله عنه، بدأ وميض الجمر تحت الرماد يشتعل.

من خلال ذلك يمكن للباحث القول: إنّ الصراع في بعض جوانبه كان صراعاً عقائدياً وحضارياً، بين طرفين متناقضين تقريباً، الطرف الأول هو الإسلام الذي جاء برسالته السمحاء إلى العالمين، حيث قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾(١)، ويظهر من خلال

(١)- القرآن الكريم: سورة الحجرات، الآية: ١٣.

هذه الآية أن الإسلام وضع قواعد في المساواة والعدالة الاجتماعية لا نظير لها في أية أيديولوجية أخرى، أما الطرف الثاني فهو السلطة السياسية الهندوسية، التي عملت على إقصاء واستعباد الآخر، من خلال نظام الطبقات العنصري، الذي يظهر من خلاله التحالف بين رجال الدين الهندوسي، وفئة المحاربين، بحيث تمتعت هاتان الطبقتان بكافة الامتيازات السياسية والاقتصادية، على حساب التجار والصناع والفلاحين، وبقية طبقات الشعب العاملين في مهن مختلفة، بالإضافة إلى فئة المنبوذين المجردين من جميع الحقوق، وبالتالي يمكن القول أن المجتمع الهندوسي كان مفككاً، ويشبه القنبلة الموقوتة، التي يمكن أن تنفجر في أية لحظة، وهو ما استغله المسلمون أفضل استغلال، ولم تتوقف عنجهية هذه السلطة على داخل الجزيرة الهندية، بل امتدت إلى الخارج وظهر ذلك جلياً من خلال الاعتداءات المتكررة على بلاد العرب والمسلمين براً وبحراً.

من خلال ذلك خرجت الأطروحة باستنتاج هام جداً، وهو إمكانية استغلال جج بن سيلانج لانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى، وقيام حركة الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ليقوم بتقديم ما يلزم من دعم للمرتدين، لتقويض دعائم الدولة الإسلامية الناشئة، والأقرب إلى المنطق أن تكون هذه المساعدات وصلت عن طريق البحر، انطلاقاً من مدينة الديبل، التي أصبحت في عهد أسرة آل سيلانج قاعدة للقرصنة ضد السفن التجارية في المحيط الهندي، حيث ذكر الطبري مشاركة بعض الهنود في حروب الردة في السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية(١)، ومن هنا قد يفهم المرء سبب توجيه عثمان بن أبي العاص حملات بحرية إلى بعض سواحل شبه الجزيرة الهندية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والتي على الأرجح أنها حصلت بتوجيه من الخليفة نفسه، للرد على جج في عقر داره، والانتقال من حالة الدفاع إلى الهجوم، ومن جانب آخر السيطرة على بحر العرب والمحيط الهندي، لما يمثله من شريان تجاري حيوي لكل من الجزيرتين الهندية والعربية.

وهنا لابد من معالجة مسألة هامة، وهي ما ذكرته بعض المصادر والمراجع من أن الخليفة عمر رضي الله عنه، أرسل إلى عثمان بن أبي العاص يؤنبه على إرسال الحملات البحرية إلى سواحل شبه الجزيرة الهندية، قائلاً له: "يا أخا ثقيف قد حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله لو

---

(١)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج٢، ص٢٨٦.

أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم"، وقد بينت هذه الأطروحة وبالاستناد إلى ما ذكره الطبري، أن هذا القول ورد على لسان عمرو بن العاص عندما طلب منه الخليفة عمر رضي الله عنه وصف الحرب البحرية في البحر المتوسط، وذلك على خلفية طلب والي الشام معاوية بن أبي سفيان من الخليفة، السماح له بمواجهة البيزنطيين في البحر المتوسط، وهو أمر أقرب إلى المنطق، في ظل امتلاك الإمبراطورية البيزنطية لأسطول بحري قوي، وهو ما لم يكن متوفراً لدى مملكة جج بن سيلانج، فهل من المعقول أن الخليفة عمر يخاف على المقاتلين المسلمين من المعارك البحرية في بحر العرب والمحيط الهندي، وهو الذي ولد في منطقة جغرافية تحيطها المياه من ثلاث جهات؟! ولاسيما أن هذه الأطروحة أكدت على علو كعب العرب منذ ما قبل الإسلام بمئات السنين في الملاحة البحرية.

لم يكن خطر مملكة السند على الإسلام والمسلمين، يقل عن خطر الفرس أو البيزنطيين، وبالتالي بعد الفتوحات الإسلامية في العراق والشام، التي أفضت إلى انهيار الإمبراطورية الفارسية من جهة، وخروج البيزنطيين من الشام من جهة اخرى، أدرك جج بن سيلانج بأن مملكته هي الهدف التالي للمسلمين، وهو ما ظهر بشكل واضح بالحملة البرية التي قادها الحكم بن عمرو الثعلبي سنة ٢٣هـ/٦٤٣م، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث هزم جيش جج بن سيلانج أمام المسلمين، ودخل المسلمون على إثرها السند والهند برياً، وأصبح إقليم مكران تابعاً بشكل تام للمسلمين.

إن دخول المسلمين برياً إلى السند والهند في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يعدّ حدثاً مفصلياً في التاريخ، حيث لم تستطع أية قوة أن تدخل إلى هذه البلاد منذ أيام الإسكندر المقدوني، بما فيها الدولة الساسانية، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على القوة العسكرية الكبيرة التي أضحت عليها الخلافة الراشدة في عهد عمر رضي الله عنه، ومن جانب آخر يدل على صعوبة اختراق تلك البلاد، بسبب إحاطتها بالجبال من الشمال، وانتشار المفازات الواسعة والقاحلة فيها، بالإضافة إلى قوة مقاتليها، ومتانة قلاعها، فضلاً عن تطور صناعتها العسكرية، ولاسيما صناعة السيوف، التي اشتهرت في كل أصقاع العالم بقوتها وصلابتها.

كان هناك تزامنٌ تاريخيٌ تقريباً، بين انتهاء عهد جج بن سيلانج في القارة الهندية، وبين انتهاء العصر الراشدي٤٠هـ/٦٦٠م، وبداية العصر الأموي في بلاد العرب والإسلام، إلا أن شيئاً لم يتغير على مسار العلاقات بين الجانبين، فعدائية خلفاء جج بن سيلانج تجاه العرب والمسلمين لم تتغير، ولكن إصرار الأمويين في الوقت نفسه، كان لا يقل أبداً عن إصرار الخلفاء الراشدين في فتح بلاد السند والهند، والمستند أساساً لعدد من الأحاديث النبوية الشريفة، التي حض فيها الرسول صلى الله عليه وسلم على فتح تلك البلاد، ولاسيما ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام"(١)، وهذا الحديث الشريف يؤكد من جديد على صوابية الرأي القائل بأن الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند، بدأت منذ زمن النبي محمد عليه الصلاة والسلام، كما يؤكد من جهة أخرى على إدراك النبي الأكرم لأهمية فتح بلاد السند والهند، بحيث بشر من يشترك في تلك الفتوحات بالجنة، ويبدو أنّ المسلمين سمعوا صدى تلك الدعوة من الرسول صلى الله عليه وسلم بقوة في العصرين الراشدي والأموي، فبذلوا الغالي والرخيص لفتح تلك البلاد.

بعد أن استقرت الأمور للخليفة معاوية، بدأ بإرسال أولى الحملات إلى شبه الجزيرة الهندية في عام ٤٢هـ/٦٦٢م، والتي قادها راشد بن عمرو الجديدي، واستمر إرسال الحملات طيلة عهد معاوية، وكان من نتائجها تعزيز سيطرة المسلمين على إقليم مكران، ولكن دون القدرة على فرض السيطرة على مناطق جديدة.

يعدّ وصول الحجاج بن يوسف الثقفي إلى ولاية العراق سنة ٧٥هـ/٦٩٤م، حدثاً مفصلياً في تاريخ الفتوحات الإسلامية في الجبهة الشرقية بشكل عام، وجبهة السند والهند بشكل خاص، حيث بدأ بتجهيز الجيوش للوصول إلى الصين، والسيطرة على طريق الحرير البري، الذي يمر في أحد أجزائه في شمال شبه الجزيرة الهندية، بالإضافة إلى ذلك فقد كان هدفه أيضاً تأمين طرق التجارة العالمية البحرية، التي كانت تمر في معظمها عبر المحيط الهندي، أهم المسطحات

---

(١)- ابن أبي عاصم: الجهاد، ج٢، ص٦٦٥؛ البيهقي: السنن الكبرى، ج٩، ص١٧٦؛ الطبراني: المعجم الأوسط، ج٧، ص٢٣.

المائية في العالم آنذاك، نظراً لأنه يربط بين أهم وأغنى المناطق في آسيا، والتي يحتاج جميع سكان العالم إلى منتجاتها، وهي الصين، وشبه الجزيرة الهندية، وشبه الجزيرة العربية، كما وأنه يصلها بالسواحل الشرقية لقارة إفريقيا الغنية، بالإضافة إلى اتصاله مع البحر الأحمر، وبالتالي سهولة الوصول إلى قارة أوروبا عبر سواحل البحر المتوسط الجنوبية التي تسيطر عليها الدولة الأموية.

وهناك أمر آخر لابد من الإشارة إليه، وهو رغبة الحجاج بتطويق خراسان، حيث أرسل قتيبة بن مسلم الباهلي إلى بلاد ما ما وراء النهر، ومحمد بن القاسم إلى السند والهند، وبذلك تصبح خراسان مطوقة من الشمال والجنوب، وبالتالي تزيد قدرة المسلمين على ضبط الأمور فيها، حيث من المعلوم ما لهذا الإقليم من أهمية استراتيجية.

بالإضافة إلى ذلك فقد أدرك الحجاج ضرورة وضع حد لعنجهية وغطرسة داهر بن جج، ومناصبته العداء للعرب والمسلمين في إقليم مكران، وإيوائه للخارجين عن الدولة الأموية، وعلى رأسهم العلافيين، فضلاً عن تحويل مدينة الديبل إلى مركز رئيسٍ لانطلاق أعمال القرصنة في المحيط الهندي، وكان هؤلاء القراصنة يتلقون كافة أشكال الدعم من داهر، ومن هنا فقد توافرت كل الدوافع لدى الحجاج لتجهيز عدة حملات لفتح السند والهند، وأهمها على الإطلاق الحملة التي قادها محمد بن القاسم الثقفي.

لقد تبين من خلال هذه الأطروحة، أن الحجاج بن يوسف قام بأمرين هامين قبل إرسال حملة محمد بن القاسم، الأول تمثل بدراسة أوضاع شبه الجزيرة الهندية من كافة النواحي، فمن الناحية العسكرية، شملت الدراسة الأسلحة التي كان يستخدمها جيش داهر، وأبرز تحصينات المدن في تلك البلاد، كما شملت الدراسة الناحية الجغرافية، لمعرفة أبرز الطرق والمسالك في بلاد الهند والسند، لتجنب المرور في الصحارى المنتشرة في شبه الجزيرة الهندية، واختيار أفضل منطقة لعبور نهر السند إلى الضفة الشرقية، ولابد أنه استعان بخبرة التجار العرب، الذين كانوا يعرفون الطرق والمسالك التجارية في شبه الجزيرة الهندية، والطريق منها إلى الصين، وهذا ظهر جلياً من خلال توجه محمد بن القاسم لفتح مملكة قنوج، ويبدو أن الخطوة التالية كانت الدخول إلى الصين عبر ممر ناثولا، وبالتالي محاصرة الصين من الجنوب عبر جيش محمد بن القاسم، ومن الشمال عبر جيش قتيبة بن مسلم الباهلي، كما شملت الدراسة الناحية الدينية، وأبرز المعتقدات المنتشرة هناك،

والتوزع الديمغرافي للسكان في السند والهند، بالإضافة إلى دراسة بعض النواحي الأخرى، ولاسيما اهتمام الهنود بعلم الفلك والتنجيم، وقد هدف الحجاج من هذه الدراسة، استغلال كل نقاط الضعف في تلك البلاد.

أما الأمر الثاني فقد عمل الحجاج على تجهيز الحملة بكافة الأسلحة والمعدات، ولاسيما المنجنيقات لضرب الأسوار، والكباش والسلالم، لهدمها أو التسلق عليها إن لزم الأمر، فضلاً عن الأسلحة التي اشتهر باستخدامها الجيش العربي والإسلامي، ومنها السيوف والرماح والقوس والنشاب، وغير ذلك من الأسلحة الفردية، وهذا يدل على امتلاك الدولة الأموية لصناعات عسكرية متطورة، سواءً الثقيلة منها أو الخفيفة، كما تم تجهيز الحملة بما يلزم من المؤن والمواد الغذائية، ولاسيما الخل، حيث تم شحن كميات كبيرة منه إلى السند والهند، وقد بينت هذه الأطروحة سبب ذلك، حيث يستخدم الخل في الطعام، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال: "نعم الإدام الخل، اللهم بارك في الخل، فإنه كان إدام الأنبياء قبلي، ولم يفتقر بيت فيه خل"، كما يمكن استخدام الخل في تعقيم جروح المقاتلين المسلمين، ولا يستبعد وجود مجموعة من الأطباء رافقوا الحملة للإشراف على الجرحى.

بالإضافة إلى ذلك فقد تم اختيار نخبة من المقاتلين، وعلى رأسهم ستة آلاف مقاتل شامي، بالإضافة إلى ستة آلاف مقاتل من العراقيين وأنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية، كما قام بتجهيز حملة بحرية انطلقت من العراق قاصدةً ميناء الديبل، حيث كانت الخطة تقتضي أن تصل الحملتان البرية والبحرية بالتوقيت نفسه لحصار مدينة الديبل، وقد تم نقل كافة المعدات الثقيلة على متن سفن الحملة البحرية، بالإضافة إلى مخازن الغذاء والأسلحة، وقد كان لذلك أثرٌ كبيرٌ في تسهيل مهمة الجيش البري وتسريع مسيره، بالإضافة إلى أهمية حصار مدينة الديبل برياً وبحرياً، نظراً لما تمتلكه المدينة من موقع جغرافي استراتيجي، وأسوار عالية منيعة.

أظهرت هذه الأطروحة قضية هامة جداً، وهي امتلاك الدولة الأموية جهاز بريد متطور، حيث ذكر الكوفي: أن الحجاج بن يوسف، ومحمد بن القاسم كانا يتبادلان الرسائل كل ثلاثة أيام، على الرغم من بعد المسافة بين العراق، وبلاد السند والهند، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى سرعة ودقة عمل هذا الجهاز، ومدى حرفية العنصر البشري العامل فيه، بالإضافة إلى قوة الجياد المستخدمة في نقل الرسائل من محطة إلى أخرى، حيث من المعلوم أن الأمويين استحدثوا

نظام البريد السريع، والذي يقوم على وضع الخيول في عدة أماكن، وعلى مسافات متساوية في البعد، وبالتالي يستطيع حامل البريد استبدال فرسه المتعب بفرس آخر مستريح بين كل محطة وأخرى، وقد يتم استبدال الفارس أيضاً عند شعوره بالتعب بعد قطع عدة مراحل، وذلك بهدف إيصال البريد بأقصى سرعة ممكنة، وانطلاقاً من ذلك فإنَّ ما ذكره الكوفي حول تبادل البريد بين الحجاج ومحمد بن القاسم كل ثلاثة أيام منطقيٌ، فإذا كان معدل سرعة الحصان خمسين كيلو متر في الساعة، مع العلم أن سرعة بعض الجياد تصل إلى أكثر من سبعين كيلو متر في الساعة، بالإضافة إلى ذلك فإن المسافة التي تصل بين العراق، وأبعد نقطة وصل إليها محمد بن القاسم الثقفي في السند والهند، لا تزيد عن ثلاثة آلاف كيلو متر، وبالتالي وبعملية حسابية بسيطة تصبح الأمور واضحة ولا تحتاج لكثير من العناء ليثبت الباحث أن رواية الكوفي صحيحة، حيث من الممكن أن يتم نقل البريد من منطقة إلى أخرى بمعدل يزيد عن ألف كيلو متر يومياً، وهو ما ساهم في ضبط الأوضاع في الولايات في العصر الأموي، ومتابعة أدق التفاصيل فيها، ولاسيما في السند والهند.

كما أظهرت الدراسة امتلاك الدولة الأموية جهاز استطلاع متطور، ويمكن للباحث أن يطلق عليه جهاز استخبارات، حيث كان لدى الحجاج رجالٌ ينقلون له أخبار السند والهند، دون علم قائد الجبهة محمد بن القاسم، وبالتالي كان الحجاج قادراً على تقديم الحلول لأي معضلة تواجه محمد في تلك الجبهة من خلال ما يصله من معلومات من جهاز الاستطلاع المتقدم، بالإضافة إلى المعلومات الواردة من محمد بن القاسم.

إن كل ذلك جعل الباحث يدعو إلى تصحيح الصورة التي يحاول بعض المؤرخين إظهار الحجاج بها، حيث أن الحجاج يعدّ من أفضل رجالات العرب والمسلمين على مر التاريخ، فهو رجل دولة بحق، بنى مؤسسات الدولة المختلفة في ولاية العراق، ووجه بوصلة الجهاد إلى المكان الصحيح، بدلاً من قتال المسلمين لبعضهم البعض، وهنا كلمة حق لابد أن تقال، وهي أن الرجل لم يكن دموياً كما تصوره بعض الدراسات حتى مع الشعوب التي لم تدخل في الإسلام، فكيف يكون مع أبناء جلدته، وهذا ما ظهر بشكل جلي في كل مراحل الفتوحات في السند والهند من خلال هذه الأطروحة، ولكن ما يمكن قوله هنا: إنَّ ولاية العراق كانت تتطلب بعض الحزم من

واليها، وذلك نظراً لكثرة الفتن والاضطرابات في هذه الولاية منذ نهاية العصر الراشدي، وبداية العصر الأموي.

أظهرت هذه الدراسة أن الحجاج بن يوسف لم يكن مجدداً من الناحية الإدارية فحسب، بل كان قائداً ومخططاً عسكرياً استراتيجياً لا مثيل له، فهو من خطط لفتوحات الجبهة الشرقية بشكل عام، وفتوحات السند والهند بشكل خاص، فمنذ البداية أصر على الخليفة الوليد أن يرسل حملة بقيادة محمد بن القاسم لفتح تلك البلاد، ومن ثم أشرف على تجهيز هذه الحملة بكامل عدتها وعتادها، وهو من كان يعطي التعليمات لمحمد في كل مرحلة من مراحل الفتح، يضاف إلى ذلك أنه أول من طبق بحزم فكرة التجنيد الإلزامي، وفي المقابل كان يحب جنوده ويهتم بهم، ويؤمن لهم مستحقاتهم المالية، بالإضافة إلى أنه طبق نظام الحوافز والمكافآت للمقاتلين، وظهر ذلك عندما وعد من ينزل راية المعبد في مدينة الديبل بعشرة آلاف درهم، كما أنه كان يشارك في جنائز الشهداء على قدر استطاعته، وهو سلوك لا يقوم به إلا القادة العظماء، ومن هنا لا يبالغ المرء إن قال: إن الحجاج بن يوسف الثقفي هو القائد الفعلي لهذه الفتوح، وبالتالي فهو يعدّ أكبر فاتح في تاريخ الدولة الأموية.

يكاد الباحث يصل إلى نتيجة مفادها أنه كان هناك نوعٌ من تقاسم السلطة بين الحجاج ابن يوسف، والوليد بن عبد الملك، بحيث اهتم الوليد بشؤون الدولة في مناطقها الغربية، بينما تكفل الحجاج بشؤون العراق والمشرق، في دلالة على مدى قوة العلاقات بين بني أمية، وقبيلة ثقيف، وبالتالي يمكن القول أن الحجاج كان في أيام الوليد خليفة دون لقب.

من خلال ذلك ونتيجة لعدة أسباب أخرى، أكدت الأطروحة على فرضية موت الحجاج بن يوسف، والوليد بن عبد الملك اغتيالاً، وذلك بأوامر مباشرة من سليمان بن عبد الملك، وفي الحقيقة وعلى الرغم من أن هذه الفرضية لم تذكر في أي مصدر أو مرجع، فإن ما جعل الباحث يذهب لفرضية اغتيال الرجلين عدة أسباب أهمها:

١- محاولة الوليد والحجاج عزل سليمان عن ولاية العهد، وهذا ما تثبته معظم المصادر الإسلامية.
٢- سخط سليمان على الحجاج، وقد ذكر الوثابي رواية تضمنت تهديد سليمان للحجاج، بأنه سوف يقتله في حال وصل إلى الحكم.

٣- وفاة الوليد، والحجاج في سن مبكرة نسبياً.

٤- تشابه أعراض المرض عند الرجلين، وتشابه هذه الأعراض مع ما يسببه تناول جرعة من أحد أنواع السموم.

٥- قيام سليمان بن عبد الملك بعزل طارق بن زياد وموسى بن نصير عن جبهة الأندلس، وعزل قتيبة بن مسلم الباهلي عن بلاد ما وراء النهر ومن ثم قتله، وعزل محمد بن القاسم عن جبهة السند والهند، وقتله، وبالتالي فإن هذا السلوك ليس غريباً عن تصرفات الخليفة سليمان.

من خلال كل ذلك يمكن القول: إنَّ سليمان لم يكن يتوانى عن القتل عند شعوره بالخطر من أحدهم، فكيف وأن الأمر وصل إلى عزله عن ولاية العهد، وبالتالي ذهاب حقه في الوصول إلى خلافة المسلمين أدراج الرياح، وخلاصة هذا الأمر أن جريمة قتل محمد بن القاسم، وقتيبة بن مسلم التي ارتكبها الخليفة سليمان على رؤوس الأشهاد، قام بمثلها مع أخيه الوليد ووالية الحجاج ولكن اغتيالاً، نظراً للشرعية التي كان يتمتع بها الوليد.

بالعودة إلى مسيرة الفتوحات في السند والهند، فقد اختلف المؤرخون حول تاريخ انطلاق حملة محمد بن القاسم، وقد تم ترجيح سنة ٩٢هـ/٧١٠م في هذه الأطروحة، وكانت الديبل أولى المدن الكبرى التي فتحها المسلمون، ومنذ البداية كانت استراتيجية محمد بن القاسم تقوم على تنظيم شؤون المناطق المفتوحة، وفي دلالة على مناقبية هذا الفاتح العظيم من جهة، وعلى أن الفتوحات الإسلامية في السند والهند كانت فتحاً حضارياً وإنسانياً عظيماً من جهة أخرى، فقد عمل محمد ابن القاسم على إنشاء محكمة لرد المظالم، وتعويض كل من تضرر من الحرب من سكان مدينة الديبل، ومن جانب آخر من المعلوم أن الإسلام يساوي بين جميع البشر، فلا طبقات ولا غير ذلك من القوانين العنصرية، وبالتالي فإن ذلك ترك أثراً إيجابياً في نفوس الهنود، الأمر الذي جعلهم ينضمون إلى صفوف المسلمين، ومن هنا يمكن القول: إنَّ المسلمين في الديبل قدموا نموذجاً يحتذى في الحكم، جعل بقية المناطق والمدن في شبه الجزيرة الهندية تنتظر قدومهم، للتخلص مما هم فيه من القهر والاستعباد والاستبداد، ومما يؤكد هذا الرأي، أن معظم المدن السندية الواقعة غربي نهر السند، فتحت بمعظمها دون قتال.

استطاع محمد بن القاسم عبور نهر السند بخسائر تكاد لا تذكر، وذلك على الرغم من المراقبة الشديدة التي فرضها جيش داهر على الضفة الشرقية للنهر، ومن ثم خاض المسلمون معركة كبرى مع جيش داهر، وهي معركة الضفة الشرقية لنهر السند، والتي حققوا فيها انتصاراً عظيماً، يمكن عده من أكبر انتصارات المسلمين في التاريخ، وبعد ذلك سقطت المدن الواقعة شرقي النهر الواحدة تلو الأخرى، حتى وصلوا إلى مدينة المولتان على حدود إقليم كشمير، وكانت الخطوة التالية فتح مملكة قنوج، إلا أن وفاة الخليفة الوليد أوقفت الفتوحات في تلك البلاد.

كان من ضمن الخطط التي اعتمد عليها محمد بن القاسم في استراتيجيته العسكرية، عدم ترك أي حصن مهما كان صغيراً في طريقه لفتح أية مدينة جديدة، وذلك لكي لا تشكل هذه الحصون جيوباً خلفية، يمكن أن تنقض على مؤخرة الجيش الإسلامي، بالإضافة إلى ذلك فقد كان محمد ابن القاسم أثناء حصار المدن الكبرى، يأمر بحفر خنادق بهدف حماية الجنود المسلمين من أية غارات سريعة قد ينفذها العدو، وبالتالي فقد كانت استراتيجية الفتح شاملة ومتكاملة.

لقد كان محمد بن القاسم في كل مراحل الحملة التي قادها، مثالاً للقائد والفاتح الذي يتمتع بمنظومة أخلاقية عالية، حيث كانت رسائل الحجاج إلى محمد تتضمن أوامر واضحة، بأن يعامل الهنود معاملة حسنة، وأن يمنح الأمان لمن يطلبه، هذا من جهة الحجاج، أما من جهة محمد فقد التزم بتطبيق تلك التعليمات بحذافيرها، وهذا ما ظهر جلياً بالأوامر التي أصدرها لجنوده عند فتح مدينة برهمناباذ، حيث قال لهم: " لا تقتلوا أحداً غير المسلح المحارب، أما من كان معه سلاح وهو هارب فلا تقتلوه، بل خذوه أسيراً، ومن أراد الأمان فأعطوه، ولا تدخلوا البيوت الآمنة"، إنها مبادئ وأخلاق فاتح عظيم، ومن هنا يستخدم الباحث مصطلح فتح بدل غزو، حيث يمكن القول إنَّ تاريخ الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند، يعدّ تاريخاً إنسانياً ناصع البياض، لا تشوبه أية شائبة يمكن أن تأخذ على المسلمين.

ومن جهة أخرى عمل محمد بن القاسم على احترام مختلف الطوائف في شبه الجزيرة الهندية، فحافظ على المعابد، ولم يهدم أياً منها، إلا ما تم استخدامه لأغراضٍ عسكرية، مثل معبد الديبل، وعلى الرغم من ذلك فقد تم التعامل معه بكثير من الحذر، حيث تم أسقاط العامود الذي يحمل

راية المعبد فقط، بينما بقيت المعابد في العاصمة أرور، والمولتان وغيرها من المدن الكبرى على حالها، حيث قال محمد بن القاسم مقولته الشهيرة في هذا الشأن: " ما البد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس".

بالإضافة إلى ذلك لم يتم فرض الإسلام على أحد، بل تمتع أتباع الديانات في السند والهند بحرية دينية، فمنهم من دخل في الإسلام، ومنهم من أراد البقاء على دينه، فتم فرض الجزية عليهم، وهي عبارة عن مبلغ مادي بسيط، يدفع لبيت مال المسلمين مقابل خدمات توفرها الدولة لرعاياها من مختلف الطوائف.

بعد عزل محمد بن القاسم عن ولاية السند والهند، تدهورت الأوضاع في تلك البلاد، حيث عاد عدد من قادة داهر الهاربين إلى بعض المدن، وأبرزها مدينة برهمناباذ التي عاد إليها جيسيه ابن داهر، وخرجت عن سيطرة المسلمين طيلة عهد سليمان بن عبد الملك، وكان ذلك أمراً طبيعياً في ظل اختلاف الأولويات لدى مركز الخلافة الأموية، ويظهر ذلك جلياً من خلال رسالة بعثها الخليفة سليمان، إلى واليه على الهند والسند حبيب بن المهلب، قال فيها: "ازرعوا واحرثوا فلا شأم لكم"، وهي صورة مختلفة كلياً عن عهد أخيه الوليد، حيث لم يكن في عهد سليمان حجاج آخر، ليصر على بذل الغالي والرخيص لمتابعة الفتوحات في تلك البلاد.

في عهد عمر بن عبد العزيز ساد نوع من الاستقرار في السند والهند، نتيجة السياسة الحكيمة التي انتهجها، والقائمة على معالجة الفوضى وبعض التجاوزات، التي حصلت في عهد سليمان، وبالتالي عمل على إعادة القوانين المطبقة أثناء ولاية محمد بن القاسم، والقائمة على التسامح الديني، وعدم أخذ الجزية إلا ممن أرادوا البقاء على دينهم، وعلى أثر ذلك دخل جيسيه ابن داهر حاكم برهمناباذ في الإسلام، وهذا شاهد آخر على أن الفتوحات الإسلامية للسند والهند، وإن كان حصل بها بعض التجاوزات، إلا أن الإطار العام لها كان إطاراً حضارياً إنسانياً، لا ترقى إليها أية فتوحات أخرى في العصر الأموي.

عادت الأوضاع للاضطراب في السند والهند أيام الخليفة يزيد بن عبد الملك، والتي تمثلت بسيطرة آل المهلب على الولاية، قبل استعادتها من قبل السلطة المركزية مرة جديدة، أما في عهد هشام بن عبد الملك، برز فاتح عظيم آخر في السند والهند، وهو الجنيد بن عبد الرحمن، الذي يعدّ أفضل من تولى تلك البلاد بعد محمد بن القاسم، حيث وصل بفتوحاته إلى مناطق جديدة لم يصلها محمد بن القاسم، أو أن الوقت لم يسعف محمد للقيام بها، ولاسيما إقليم الكجرات الذي يتمتع بموقع استراتيجي هام، بالإضافة إلى غناه بالعديد من المنتجات، إلا أن الخليفة هشام أصدر قراراً بنقل الجنيد إلى خراسان، فاضطربت الأوضاع مرة أخرى في البلاد، ويمكن تشبيه قرار نقل الجنيد، بقرار عزل محمد بن القاسم عن هذه الولاية في عهد الخليفة سليمان، وذلك من ناحيتين، الأولى: أن الرجلين قاما بفتوحات عظيمة، أما الناحية الثانية: فتتجلى بما تركه قرار عزلهما من آثار سلبية على الولاية، مع الاختلاف في مصير الجنيد، ومحمد.

انعكست الصراعات بين المضرية واليمانية في الشام والعراق، على الأوضاع في السند والهند، ولكن تعيين الحكم بن عوانة والياً على تلك البلاد، ساهم بتهدئة الأحوال، فعلى الرغم من أنه ينتسب إلى اليمانية، إلا أنه اختار شخصية مضرية بارزة لتكون إلى جانبه في الحكم، وهو عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي، حيث كانت سمعة والده العطرة ما تزال تفوح في أرجاء الولاية، الأمر الذي انعكس حالة من الاستقرار، تجلى في بناء الرجلين لمدينتين على الطراز الإسلامي في شبه الجزيرة الهندية، هما المحفوظة والمنصورة، واللّتان تحولتا إلى منارتين لنشر الحضارتين العربية والإسلامية في السند والهند.

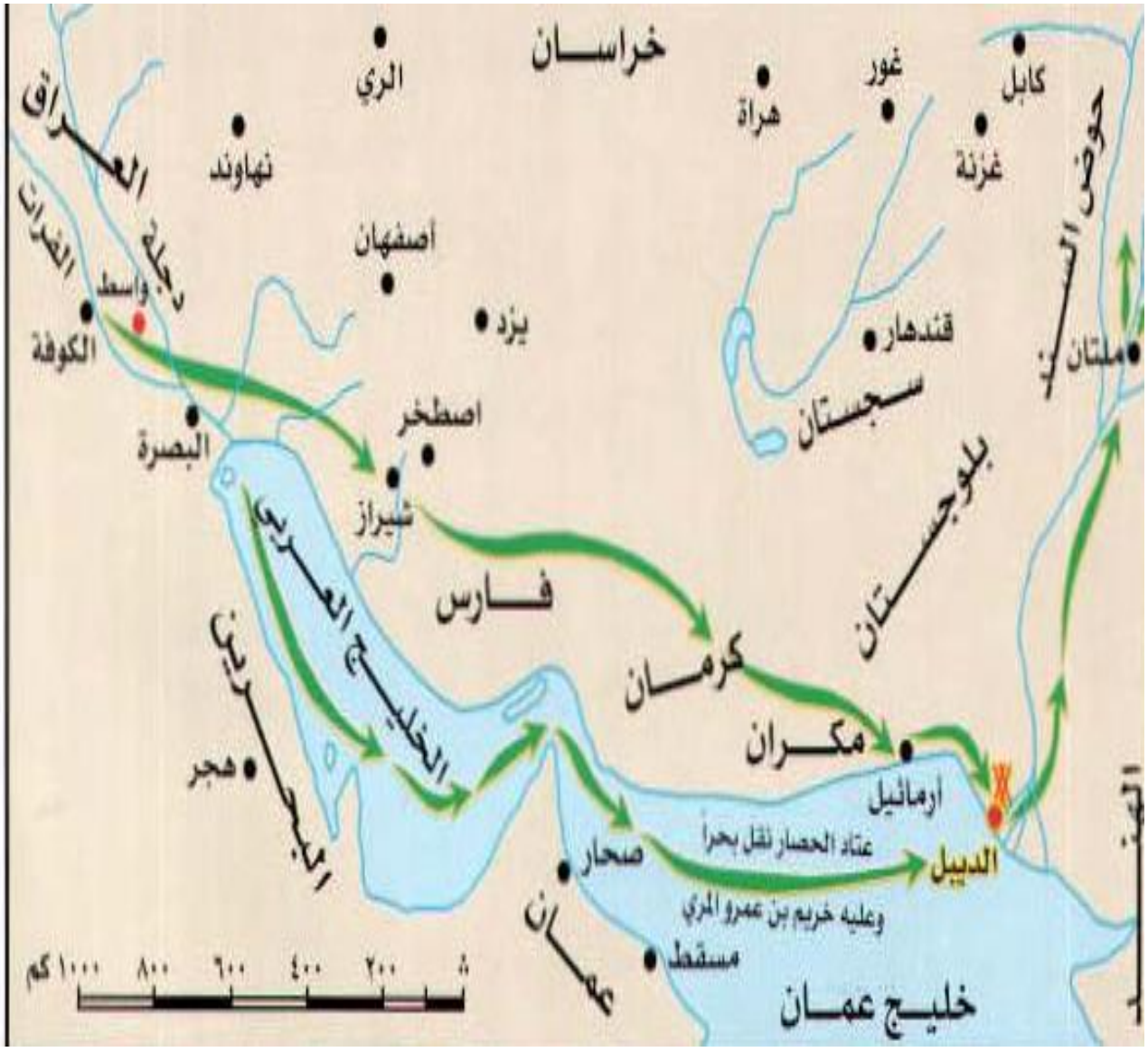
لقد خرجت ولاية السند والهند عن سيطرة الأمويين قبل سقوط دولتهم في دمشق، وذلك عندما استقل منصور بن جمهور الكلبي بها، ومن ثم الصمود في وجه العباسيين قرابة السنتين، حيث استطاع العباسيون السيطرة على السند والهند سنة ١٣٤هـ/٧٥٢م.

كما أنه وفي نهاية هذه الدراسة، يمكن القول: إنَّ العرب والمسلمين فكروا بفتح السند والهند، قبل فتح أية منطقة أخرى في الشرق، في دلالة على أهمية هذه البلاد بالنسبة لهم، وعلى قوة الأسطول العربي الإسلامي في المحيط الهندي منذ ما قبل الإسلام، حيث كانت المحاولات الأولى للفتح حملات بحرية.

إن الفتوحات الإسلامية للسند والهند، لم تكن آثارها عابرة، فبالإضافة إلى الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية التي تم تقديم فصل خاص بها، فقد أسست هذه الفتوحات لانتشار الإسلام في تلك البلاد حتى يوم الناس هذا، حيث ما زال يعيش ملايين المسلمين على تلك الأرض، وبالتالي استطاع العرب والمسلمون نقل منجزاتهم الحضارية في كل المجالات إلى شبه الجزيرة الهندية.

وفي النهاية كل الرجاء أن تكون هذه الأطروحة قد بينت مراحل الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند، وأن تكون قد شكلت رداً أكاديمياً على كل من يدعي أن هذه الفتوحات كانت غزواً لا فتحاً، بالإضافة إلى تصحيح الصورة المشوهة للعصر الأموي، وبعض شخصيات هذا العصر، ولاسيما الحجاج بن يوسف الثقفي، وقبل ذلك الكشف عن عمق العلاقات بين شبه الجزيرتين العربية والهندية منذ مئات السنين قبل الميلاد، فإن وفقت فذلك منة من الله تعالى، وإن أخفقت فحسبي المحاولة.

الملاحق:



أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط١٢، دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٩٨.



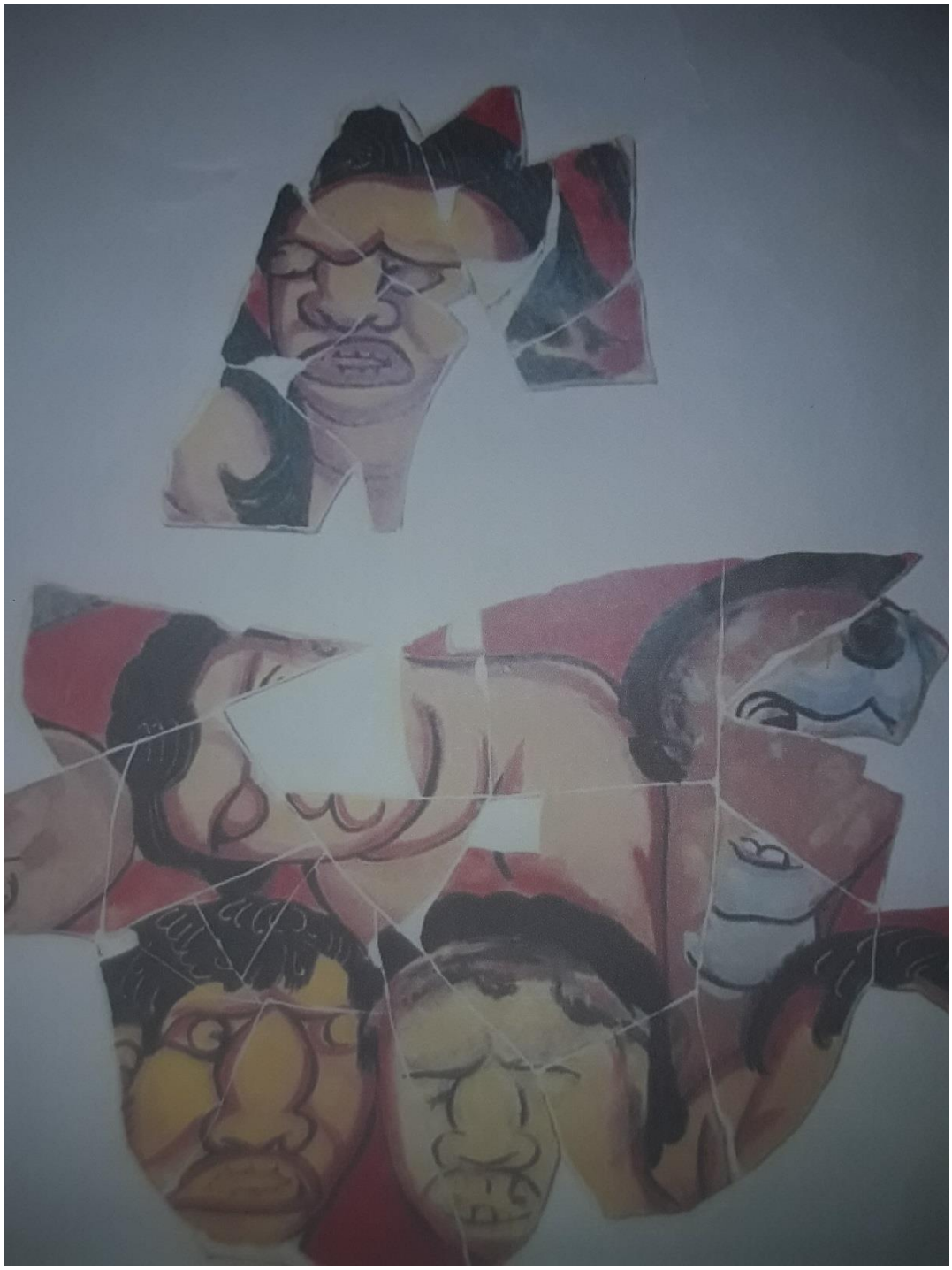
بقايا أول مسجد بناه المسلمون في بلاد الهند والسند، وهو المسجد الذي بناه محمد بن القاسم في مدينة الديبل، المغلوث: أطلس تاريخ الدولة الأموية، ص١٦٩.



بقايا المسجد الذي بناه محمد بن القاسم في العاصمة أرور، المغلوث: أطلس تاريخ الدولة الأموية، ص١٦٩.



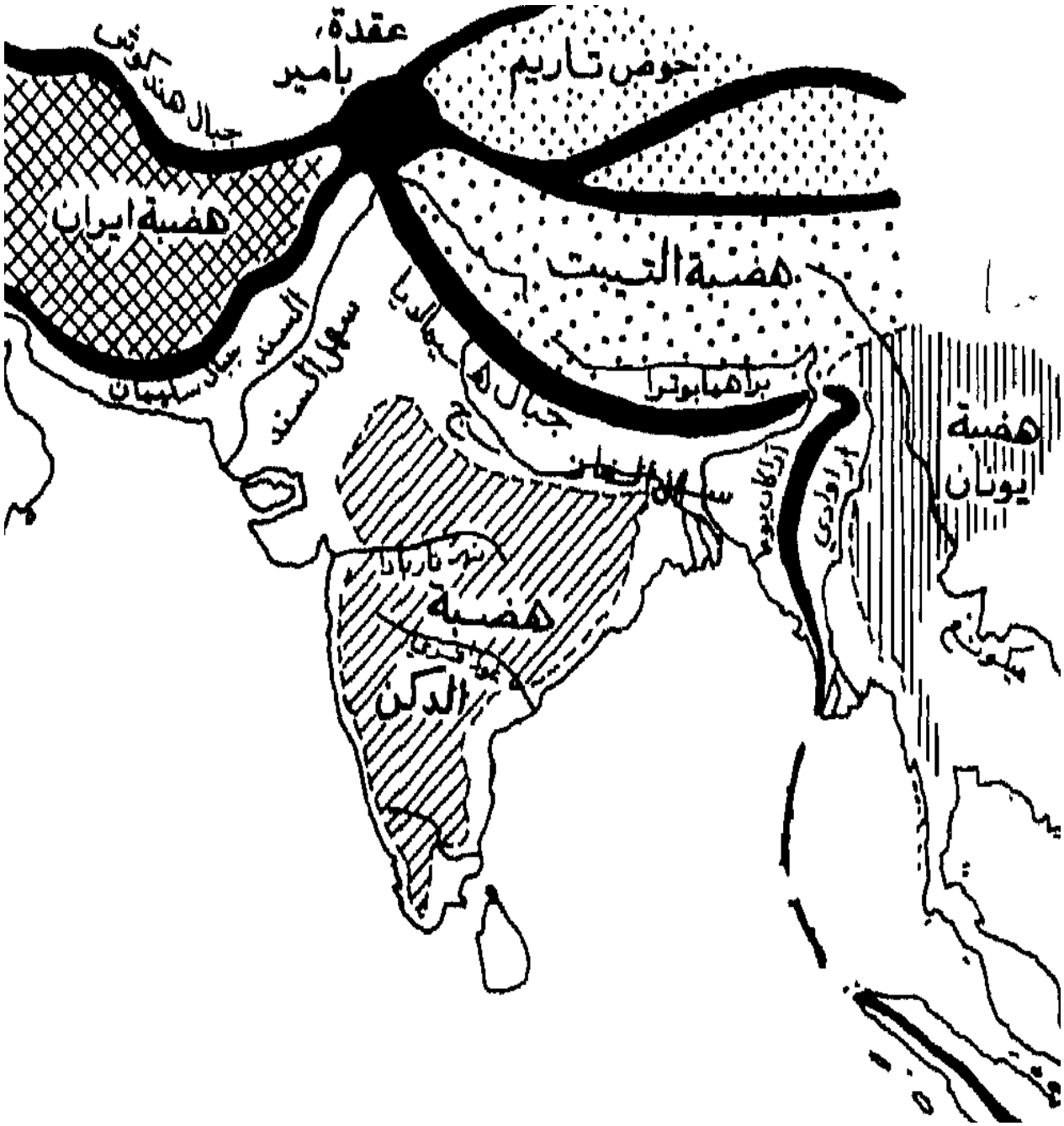
صورة عن لوحة في المتحف الوطني بدمشق، منقولة من قصر الحير الغربي، تظهر فيها جارية، يعتقد أنها من جواري بلاد الهند والسند، اللواتي جيء بهن أثناء خلافة هشام بن عبد الملك.



صورة عن لوحة في المتحف الوطني بدمشق، منقولة من قصر الحير الغربي، يظهر فيها عددٌ من الوجوه لأشخاصٍ، يعتقد أنه جيء بهم من بلاد السند والهند أثناء خلافة هشام بن عبد الملك.



خريطة تظهر ممر ناثولا، الذي يصل بلاد السند والهند بالصين.



خريطة طبيعية لشبه الجزيرة الهندية، يظهر فيها ممر ناثولا إلى الصين بين جبال الهيمالايا، موسى: جغرافية القارات، ص٢٦٦.



لوحة تمثل مسجد إسلامي بني في ساحل المليبار قبيل الفتوحات العسكرية في الشمال.

علي: الهجرات العربية الهندية، ص١٨٣.



خريطة لبلاد السند والهند من عمل الباحث، حيث لم يتم الوقوف على أي خريطة توضح مواقع بعض المدن أثناء الفتوحات، وتم تحديدها بالاستناد إلى روايات البلاذري، والكوفي، حيث يمثل اللون الأخضر فتوحات محمد بن القاسم الثقفي.



خريطة لبلاد السند والهند من عمل الباحث، حيث يمثل اللون الأخضر المناطق التي امتدت إليها سيطرة المسلمين في تلك البلاد أثناء ولاية الجنيد بن عبد الرحمن.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: قائمة المخطوطات:

- **الهمذاني(رشيد الدين فضل الله ت ٧١٨هـ/١٣١٨م):**

١- مخطوط جامع التواريخ، المتحف البريطاني.

ثالثاً: قائمة المصادر:

- **ابن الأثير(أبو السعادات المبارك الجزري ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م):**

١- النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، ط١، الدمام، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- **ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):**

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٣- الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤- اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

- **الإدريسي(محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م):**

٥- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د.ت).

- **ابن آدم(يحيى ت ٢٠٣هـ/٨١٨م):**

٦- الخراج، تح: حسين مؤنس، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- **الأدفوي(جعفر بن ثعلب ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):**

٧- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تح: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

- **الأزهري(أبو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ/٩٨١م):**

٨- تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- **ابن أبي شيبة(أبو بكر عبد الله بن محمد ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م):**

٩- مصنف ابن أبي شيبة، تح: محمد عوامة، الدار السلفية الهندية، (د.م)، (د.ت).

- **الاصطخري(أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):**

١٠- المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م.

- **الأصفهاني(أبي نعيم أحمد بن عبد الله ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م):**

١١- حلية الأولياء، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **الأصفهاني(أبي حامد محمد بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):**

١٢- البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **ابن أعثم الكوفي(أبي محمد أحمد ت ٣١٤هـ/٩٢٦م):**

١٣- الفتوح، تح: علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- **ابن الأنباري(أبي البركات كمال الدين محمد ت ٥٧٧هـ/١١٨١م):**

١٤- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامري، مكتبة المنار، ط٣، الأردن، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **ابن أيبك الدواداري(أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٦هـ/١٤٣٢م):**

١٥- كنز الدرر وجامع الغرر(الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية)، تح: دوروتياكرافولسكي، نيو تايب إلكترونيك، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **ابن أيبك الصفدي(صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):**

١٦- الوافي بالوفيات، دار نشر فرانز شتاينر، ط٢، شتوتغارت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- **البخاري(محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م):**

١٧- الأدب المفرد، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

١٨- الجامع الصحيح، دار الشعب، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **البرتي(أحمد بن محمد بن عيسى ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م):**

١٩- مسند عبد الرحمن بن عوف، تح: صلاح بن عايض الشلاحي، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- **البزاز(أبو بكر أحمد بن عمرو ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م):**

٢٠- مسند البزار، تح: محفوظ عبد الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط١، المدينة المنورة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٢١- المعجم، تح: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، ط١، الدمام، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- **ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):**

٢٢- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العرفان، دار إحياء العلوم، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **البغدادي(محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي ت٢٤٥هـ/٨٥٩م):**

٢٣- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٤- المحبر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

٢٥- المنمق في أخبار قريش، تح: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **البغوي(الحسين بن مسعود ت ٤٣٦هـ/٥١٦م):**

٢٦- شرح السنة، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- **ابن بكار(الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م):**

٢٧- الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكي الغاني، مطبعة أمير قم، ط١، إيران، ١٤١٦هـ/١٣٧٤م.

٢٨- جمهرة نسب قريش وأخبارها، تح: عباس هاني الجراح، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- **البكري(طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد ت ٦٠ ق.هـ/٥٦٤م):**

٢٩- الديوان، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **البلاذري(أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):**

٣٠- أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣١- فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **البياسي(يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري ت ٦٥٣هـ/١٢٥٥م):**

٣٢- الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، تح: شفيق جاسر أحمد محمود، ط١، عمان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

- **البيروني(أبو الريحان محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م):**

٣٣- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

٣٤- الجماهر في معرفة الجواهر، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).

- **البيهقي(أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):**

٣٥- السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط١، حيدر أباد، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

٣٦- دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **التاجر(سليمان ت منتصف القرن ٣هـ/٩م):**

٣٧- عجائب الدنيا وقياس البلدان، تح: سيف شاهين المريخي، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د.م)، (د.ت).

- **الترمذي(محمد بن عيسى ت ٢٧٩هـ/٩٠٩م):**

٣٨- الجامع الصحيح، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

- **ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):**

٣٩- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تح: فهيم محمد شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٠- مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تح: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **ابن تمام التميمي(أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م):**

٤٢- المحن، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **التنبكي(أحمد بابا ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٦م):**

٤٣- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، ط٢، طرابلس الغرب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- **الثعالبي(عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت ٤٣٠هـ/٩٥١م):**

٤٤- فقه اللغة وأسرار العربية، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط٢، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- **الجاحظ(أبو عثمان عمر بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م):**

٤٥- البيان والتبيين، تح: فوزي عطوي، دار صعب، ط١، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- **ابن الجزري(شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م):**

٤٦- غاية النهاية في طبقات القراء، تح: دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **ابن جعفر(قدامة ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م):**

٤٧- الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

- **الجهشياري(أبي عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ/٩٤٣م):**

٤٨- الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، ط١، القاهرة، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

- **ابن الجوزي(جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):**

٤٩- تلبيس إبليس، تح: يحيى مراد، كتب عربية، (د.م)، (د.ت).

٥٠- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٥١- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥٢- صفة الصفوة، تح: محمود الفاخوري، محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥٣- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- **الجوهري (اسماعيل بن حماد، أبو نصر ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م):**

٥٤- تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- **حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م):**

٥٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

- **الحازمي(محمد بن موسى ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م):**

٥٦- الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، دار اليمامة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- **الحاكم النيسابوري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م):**

٥٧- المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- **ابن حبيش(أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م):**

٥٨- الغزوات، تح: أحمد غنيم، ليدن، برلين، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- **ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):**

٥٩- الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٦٠- تقريب التهذيب، تح: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، القاهرة، (د.ت).

٦١- تهذيب التهذيب، دار المعارف النظامية، ط١، الهند، (د.ت).

٦٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٦٣- لسان الميزان، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **ابن أبي الحديد(عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م):**

٦٤- شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).

- **ابن حزم(أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):**

٦٥- أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦٦- جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٥، القاهرة، (د.ت).

- **الحصري(أبو إسحاق علي بن إبراهيم القيرواني ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م):**

٦٧- جمع الجواهر في الملح والنوادر، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط٢، بيروت، (د.ت).

- **الحموي(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):**

٦٨- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، (د.ت).

٦٩- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- **الحميري(محمد بن عبد المنعم ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م):**

٧٠- الروض المعطار في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

- **ابن حنبل(أبو عبد الله أحمد بن محمد ت ٢٤١هـ/٨٥٥م):**

٧١- المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ت).

- **ابن حوقل(أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي ت بعد عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م):**

٧٢- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، (د.م)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **الخراساني(سعيد بن منصور ت٢٢٧هـ/٨٤١م):**

٧٣- سنن سعيد بن منصور، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- **ابن خرداذبه(أبو القاسم عبد الله بن أحمد ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م):**

٧٤- المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- **الخطيب البغدادي(أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م):**

٧٥- تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- **ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):**

٧٦- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت).

- **ابن خلكان(أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):**

٧٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- **ابن خياط(أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م):**

٧٨- تاريخ خليفة، تح: سهيل زكار، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٧٩- الطبقات، تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- **الدارمي(أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م):**

٨٠- مسند الدارمي، تح: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **أبو داود(سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م):**

٨١- سنن أبي داود، تح: محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

- **ابن دريد(أبي بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ/٩٣٣م):**

٨٢- الاشتقاق، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- **الدلجي(أحمد بن علي ت ٨٣٨هـ/١٤٢٩م):**

٨٣- الفلاكة والمفلوكون، مطبعة الشعب، جمهورية مصر العربية، ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م.

- **ابن الدمياطي(أحمد بن عز الدين أيبك ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):**

٨٤- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تح: محمد مولود خلف، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **الدينوري(أحمد بن داود ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م):**

٨٥- الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، (د.ت).

٨٦- عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **الدينوري(أبو بكر أحمد بن مروان المالكي ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م):**

٨٧- المجالسة وجواهر العلم، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- **الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م):**

٨٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٨٩- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٩٠- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٩١- العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٩٢- ميزان الاعتدال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- **الرازي(محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م):**

٩٣- مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **ابن راهويه(إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ت ٢٣٨هـ/٨٥٣م):**

٩٤- المسند، تح: عبد الغفور بن عبد الحق، مكتبة الإيمان، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- **ابن رسته(أبي علي أحمد بن عمر ت ٣٠٠هـ/٩١٢م):**

٩٥- الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٩هـ/١٨٩٠م.

- **الزبيدي(محمد بن محمد بن عبد الرزاق ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):**

٩٦- تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.م)، (د.ت).

- **أبي زرعة الدمشقي(عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري ت ٢٨١هـ/٨٩٤م):**

٩٧- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م):**

٩٨- الجبال والأمكنة والمياه، مطبعة بريل، ليدن، ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م.

- **ابن زنجويه(حميد ت ٢٥١هـ/٨٦٥م):**

٩٩- الأموال، تح: شاكر ذيب فياض، مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **الزهري(أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ت ٥٤٩هـ/١١٥٤م):**

١٠٠- الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

- **ابن زهير(كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ت٢٦هـ/٦٤٥م):**

١٠١- الديوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **سبط بن الجوزي(شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م):**

١٠٢- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: محمد رضوان عرقسوسي، عمار ريحاوي، الرسالة العالمية، ط١، دمشق، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

- **السبكي(تاج الدين بن علي ابن عبد الكافي ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م):**

١٠٣- طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناجي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، ط٢، جمهورية مصر العربية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **السخاوي(محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م):**

١٠٤- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

- **ابن أبي السرور البكري(أبي الحسن علي بن أبي عبد الله ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م):**

١٠٥- بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د.ت).

- **ابن سعد(محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م):**

١٠٦- الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- **ابن سلام(أبو عبيد القاسم ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م):**

١٠٧- الأموال، تح: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

- **ابن سلام الجمحي(محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):**

١٠٨- طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت).

- **السمعاني(أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م):**

١٠٩- الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، عمان، (د.ت)

- **سهراب(أبو الحسن الحسن بن بهلول ت القرن ٤هـ/١٠م):**

١١٠- عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، اعتناء: هانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولزهوزن، فيينا، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

- **ابن سيده المرسي(أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):**

١١١- المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- **السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):**

١١٢- تاريخ الخلفاء، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط١، مصر، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

١١٣- طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١١٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).

- **الشاشي(أبي سعيد الهيثم بن كليب ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م):**

١١٥- مسند الشاشي، تح: محفوض الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- **الشافعي(محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م):**

١١٦- مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- **ابن شبه(أبو زيد عمر النميري ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م):**

١١٧- تاريخ المدينة النبوية، تح: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، دمشق، (د.ت).

- **ابن شهريار(بزرك ت منتصف القرن ٤هـ/١٠م):**

١١٨- عجائب الهند بره وبحره، تح: فان درليت، مكتبة بيبليون، لبنان، (د.ت).

- **شيخ الربوة(أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م):**

١١٩- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

- **الشيرازي(أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م):**

١٢٠- طبقات الفقهاء، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط١، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

- **الصاحب بن عباد(أبي القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م):**

١٢١- المحيط في اللغة، تح: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- **ابن أبي صبيعة(موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م):**

١٢٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

- **الصنعاني(أبو بكر عبد الرزاق بن همام ت ٢١١هـ/٨٢٧م):**

١٢٣- مصنف عبد الرزاق، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

- **الصولي(أبي بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م):**

١٢٤- أدب الكتاب، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.

- **طاش كبري زاده(أحمد بن مصطفى بن خليل ت ٩٦٨هـ/١٥٦١م):**

١٢٥- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **الطبراني(أبو القاسم سليمان بن أحمد ت ٣٦٠هـ/٩١٨م):**

١٢٦- مسند الشاميين، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

١٢٧- المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- **الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ت ٣١٠هـ/٩٢٢م):**

١٢٨- تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- **ابن الطقطقا(محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م):**

١٢٩- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- **الطيب بامخرمة(عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م):**

١٣٠- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، ط١، جدة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

- **ظهير الدين البيهقي(علي بن زيد بن محمد ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م):**

١٣١- تتمة صوان الحكمة، مجلس سنا، لاهور، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

- **ابن أبي عاصم(أحمد بن عمرو بن الضحاك ت ٢٨٧هـ/٩٠٠م):**

١٣٢- الجهاد، تح: مساعد بن سليمان الراشد الجميد، مكتبة العلوم والحكم، ط١، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- **ابن عبد البر(أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):**

١٣٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **ابن عبد الحق البغدادي(صفي الدين عبد المؤمن ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م):**

١٣٤- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **ابن عبد الحكيم(أبي محمد عبد الله ت ٢١٤هـ/٨٢٩م):**

١٣٥- الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، تح: أحمد عبيد، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).

- **ابن عبد ربه(أحمد بن محمد ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م):**

١٣٦- العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

- **ابن العبري(غريغوريوس أبي الفرج بن هارون الطبيب الملطي ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م):**

١٣٧- تاريخ مختصر الدول، دار الرائد، ط١، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

- **أبو عبيد الله البكري(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):**

١٣٨- المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، (د.م)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٣٩- معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

- **ابن العديم(كمال الدين عمر بن أحمد ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م):**

١٤٠- بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

١٤١- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط١، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- **أبو العرب التميمي(محمد بن أحمد بن تميم بن تمام ت ٣٣٣هـ/٩٤٥م):**

١٤٢- المحن، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **ابن عساكر(أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ت ٥٧١هـ/١١٧٥م):**

١٤٣- تاريخ دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **العصامي(عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ت ١١١١هـ/١٦٩٩م):**

١٤٤- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- **ابن العماد الحنبلي(عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م):**

١٤٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الإرناؤوط- محمود الإرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **ابن عمر(سيف ت ١٨٠هـ/٧٩٦م):**

١٤٦- الردة والفتوح، تح: قاسم السامرائي، دار أمية، ط٢، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٤٧- الفتنة ووقعة الجمل، تح: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- **ابن العمراني(محمد بن علي بن محمد ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م):**

١٤٨- الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- **ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٢٩هـ/١٠٠٤م):**

١٤٩- مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- **أبو الفداء(عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م):**

١٥٠- تقويم البلدان، تصحيح: رينود والبارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م.

١٥١- المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم محمد عرب وآخرون، دار المعارف، ط١، القاهرة، (د.ت).

- **الفراهيدي(أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ت ١٧٠هـ/٧٨٦م):**

١٥٢- العين، تح: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، القاهرة، (د.ت).

- **أبو الفرج الأصفهاني(علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م):**

١٥٣- مقاتل الطالبيين، تح: أحمد الصقر، مطبعة أمير، قم، ١٤١٦هـ/١٣٧٤م.

- **الفسوي(أبو يوسف يعقوب بن سفيان ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م):**

١٥٤- المعرفة والتاريخ، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- **ابن فضل الله العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):**

١٥٥- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **ابن الفقيه(أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م):**

١٥٦- مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م.

- **الفيروز آبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٤م):**

١٥٧- القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- **القالي(أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م):**

١٥٨- الإتباع، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

١٥٩- ذيل الأمالي والنوادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- **ابن قتيبة(أبي محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م):**

١٦٠- المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط٤، القاهرة، (د.ت).

- **القرشي(عبد القادر بن محمد ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م):**

١٦١- الجواهر المضنية في طبقات الحنفية، كتب خانه، كراتشي، (د.ت).

- **القرماني(أحمد بن يوسف ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م):**

١٦٢- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **القزويني(زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):**

١٦٣- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- **القفطي(جمال الدين أبي الحسن علي ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م):**

١٦٤- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).

١٦٥- المحمدون من الشعراء تح: حسن معمري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باريس، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

- **القلقشندي(أبي العباس أحمد بن علي ت٨٢١هـ/١٤١٨م):**

١٦٦- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

١٦٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

- **الكتبي(محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):**

١٦٨- فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- **ابن كثير(عماد الدين إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):**

١٦٩- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط٢، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٧٠- السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- **الكلاعي(أبو الربيع سليمان بن موسى ت٦٣٤هـ/١٢٣٧م):**

١٧١- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تح: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٨٧م.

- **ابن الكلبي(أبي المنذر هشام بن محمد السائب ت ٢٠٤هـ/٨١٩م):**

١٧٢- جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- **الكندي(محمد بن يوسف بن يعقوب ت ٩٦١هـ/١٥٥٣م):**

١٧٣- ولاة مصر، تح: حسين نصار، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- **الكوفي(علي بن حامد بن أبي بكر ت بعد سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م):**

١٧٤- فتح السند، تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **ابن ماجه(أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م):**

١٧٥- سنن ابن ماجه، مكتبة أبي المعاطي، (د.م)، (د.ت).

- **مالك بن أنس(ابن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني ت ١٧٩هـ/٧٩٥م):**

١٧٦- الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، (د.ت).

- **ابن المبارك(عبد الله ت ١٨١هـ/٧٩٧م):**

١٧٧- المسند، تح: صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، ط١، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٧٧م.

- **ابن المجاور(جمال الدين يوسف بن يعقوب ت٦٩٠هـ/١٢٩١م):**

١٧٨- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تصحيح: أوسكر لوففرين، دار التنوير، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- **المرعشي(أبو منصور الحسين بن محمد ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م):**

١٧٩- غرر السير، تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **ابن مزاحم(نصر المنقري ت٢١٢هـ/٨٢٧م):**

١٨٠- وقعة صفين، تح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، ط٢، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

- **المزي(جمال الدين أبي الحجاج يوسف ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م):**

١٨١- تهذيب الكمال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):**

١٨٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٨٣- التنبيه والإشراف، مطبعة بريل، ليدن، ١٣١١هـ/١٨٩٣م.

١٨٤- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **مسكويه(أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م):**

١٨٥- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

- **المعبري(أحمد زين الدين ت٩٩١هـ/١٥٨٣م):**

١٨٦- تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، تح: محمد سعيد الطريحي، مؤسسة الوفاء، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **مغلطاي(علاء الدين بن قلنج بن عبد الله البكجري الحنفي ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م):**

١٨٧- مختصر تاريخ الخلفاء، تح: آسيا كليبان علي البارح، دار الفجر، ط١، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- **المقدسي(مطهر بن طاهر ت بعد ٣٥٥هـ/٩٦٦م):**

١٨٨- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

- **المقدسي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):**

١٨٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

- **المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):**

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، ط٢، مصر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **المكناسي(أحمد بن القاضي ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م):**

١٩٠- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- **المنذري(عبد العظيم بن عبد القوي ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م):**

١٩١- التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- **ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري ت ٧١١هـ/١٣١١م):**

١٩٢- لسان العرب، بيروت، دار صادر، (د.ت).

١٩٣- مختصر تاريخ دمشق، تح: روحية النحاس، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

- **مؤلف مجهول:**

١٩٤- أخبار الدولة العباسية، تح: عبد العزيز الدوري، دار الطليعة، بيروت، (د.ت).

- **مؤلف مجهول:**

١٩٥- تاريخ سجستان، تر: محمود عبد الكريم علي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **مؤلف مجهول:**

١٩٦- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- **مؤلف مجهول:**

١٩٧- العيون والحدائق وأخبار الحقائق، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

- **النديم(أبو الفرج محمد بن إسحاق ت ٣٨٤هـ/١٠٤٧م):**

١٩٨- الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- **النسائي(أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ/٩١٥م):**

١٩٩- المجتبى من السنن، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٢، حلب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **النويري(أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م):**

٢٠٠- نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- **الهروي(أبو سهل محمد بن علي بن محمد ت ٤٣٣هـ/١٠٤١م):**

٢٠١- إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، الجامعة الإسلامية، ط١، المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- **ابن هشام(عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ت ٢٣١هـ/٨٢٨م):**

٢٠٢- السيرة النبوية، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٨١م.

- **أبي هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م):**

٢٠٣- الأوائل، تح: محمد السيد الوكيل، دار البشير، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- **الواقدي(محمد بن عمر ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م):**

٢٠٤- فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، مطبعة المحروسة، مصر، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م.

٢٠٥- المغازي، تح: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

- **الوثابي(أبو طاهر إسماعيل بن محمد بن أحمد ت ٥٣٣هـ/١١٣٩م):**

٢٠٦- تاريخ الخلفاء، تح: سهيل زكار، (قيد النشر).

- **ابن وحشية(أحمد بن الحسين ت ٣١٨هـ/٩٣٠م):**

٢٠٧- السموم والترياقات، مكتبة قطر الوطنية، الدوحة، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- **ابن الوردي(سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):**

٢٠٨- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

٢٠٩- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **وكيع(محمد بن خلف بن حيان ت ٣٠٦هـ/٩١٨م):**

٢١٠- أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

- **اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م):**

٢١١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اعتناء: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):**

٢١٢- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٢١٣- البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م.

- **أبي يعلى(أحمد بن علي بن المثنى ت ٣٠٧هـ/٩١٩م):**

٢١٤- مسند أبي يعلى، تح: حسن سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١، (د.م)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **أبي يوسف(يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٣هـ/٧٩٩م):**

٢١٥- الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

رابعاً: قائمة المراجع العربية:

- **إبراهيم(محمد إبراهيم):**

١- الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، مطبعة الأمانة، ط١، القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- **إبراهيم(محمود محمد):**

٢- التراث العمراني لمدينة الديبل إبان العصر الإسلامي، جامعة بني سويف، جمهورية مصر العربية، (د.ت).

- **الأدنروي(أحمد بن محمد):**

٣- طبقات المفسرين، مكتبة العلوم والحكم، ط١، (د.م)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- **الأعظمي(محمد ضياء الرحمن):**

٤- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، ط٢، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- **الأفغاني(سعيد):**

٥- أسواق العرب في الجاهلية، دار الفكر، ط٣، دمشق، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- **أكبر(فايزة إسماعيل):**

٦- البطائح تحت نفوذ عمران بن شاهين من حوالي ٣٣٠-٣٦٩هـ/٩٤١-٩٧٩م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جدة، (د.ت).

- **أمين(أحمد):**

٧- فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط١٠، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

- **ابن بدران(عبد القادر بن أحمد بن مصطفى):**

٨- تهذيب تاريخ ابن عساكر، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

- **البغدادي(إسماعيل):**

٩- هدية العارفين، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، (د.ت).

- **أبو بكر(زيد):**

١٠- طبقات النسابين، دار الرشيد، ط١، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **الترمانيني(عبد السلام):**

١١- الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، عالم المعرفة، الكويت، (١٤٢٨هـ/١٩٩٨م).

- **الحايك(منذر):**

١٢- فيدا نصوص هندوسية مقدسة، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دبي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

- **أبو حجير(إياس سليم سلمان):**

١٣- المسلمون في الصين، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- **الحسني(عبد الحي بن فخر الدين):**

١٤- الهند في العهد الإسلامي، دار عرفات، الهند، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٥- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢، حيدر أباد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

- **حسين(بثينة):**

١٦- الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط١، سوسة، (د.ت).

- **الحسين(بكري عمر رحمة حاج):**

١٧- انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **حسين(نيفين):**

١٨- طريق الحرير الجديد وأثره على دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الاقتصاد، الإمارات العربية المتحدة، (د.ت).

- **حقي(إحسان):**

١٩- منوسمرتي كتاب الهندوس المقدس، دار اليقظة العربية، ط١، (د.م)، (د.ت).

- **الحمد(عبد القادر شيبة):**

٢٠- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ط٤، الرياض، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- **الحمد(محمد عبد الحميد):**

٢١- حضارات طريق الحرير، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- **الحموي(محمد ياسين):**

٢٢- تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

- **الخضري بك(محمد):**

٢٣- تاريخ الأمم الإسلامية، مطبعة الاستقامة، ط٤، جمهورية مصر العربية، ١٣٥٤هـ/١٩٢٦م.

- **خطاب(محمود شيت):**

٢٤- قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٢٥- الهند قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، دار قتيبة، ط٤، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- **أبو خليل(شوقي):**

٢٦- فتح الديبل بقيادة محمد بن القاسم الثقفي، دار الفكر، دمشق، (د.ت).

- **خليل(عماد الدين):**

٢٧- ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- **خياطة(نهاد):**

٢٨- الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، (د.م)، (د.ت).

- **رضا(محمد):**

٢٩- أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

- **الرفاع(علي عبد الله):**

٣٠- رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة، ط٢، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- **رمضان(عبد العظيم):**

٣١- الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

- **الزركلي(خير الدين):**

٣٢- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **زكار(سهيل)، خربوطلي(شكران):**

٣٣- الحضارة العربية الإسلامية، كلية الآداب، دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **زكريا(ماجدة فيصل):**

٣٤- عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، مكتبة الطالب الجامعي، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **الزوكه(محمد خميس):**

٣٥- جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- **أبو زيد(علا عبد العزيز):**

٣٦- الدولة الأموية دولة الفتوحات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **زيدان(جرجي):**

٣٧- تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، جمهورية مصر العربية، (د.ت).

٣٨- تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- **ابن زيني دحلان(أحمد):**

٣٩- الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة المسيرية، مكة، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م.

- **الساداتي(أحمد محمود):**

٤٠- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت).

- **سارة(خليل):**

٤١- تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- **السالمي(نور الدين عبد الله بن حميد):**

٤٢- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مطبعة الشباب، ط٢، القاهرة، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م.

- **سعفان(كامل):**

٤٣- معتقدات آسيوية، دار الندى، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- **سعيد(حبيب):**

٤٤- أديان العالم، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، (د.ت).

- **سلطان(عبد المنعم عبد الحميد):**

٤٥- آل المهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- **السواح(فراس):**

٤٦- دين الإنسان، دار علاء الدين، دمشق، (د.ت).

- **السيابي(سالم بن حمود بن شامس):**

٤٧- عمان عبر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة، ط٥، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- **شاكر(محمود):**

٤٨- موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **شاهين(حمدى):**

٤٩- الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، (د.ت).

- **شلبي(أحمد):**

٥٠- أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، ط١١، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٥١- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة، ط٧، القاهرة، ١٤٠٧١هـ/١٩٨٦م.

- **شلبي(محمود):**

٥٢- حياة عمر بن عبد العزيز، دار الجيل، ط٣، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- **الشنيور(إبراهيم علي):**

٥٣- الفتح العربي الإسلامي لجنوب بلاد الشام من الناحية العسكرية ٧هـ/٦٢٨م-١٧هـ/٦٣٨م، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **الشوكاني(محمد بن علي):**

٥٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- **صالح(عبد العزيز):**

٥٥- تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- **صديق(محمد يوسف):**

٥٦- رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠١م.

- **ابن صراي(حمد محمد):**

٥٧- العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوبي شرقي آسيا، الجمعية التاريخية السعودية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **الصلابي(علي محمد):**

٥٨- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٥٩- عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **الصيني(بدر الدين حي):**

٦٠- العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م.

- **ضيف(شوقي):**

٦١- تاريخ الأدب العربي"العصر الجاهلي"، دار المعارف، ط١١، القاهرة، (د.ت).

- **الطرازي(عبد الله مبشر):**

٦٢- انتشار الإسلام في العالم في ٤٦ دولة آسيوية وإفريقية، عالم المعرفة، ط١، جدة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- **طقوش(محمد سهيل):**

٦٣- تاريخ الخلفاء الراشدون الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط٢، بيروت، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **طه(عبد الواحد ذنون):**

٦٤- العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- **طهبوب(صلاح):**

٦٥- العصر الأموي، دار أسامة، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

- **عبادة(عبد الفتاح):**

٦٦- سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها، مطبعة الهلال، مصر، ١٣٣٢هـ/١٩١٣م.

- **العبد(محمد عبد المجيد):**

٦٧- الإسلام والدول الإسلامية في الهند، مطبعة الرغائب، ط١، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

- **عبد الحكيم(منصور):**

٦٨- الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية في الميزان، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

- **عبد الحليم(وفاء محمود):**

٦٩- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للبنغال منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي "٦٠١هـ/١٢٠٤م/٩٨٢هـ-١٥٧٤م"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

٧٠- الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- **عبد الله (فيصل)، مرعي(عيد):**

٧١- المدخل إلى تاريخ الحضارة، جامعة دمشق، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- **العبودي(محمد بن ناصر):**

٧٢- في شرق الهند رحلة وحديث في أحوال المسلمين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٨٩م.

- **عثمان(شوقي عبد القوي):**

٧٣- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- **عجيبة(أحمد علي):**

٧٤- دراسات في الأديان الوثنية القديمة، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- **العدوي(أحمد إبراهيم):**

٧٥- الأمويون والبيزنطيون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ت).

- **علي(جواد):**

٧٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- **العمري(عبد العزيز بن إبراهيم):**

٧٧- الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيلية، ط٣، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- **عنان(محمد عبد الله):**

٧٨- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، الناشر حسين عنان، ط٥، (د.م)، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **فرشوخ(محمد مرسين):**

٧٩- موسوعة عباقرة الإسلام في الفلك والعلوم البحرية وعلم النبات وعلم الميكانيكا، دار الفكر العربي، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **الفقي(عصام الدين عبد الرؤوف):**

٨٠- بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

- **فهمي(نعيم زكي):**

٨١- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- **فوزي(فاروق عمر):**

٨٢- الخلافة الأموية دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام ٤١- ١٣٢هـ/٦٦١- ٧٥٠م، دار الشروق، ط١، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- **فياض(عبد الله):**

٨٣- محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، مطبعة الإرشاد، ط١، بغداد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- **قطب(محمد علي):**

٨٤- أبطال الفتح الإسلامي، دار الدعوة، ط١، الإسكندرية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **كحالة(عمر رضا):**

٨٥- معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، (د.ت).

- **كحيلة(عبادة عبد الرحمن):**

٨٦- الزط والأصول الأولى لتاريخ الغجر، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط١، جمهورية مصر العربية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- **كسرائي(شاكر):**

٨٧- قاموس فارسي عربي، مكتبة مؤمن قريش، ط١، بيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- **أبو الليل(محمد مرسي):**

٨٨- الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

- **محمد(قطب إبراهيم):**

٨٩- السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

- **محمد جاد(ناصر محمدي):**

٩٠- التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، دار الميمان، ط١، الرياض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- **المحمود(إبراهيم مصطفى):**

٩١- الصين وطريق الحرير، مديرية المطبوعات والنشر، ط١، دمشق، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

- **مراد(سعيد):**

٩٢- المدخل إلى تاريخ الأديان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، (د.ت).

- **مصطفى(إبراهيم)، وآخرون:**

٩٣- المعجم الوسيط، دار الدعوة، الإسكندرية، (د.ت).

- **مظهر(سليمان):**

٩٤- قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **المغلوث(سامي بن عبد الله بن أحمد):**

٩٥- أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مكتبة العبيكات، ط١، الرياض، ١٤٣٦هـ/٢٠٠٥م.

- **المغلوث(سلمى بن عبد الله بن أحمد):**

٩٦- أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٩٧- أطلس حروب الردة، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- **المقدسي(صبري):**

٩٨- الموجز في المذاهب والأديان، المديرية العامة للثقافة والفنون، ط١، أربيل، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- **الملحم(محمد بن ناصر بن أحمد):**

٩٩- يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ودوره في بلاد الشرق، نادي الإحساء الأدبي، ط١، الإحساء، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- **الموحي(عبد الرزاق رحيم صلال):**

١٠٠- حقوق الإنسان في الأديان السماوية، دار المناهج، (د.م)، (د.ت).

- **موسى(رؤوف سلامة):**

١٠١- الإسكندر الأكبر، دار المستقبل، بيروت، (د.ت).

- **موسى(علي)، الحمادي(محمد):**

١٠٢- جغرافية القارات، دار الفكر، سورية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- **مؤنس(حسين):**

١٠٣- الإسلام الفاتح، رابطة العالم الإسلامي، (د.م)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

- **الناصري(أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م):**

١٠٤- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- **الندوي(محمد إسماعيل):**

١٠٥- تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح، ط١، بيروت، (د.ت).

١٠٦- الهند القديمة حضاراتها وديانتها، دار الشعب، (د.م)، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

- **أبو النصر الصوفي(محمد عبد العظيم):**

١٠٧- تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، شركة نوابع الفكر، ط١، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- **النعيم(نورة عبد الله العلي):**

١٠٨- الوضع الاقتصادي في الجزيرة في الفترة بين القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، ط١، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **النمر(عبد المنعم):**

١٠٩- تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزريع، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- **نومسوك(عبد الله):**

١١٠- البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، مكتبة أضواء السلف، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

خامساً: قائمة المراجع الأجنبية المعربة:

- **أرنولد(توماس):**

١- الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- **أوستلر(نيقولاس):**

٢- إمبراطوريات الكلمة تاريخ للغات في العالم، تر: محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **إيمار(أندريه)، أوبوأيه(جانين):**

٣- تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة، تر: فريدم. داغر- فؤاد ج. أبو ريحان، منشورات عويدات، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- **بارتولد(فاسيلي فلاديميروفيتش):**

٤- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- **باعثمان(عثمان بن سعيد):**

١١١- قدوم العرب إلى الهند، تر: حامد بن عبيد بن خليفة، الجمعية اليمنية، ط١، حيدر أباد، (د.ت).

- **بولو(ماركو ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م):**

٥- رحلات ماركو بولو، تر: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **تشاندر دات(روميش):**

٦- حضارة الهند، تر: مجموعة اقرأ، وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **تشاند(تارا):**

٧- أثر الإسلام في الثقافة الهندية، تر: محمد أيوب الندوي، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- **جلوب(جون باجوت):**

٨- الفتوحات العربية الكبرى، تر: خيري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، (د.ت).

- **حبيب(عرفان):**

٩- الهند في العصور الوسطى، تر: أحمد العباسي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط١، أبو ظبي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.

- **حوراني(جورج فضلو):**

١٠- العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، تر: يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥١م.

- **دياكوف، (ف)، كوفاليف، (س):**

١١- الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، ط١، دمشق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- **ديورانت(ول وايرل):**

١٢- قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

- **زينر(ر. س):**

١٣- موسوعة الأديان الحية، تر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- **سميث(هوستن):**

١٤- أديان العالم، تر: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، ط٣، حلب، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- **علي(أمير سيد):**

١٥- روح الإسلام، تر: أمين محمود الشريف، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

- **غيفورد(روب):**

١٦- طريق الصين رحلة في مستقبل قوة صاعدة، تر: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **كوبيشفانوف(يوري ميخايلوفتش):**

١٧- الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية "من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع"، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **كينيدي(هيو):**

١٨- الفتوح العربية الكبرى، تر: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

- **لسترنج (كي):**

١٩- بلدان الخلافة الإسلامية، تر: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **لفنسون(كلود ب):**

٢٠- البوذية، تر: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

- **لوبون(غوستاف):**

٢١- حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٢٢- حضارات الهند، تر: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- **مايلز(س.ب):**

٢٣- الخليج بلدانه وقبائله، تر: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة، ط٢، سلطنة عمان، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- **مباركبوري(أظهر):**

٢٤- رجال السند والهند إلى القرن السابع، المطبعة الحجازية، الهند، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

٢٥- العرب والهند في عهد الرسالة، تر: عبد العزيز عزت عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٢٦- العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، دار الأنصار، القاهرة، (د.ت).

- **مجيب(محمد):**

٢٧- تاريخ حضارة الهند، تر: محمد نعمان خان، مؤسسة الفكر العربي، ط١، بيروت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- **المرصفي(سيد بن علي):**

٢٨- رغبة الأمل من كتاب الكامل، مكتبة النهضة، ط١، جمهورية مصر العربية، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م.

- **الندوي(سليمان):**

٢٩- العلاقات العربية الهندية، تر: أحمد محمد عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

٣٠- الملاحة عند العرب، تر: جلال السعيد الحفناوي، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م.

- **نيلسن(ديتلف) وآخرون:**

٣١- التاريخ العربي القديم، تر: فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

- **هايد (ف):**

٣٢- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

سادساً: الرسائل الجامعية:

- **الأحمد(ناصر بن محمد بن عبد الله):**

١- حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية وأثرهما في الدعوة إلى الله تعالى وانتشار الإسلام، أطروحة دكتوراه منشورة، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- **الألوائي(محيي الدين):**

٢- الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية عبر القرون، أطروحة دكتوراه منشورة، جامعة الأزهر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- **الجعيري(فهيد صلاح عاهد):**

٣- تناسخ الأرواح في الأديان والحركات الباطنية في الإسلام، رسالة ماجستير منشورة، إشراف: حافظ محمد حيدر الجعبري، جامعة الخليل، فلسطين، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- **زيادة(محمود):**

٤- الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، أطروحة دكتوراه منشورة، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **شفيقة(عيساني):**

٥- شبه القارة الهندية والصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين الفترة ما بين القرن الثالث إلى الثامن الهجري، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م.

- **عبد الرحمن(محمد باوا):**

٦- العلاقات العربية في كيرالا ومساهماتهم في اللغة العربية وآدابها، رسالة ماجستير منشورة، جامعة كيرالا، كيرالا، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- **العصيمي(هند بنت صالح بن بادي):**

٧- دراسة العوامل الغذائية للمصابين بالسل الرئوي بمحافظة الطائف، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **مسلم(زياد جابر إبراهيم):**

٨- صورة الهند عند المؤرخين المسلمين- دراسة في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير منشورة، إشراف: عدنان ملحم، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

سابعاً: المجلات والدوريات:

- **إبراهيم(سفيان ياسين):**

١- القرصنة في بحر الهند خلال العصر العباسي، مجلة جامعة كركوك، العدد: ٢، جامعة الموصل، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- **البحر(أماني خليفة محمد علي):**

٢- علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، (د.ت).

- **البياتي(عبد الجبار ستار):**

٣- منهجية الصديق رضي الله عنه في مواجهة الردة دروس وعبر، مجلة الأستاذ، العدد: ٢٠١، العراق، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- **حافظ(فيصل سيد طه):**

٤- مراكز التجارة في بلاد السند من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد: ٣٨، جامعة الكويت، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- **الحجاج(توفيق داوي موسى)، النصر الله(جواد كاظم):**

٥- طرق انتشار الإسلام في الهند، مجلة آداب البصرة، العدد: ٥٨، العراق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **حسن(رعد فاضل)، مهدي(نبأ نعيم):**

٦- دراسة تحليلية لواقع مرض التدرن في العراق باستخدام التحليل التناظر، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد: ٣٦، (د.م)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **الخليفي(شيخة أحمد):**

٧- اليعقوبي والعصر الأموي في كتابه تاريخ اليعقوبي، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، العدد: ١٣، جامعة قطر، الدوحة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- **الدجيلي(خولة شاكر محمد):**

٨- مظاهر الحياة الاجتماعية في الهند في العصور الإسلامية، مجلة كلية التربية للبنات، العدد: ١، جامعة بغداد، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **الزكي(عبد العزيز محمد):**

٩- الفكر الهندي من الهندوكية إلى الإسلام، مجلة عالم الفكر، العدد: ٢، الكويت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- **زيادة(نقولا):**

١٠- تطور الطرق البحرية والتجارة بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد: ٤، الكويت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- **سيد(أيمن فؤاد):**

١١- العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس، مجلة المؤرخ المصري، العدد: ٨، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **شعيب(محمد):**

١٢- نظرة على الفكر الديني في شبه القارة الهندية قبل تأسيس الإمبراطورية المغولية، مجلة صوت الأمة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- **الصابري(الحافظ سيد بديع الدين):**

١٣- العلاقات الهندية العربية من خلال الأدب العربي الحديث، مجلة ثقافة الهند، العدد: ٣، نيودلهي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- **صالح(غازي فيصل):**

١٤- مدينة الديبل ودورها في التاريخ الإسلامي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العد: ١٥، العراق، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م.

- **الطحطوح(حسين علي):**

١٥- المنصورة قصبة السند، مجلة التربية والعلم، العدد: ١، الموصل، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٦- **عبد الرحمن(محمد نصر):**

١٧- الحياة الاقتصادية في الهند في عصر بني تغلق، مجلة حوليات إسلامية، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

- **العبيدي(عبد الجبار منسى):**

١٨- الفتوح العربية الإسلامية ودوافعها، مجلة المؤرخ العربي، العدد: ١٤، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

- **علي(أحمد إبراهيم):**

١٩- الهجرات العربية الهندية وآثارها الاجتماعية، مجلة المؤرخ العربي، العدد: ١٦، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

- **علي(رويده):**

٢٠- أسس النظام الإداري في العصر الأموي، مجلة البعث، العدد: ٣٦، حمص، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- **علي(سيد رضوان):**

٢١- تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة في كتاب فتوح البلدان للبلاذري، مجلة العصور، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **العمري(جميل عبد حمزة):**

٢٢- صناعة السفن في الخليج العربي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد: ٤، الكويت، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م.

- **فهمي(خالد):**

٢٣- الألفاظ الهندية في المعجم العربي ودورها في دراسة العلاقات الحضارية بين العرب والهنود، مجلة الأمة، العدد: ٤، الهند، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

- **كاشف(سيدة إسماعيل):**

٢٤- علاقة الصين بديار الإسلام، مجلة كلية الآثار، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- **الكريطي(جابر رزاق غازي)، المسعودي(حسين كريم حميدي):**

٢٥- بلاد الهند فترة التبعية للخلافة حتى العام (٢٤٧هـ/٨٦١م) في المصنفات العربية الإسلامية، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العدد: ٢، العراق، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- **كليب(مهيوب غالب أحمد):**

٢٦- الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، العدد: ١+٢، دمشق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **لوا(لقمان وافي):**

٢٧- البوذية نشأتها وإسهامات ملوك الهند في تطورها، مجلة ثقافة الهند، العدد: ٣، نيودلهي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- **المشهداني(ياسر عبد الجواد حامد):**

٢٨- الفيل واستخداماته في الحياة الهندية في العصور الوسطى، مجلة التربية والعلم، العدد: ١، العراق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- **مفتاح(علي محمد فريد):**

٢٩- موانئ الساحل العماني ودورها في تنشيط حركة السلع التجارية المتبادلة بين عمان وبلاد الهند في العصر الإسلامي، مجلة الدارة، العدد: ٢، الرياض، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

- **الندوي(سليمان):**

٣٠- العلاقات التجارية بين العرب والهند، مجلة ثقافة الهند، نيودلهي، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م.

- **ويلكنسون(جون):**

٣١- صحار تاريخ وحضارة، مجلة تراثنا، العدد: ٢، سلطنة عمان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- **يوسف(النوم الطالب محمد):**

٣٢- فتح إقليم السند وانتشار الثقتفة العربية الإسلامية، مجلة المؤرخ العربي، العدد: ٤، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ثامناً: قائمة المراجع الأجنبية:

Habib(mohammad):

1- Politics and society during the early medieval period, peoples publishing house, delhi,1401 Ah/1981 Ad

-Jones, (Kenneth w):

2- The new Cambridge History of India, Cambridge University, Cambridge, 1429 Ah/2008 Am

- Elliot(H.m):

3- History of India, London, 1286 A.h/1869 A.m.

-Maclean(Derry N):

4- Religion and Society in Arab Sind, McGill University, Montreal, 1405 Ah/1984 Am.

-S. Sarakar:

5- Islam in Benegal, Ratna, Calcutta, 1392AH\1972A.